المعاد

من هدى القرآن والعترة عليهم السلام

زمان الحسناوي

المعاد

من هدى القرآن والعترة عليهم السلام

زمان الحسناوي

المعاد من هدي القرآن والعترة

تأليف: زمان الحسناوي

الطبعة الأولى: ١٤٤٠هـ

عدد النسخ: ١٠٠٠

النجف الأشرف

تصميم وإخراج: علي الحسناوي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وأتم الصلاة والتسليم على سيدنا محمد وآله الأطيبين الأطهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد..

١- فمن المعلوم أن المنبر الحسيني الشريف هو مدرسة كبرى لتعليم الناس علوم القرآن الكريم والعترة الطاهرة.

وهو القناة الإعلامية الأهم -عبر التاريخ- لأتباع آل البيت عليهم السلام ومن خلاله وصلت رسالتهم إلى العالم.

٢- وقد وفقني الله تعالى لخدمة هذا المنبر الشريف ومنّ عليّ بذلك ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ (الأعراف:٤٣).

فطرحت من خلاله أبحاثاً متسلسلة كثيرة في مجالات عدّة كالتفسير والعقائد والأخلاق والتاريخ... وكان من أهمها بحث المعاد.

٣- إن هذا البحث طرحته في شهر رمضان المبارك لسنة (١٤٣٦هجرية) في مجالس البصرة الفيحاء وقد توقعت حينها أن أكمله في نفس الشهر الكريم من السنة المشار لها، ولكن حين بدأت بطرحه اكتشفت أن الأمر أكبر من ذلك فوعدت المستمعين بإكماله في السنة التي بعدها إن شاء الله تعالى (١٤٣٧هـ) ولم يكتمل أيضاً فوعدتهم بالتي بعدها (١٤٣٨هـ)، ومع ذلك لم يكتمل فوعدتهم كالعادة بالتي بعدها (١٤٣٩هـ)، ولم أستطع إكماله أيضاً، فاعتذرت لهم عن إكماله

لئلا يسبب ذلك لهم الملل والضجر فتعالت أصواتهم في المجلس ووصلني الكثير من رسائلهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي الرسمية الخاصة بي تطلب مني إكماله للسنة الخامسة أي سنة (١٤٤٠هجرية) فسرني ذلك ووعدتهم خيراً إن شاء الله تعالى.

٤- يبقى أن أشير أني طلبت من المؤمنين الكرام كتابة الأبحاث التي أنزلتها على المنبر لأن وقتي لا يسمح بترتيبها لتطبع فيما بعد وأخشى عليها من الضياع ومعها يضيع جهد كبير من التحضير والمطالعة المستمرة الدائمة.

خصوصاً وأن مادتها الأولية عندي هو عبارة عن رؤوس أقلام لا يعرف تفاصيلها غيري وقد كتبت بخط لا يقرؤه أحد غيري أيضاً.

فتفاجأت بسرعة الاستجابة لندائي ووصلني كم هائل من الأبحاث المكتوبة من قبل المتابعين والمتابعات تجاوز المئة بحث في فترة وجيزة.

ومن بين هذه الأبحاث، بحث المعاد، حيث وصلني مكتوباً من جهات متعددة من حجاز الذكريات وبغداد السلام، وذي قار الحضارة وأيضاً من نجف العلم والفقاهة حيث كتبته أخت مؤمنة (سَكينة عبد الحسين الخافوري) الدرجة العلمية: (بكالوريوس هندسة كهربائية) ونضدته وأرسلته إليّ مشكورة (بسنيه الأربعة).

ثم قُدم الكتاب إلى الطبع بعد مراجعة وتقويم وتصحيح من بعض السادة الأحبة الكرام، فما رأيتم فيه من سداد وإحكام فهو من القرآن الكريم والعترة الطاهرة، وما رأيتم فيه من خلل فهو مني فأنا القاصر العاجز الذي لا يعرف من أين يمسك القلم.

٥- يبقى من الضروري أن أبين بأن مادة المحاضرات المنبرية تكون عادة مأخوذة من القرآن الكريم والعترة والتاريخ ونتاج العلماء إضافة إلى تأملات المتحدث نفسه وما يصل إليه فكره فهي خليط مبارك شبيه بخلطة النحل التي قال فيها تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٦٩).

فلا يقولن بعد ذلك أحد بأن هذه الفكرة موجودة في الكتاب الفلاني ولم تتم الإشارة إلى ذلك أقول نعم فالخطيب الحسيني حين يهيئ موضوعاً ما يستفيد من كل ما كتب في ذلك الموضوع وما قيل عنه ويضيف عليه لمساته الخاصة كما هو الحال في هذا الكتاب.

٦- أخيراً إن كان ولابد من أن أهدي هذا الكتاب إلى أحد ما، كما جرت العادة على ذلك، فإني أهديه إلى أخي ورفيق دربي الحسيني فقيد الخدمة الحسينية الشاب محمد رضا الحسناوي وأقول له: أخي محمد رضا يا رفيقاً لازمني في درب الإمام الحسين عليه السلام ثم ترجل فجأة وتركني أسير في الدرب أعاهدك على المضي قدماً والهدف هو الإمام الحسين عليه السلام.

﴿رَبَّنا إِنَّنا سَمعْنا مُنادياً يُنادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتنا وَتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ ، رَبَّنا وَآتنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ وَلا تُخزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ ، فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأُوذُوا فِي

سَبِيِلِي وَقاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ﴾

(آل عمران: ١٩٣-١٩٥).

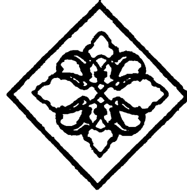
أقل خدمة الإمام الحسين

زمان الحسناوي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

يعتبر بحث المعاد من الأبحاث الثرية جداً بالمعرفة المرتبطة بالغيب، وهي على ثرائها تحتاج إلى متابعة دقيقة للآيات الكريمة التي تعرضت لبيان عالم (الآخرة) ومحطات (المعاد)، الأمر الذي يستدعي التدرج في بيان عدة أمور حتى نصل إلى الهدف من هذا البحث، ولتتضح الصورة أكثر نبدأ البحث بتمهيد فيه أمور خمسة، ثم ندخل في صلب الموضوع الذي هو المعاد بمحطاته المتعددة إن شاء الله تعالى:



التمهيد

نذكر هنا خمسة أمور تمثل المدخل إلى المبحث المقصود:

الأمر الأول: ثلاثية المبدأ والحال والغاية.

(الأنظمة الثلاثية التي خضعت لها المخلوقات -ومنها الإنسان- عبر حياتها)

كل شيء خلقه الله تعالى وورد ذكره في القرآن الكريم خاضع لثلاثية معينة، وهذه الثلاثية بيّنها الامام علي عليه السلام في قوله: (رحم الله امرءاً عرف من أين؟ في أين؟ إلى اين؟). وهذه الأنظمة هي:

١ - النظام الفاعلي المرتبط به المخلوق (من أين؟)

٢ - النظام الداخلي (الحالي) للمخلوق (في أين؟)

٣ - النظام الغائي للمخلوق (الى اين؟)، أي الهدف من خلقه.

وهذا النظام العام قد خضعت له مخلوقات العالم كلها، ولبيان الحال نذكر بعض النماذج من ذلك:

النموذج الأول: السموات والكواكب:

يقول تعالى: ﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾(الرعد: ٢).

﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾: إشارة إلى النظام الفاعلي، فالإنسان الذي يريد معرفة السماوات عليه أولاً أن يعرف من خلقها؟ وكيف خلقها؟ ولماذا خلقها؟ ثم بعدها ينتقل لمعرفة كنه السماوات، فمن دون معرفة هذه الأمور لا يمكن معرفة السماوات.

﴿غَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا... يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾: وهذا المقطع فيه إشارة إلى النظام الداخلي (حيث يبين كيف خلقها وما هي أسرارها وخصائصها).

التفاتة: ذكرت الآية أن السماوات رُفعت على عمد غير مرئية، أي إن هناك عمداً ولكنها غير مرئية، الأمر الذي وضحه الإمام الرضاعليه السلام حينما سئل عن هذه الآية فقال (ثمّ ﴿أي هناك﴾ عمد ولكن لا ترونها)

والسؤال هنا: ماهي تلك العمد؟

نحن نؤمن أن هذه العمد هم أهل البيت عليهم السلام اعتماداً على قول الإمام الهادي عليه السلام في زيارة الجامعة الكبيرة (بكم يمسك السماء أن تقع على الأرض).

(بلقاء ربكم توقنون): وهذا المقطع يُشير إلى النظام الغائي.

والخلاصة: إن الآية هنا بيّنت الهدف من خلق السماوات، وما تحتويه من كواكب ونجوم، والهدف من خلقها هو الرجوع إلى الله تعالى.

النموذج الثاني: الأرض:

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ .... وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾

(الرعد: ٣ - ٥).

وفي هذه الآية أيضاً نجد تلك الثلاثية واضحة فيها، ببيان:

(وهو الذي مد الأرض): إشارة إلى النظام الفاعلي (من خلقها؟)

(وجعل فيها رواسي... ونفضل بعضها على بعض في الاكل): إشارة إلى النظام الداخلي (كيف خلقها؟)

(أءذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد): إشارة إلى النظام الغائي (لم خلقها؟)

النموذج الثالث: الأنعام: بمختلف ألوانها وأشكالها:

يقول تعالى ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٥ - ٨).

ويقول تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل: ٢٢).

وأيضاً بالتأمل في هذه الآيات نجد تلك الثلاثية بارزة، ببيان:

(والأنعام خلقها): إشارة إلى النظام الفاعلي (من خلقها؟).

(وفيها منافع... ما لا تعلمون): إشارة إلى النظام الداخلي (كيف خلقها؟).

(فالذين لا يؤمنون بالآخرة): إشارة إلى النظام الغائي (لم خلقها؟).

النموذج الرابع: الغيوم والأمطار:

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ (النور: ٤٣)

ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (النور:٤٦).

وبالتأمل، تبرز تلك الثلاثية أيضاً، من خلال:

(ان الله يزجي سحابا): إشارة إلى النظام الفاعلي (من خلقها؟)

(ثم يؤلف بينه... من خلاله): إشارة إلى النظام الداخلي (كيف خلقها؟)

(والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم): إشارة إلى النظام الغائي (لم خلقها؟)

النموذج الخامس: الإنسان:

يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: ٥٠).

(قال ربنا): إشارة إلى النظام الفاعلي (من خلقها؟)

(اعطى كل شيء خلقه): إشارة إلى النظام الداخلي (كيف خلقها؟)

(ثم هدى): إشارة إلى النظام الغائي (لم خلقها؟)[1]

---

(١) هذه الآية لا تختص بالإنسان فقط، وإنما تشمل كل ما خلقه الله تعالى إجمالاً، والإنسان أحد مصاديق ذلك الشمول.

الأمر الثاني: المراحل العوالمية لخلق الإنسان: (المرحلة الأولى)

لقد خلق الله تعالى الإنسان بطريقة انتقالية من مرحلة إلى أخرى ، فقد مرّ الإنسان سابقاً بعالم، وهو الآن في عالم، وسينتقل إلى عالم ، ولكل مرحلة من هذه المراحل وعالم من هذه العوالم أثره وثقافته، وله أحكامه وتصرفاته، وهذه المراحل أو العوالم هي التالي:

العالم الأول: الخلق من العدم:

وقد مرّ الإنسان في هذا العالم بعدة خطوات:

الخطوة الأولى: الانتقال من كتم العدم إلى حيّز الوجود.

فالإنسان بالأصل كان عدماً (لا مقدراً ولا مكوناً)، ثم منّ الله تعالى عليه بالخلق والوجود.

يقول تعالى: ﴿...وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: ٩).

الخطوة الثانية: أصبح بعدها شيئاً ولكنه شيء غير مذكور:

يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان:١).

وعن هاتين الخطوتين روي (عن احمد بن مهران... عن مالك الجهني، قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ (مريم: ٦٧). فقال: "لا مقدراً ولا مكوناً". قال وسالته عن قوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.قال "كان مقدراً غير مذكور"﴾[١].[٢]).

---

(١) البرهان في تفسير القران: مج(٥) ص١٣٥ – ١٣٦.

(٢) التفاتتان:

الالتفاتة الأولى: تنصّ الروايات الشريفة على أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام، ولكن المقصود بالأعوام هنا هي أعوام ذلك العالم، وليس أعوام عالمنا، لأن الأرواح بالأصل هي من ذلك العالم وليس من عالم الدنيا.

الالتفاتة الثانية: القول ينقسم إلى قسمين:

١ - قول نازل:

وهو على نوعين:

أ) نزول على نحو التجافي: ويتحقق فيما لو كان نزول الشيء يؤدي به إلى أن يفقد موطنه الاصلي ومكانه الأول (يخلو منه)

يقول تعالى: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) (السجدة: ١٦)، أي تخلو منهم.

ب) نزول على نحو التجلي: ويتحقق فيما لو كان نزول الشيء لا يؤدي به إلى أن يفقد موطنه الاصلي ومكانه الأول، وأعلى مصاديق هذا النزول هو القرآن الكريم، حيث إنه وعند نزوله على قلب النبي ﷺ لم يفقد موطنه الأصلي، فحقيقة وجوده هو في ذلك العالم، الأمر الذي أشار له قوله تعالى: {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} (الزخرف: ٤)، (في كتاب مكنون) (الواقعة: ٧٨).

٢ - قول صاعد:

ومن أمثلته الدعاء، يقول تعالى: ﴿...إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠).

فالآية تشير إلى أن العمل الصالح يرفع القول (أو قل: الدعاء) إلى الله تعالى.

والسؤال هنا:

ما هو هذا العمل الصالح الذي يرفع الدعاء؟

الجواب: هو أي عمل صالح، إذا الآية جاءت بألف ولام الجنس (العمل الصالح)، ولا ريب أن على رأس الأعمال الصالحة هي تلك الأعمال التي تكون متجسدة بالصالحين، والصالحون هم أولئك الذين وعدهم الله تعالى بخلافة الأرض، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)

وكذلك عبّر عنهم تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم بقوله: (... فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين...) (التحريم: ٤) وصالح المؤمنين هو الإمام علي عليه السلام كما نصّت عليه روايات أهل البيت عليهم السلام، ومنها ما روي عن علي ابن ابراهيم: قال حدثنا محمد بن جعفر... عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ﴿...فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾، قال: "صالح المؤمنين علي عليه السلام " (تفسير القمي: مج(٢) ص٣٧٧).⇦

الخطوة الثالثة: أصبح شيئاً مذكوراً.

وفي هذه الخطوة، أعطى الله تعالى للإنسان ذكراً ، بل وتكريماً على كل من خلقه، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء:٧٠).

فنجد من خلال ذلك أن الإنسان مرّ بالخطوتين الأوليتين بدون إرادته، ولكنه بعد أن أصبح شيئاً مذكوراً صار بيده أن يكون إنساناً متقياً متكاملاً، وهذا هو الأساس الذي كان وراء خلقه، فالإنسان خُلق ليُكرّم (ولقد كرمنا بني ادم) ويُفضل من خلال التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾، ولكن احياناً ينسلخ الإنسان عن إنسانيته ومنزلته المفضلة عند الله تعالى من خلال ارتكابه لأعمال سيئة، فيصبح لا قيمة له، كما يعبر القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ (المائدة: ٦٨).

وإنما يتكامل الإنسان أو يتهاوى من خلال اتباعه لأوامر الله تعالى وانزجاره عن نواهيه.

⇐هذا من طرقنا، ومن طرق المخالفين روي عن ابن عباس،... (فان الله هو مولاه) نزلت في رسول الله ﷺ (جبريل وصالح المؤمنين) نزلت في عليٍّ خاصة. (البرهان في تفسير القران: مج(٨) ص٥٤.).

بل يمكن أن نجد نصوصاً تدل بوضوح على أنه حتى الأنبياء طلبوا من الله تعالى أن يلحقهم بهذا المقام العالي –مقام الصالحين–، ومنهم نبي الله ابراهيم عليه السلام: (رب هب لي ملكا وألحقني بالصالحين) (الشعراء: ٨٣)، وكذلك نبي الله يوسف عليه السلام: (...توفني مسلما وألحقني بالصالحين) (يوسف: ١٠١).

ومن هذا نستنتج: أن صالح الأعمال التي ترفع دعاء الإنسان وتكون سبباً في إجابته هم محمد وآل محمد (عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام).

التفاتة:

قلنا: إن تكامل الإنسان أو عدمه يكون من خلال اتباعه لأوامر الله تعالى والابتعاد عن نواهيه والعكس بالعكس، والأمر والنهي الإلهيان على نوعين:

١ - **تكويني:** واجب الحدوث (انما امره إذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) (يس:٨٢).

٢ - **تشريعي:** يمكن أن يُؤتى به أو يترك وبذلك يظهر الإنسان على حقيقته.

وتكامله هذا أو تسافله يكون من خلال عدة اختبارات ومراحل، فإن اجتازها بنجاح فإنه سيترشح ليكون إماماً للمتقين، وان لم يجتزها بنجاح فإنه سيكون مرشحاً ليكون إماماً يدعو إلى النار، وسنبين هذه الاختبارات والمراحل من خلال سُلّمين هما:

السُلّم الأول: سلم درجات التكامل.

التكامل يعني أن يحوز الإنسان ما يسدّ به نقصاً وجودياً في مرتبته الوجودية التي هو فيها، وذلك يكون من خلال **عدة خطوات:**

الخطوة الأولى: المعرفة:

أي: أن يكون عند الإنسان صور ذهنية عن واقع خارجي، تتحول تلك الصور إلى أمر تُحِس به النفس وتتفاعل معه في سلوكها الخارجي، وهذه الخطوة تدور بين الإنسان ونفسه، ويترتب عليها سلوك خارجي حسب إرادة الإنسان وعزمه، وتتحقق من خلال:

١) معرفة الهدف.

٢) معرفة الطريق للهدف.

٣) معرفة كيفية المسير في الطريق للوصول للهدف.

فعن الامام علي عليه السلام في قوله لكميل: (يا كميل ما من حركة إلا وانت محتاج فيها إلى معرفة)[١]، وكذلك نجده في قوله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم واتوا العلم درجات) (المجادلة: ١١).

الخطوة الثانية: الهجرة:

وفي هذه الخطوة يبدأ الإنسان بالتحرك الفعلي ضمن ما عنده من معارف مختزنة في ذهنه، أي إنها مرحلة تحويل المعرفة إلى سلوك خارجي،

وهي على نوعين:

أ) هجرة جوارحية: كترك بلد والهجرة إلى بلد اخر. يقول تعالى: ﴿قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ (النساء: ٩٧).

ب) هجرة جوانحية: كترك المعاصي والذنوب. يقول تعالى: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} (المدثر:٥).

الخطوة الثالثة: المسارعة:

بأن تكون تلك الهجرة على نحو المسارعة، فإن عمر الإنسان أقصر بكثير من التفريط بالوصول للهدف المنشود، وبالتالي يلزم على المؤمن أن يُسرع في الوصول إلى الهدف من خلال سلوك الطريق المرسوم له من خلال النصوص الدينية التي وضحت معالم طريق الهجرة.

يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ (آل عمران:١٣٣).

---

(١) نهج البلاغة: وصية الامام علي عليه السلام لكميل بن زياد.

الخطوة الرابعة: التسابق:

فأنت في طريق التكامل لست وحدك، ومن عادة الإنسان وطبيعته أن يحب نفسه، وبالتالي يدفعه حبه لذاته أن يصل إلى الهدف أسرع من غيره، الأمر الذي يقتضي تسابقاً لا هوادة معه، فمرتبة هذه الخطوة أعلى من المسارعة.

يقول تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ (الحديد: ٢١).

الخطوة الخامسة: الإمامة:

فبعد أن يقطع الإنسان تلك المراحل الأربع بنجاح، يصل إلى درجة الإمامة، أو قل: إنه سيكون مرشحاً لنيل مرتبة أن يكون إماماً وقدوة يقتدي به غيره.

يقول تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

ولهذا خوطب أمير المؤمنين عليه السلام في زيارته بالقول: (السلام عليك يا إمام المتقين). لأنه عليه السلام طوى كل تلك المراحل بنجاح تام ، حتى وصل إلى هذا المقام العظيم.

السُلّم الثاني: سلّم دركات التسافل.

الذي يعني فيما يعنيه أن يبدأ الإنسان بخسران كمالاته وجودية، الأمر الذي يعني حدوث شروخ كمالية في مرتبته الوجودية، وله أيضاً عدة خطوات:

الخطوة الأولى: الجهل:

أي خلوّ النفس من صور ذهنية ومعارف نفسانية، وهي خطوة تقابل خطوة المعرفة في سلم الكمال، وتتحقق من خلال:

١) عدم معرفة الهدف.

٢) عدم معرفة الطريق للهدف.

٣) عدم معرفة كيفية المسير للوصول للهدف.

يقول تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ...﴾ (النجم: ٢٨ - ٢٩).

الخطوة الثانية: هجران الخير:

أي التحرك باتجاه معاكس لمكان تواجد الخير والكمال. الأمر الذي يعني أن المرء كلّما قطع مسافة معينة، كلما ابتعد أكثر عن الكمال المرجو له.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان:٣٠).

الخطوة الثالثة: المسارعة في الكفر:

فبعد أن يبتعد المرء عن مرتع الكمال، يُصبح همّه أن يصل أسرع من غيره إلى بركة التسافل والنقص.

يقول تعالى: ﴿وَلاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ...﴾ (آل عمران:١٧٦).

يقول تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ (المائدة:٦٢).

الخطوة الرابعة: التسابق:

فإنه لن يقنع إلا أن يسبق غيره ويصل إلى هدفه الذي رسمه في ذهنه ولو خطأً على أنه كماله المقصود)، وبالتالي ستجد المرء يبتعد أسرع وأسرع كلما أوغل في الرذيلة والجهل والمعصية.

يقول تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾ (الأنفال:٥٩).

الخطوة الخامسة: الإمامة:

بعد أن يتسافل الإنسان إلى تلك الدركات من خلال أعماله الطالحة سيُرشح ليكون إماماً داعياً إلى النار!

يقول تعالى: ﴿...فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ...﴾ (التوبة: ١٢).

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ...﴾ (القصص:١١).

عود على بدء:

ومن الآيات القرآنية التي تبيّن التدرج في مراحل خلق الإنسان:

١ - يقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨).

وفيها روي عن علي بن إبراهيم: قوله (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا)، أي نطفة ميتة وعلقة، فأجرى فيكم الروح (فأحياكم ثم يميتكم) بعد (ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) في القيامة﴾[١].[٢]

٢ - يقول تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ من نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ﴾ (عبس: ١٩ - ٢٢).

وهنا نلاحظ أن هذه الآيات الشريفة تبيّن خلق الإنسان عبر عدّة مراحل:

---

(١) البرهان في تفسير القران: مج(١) ص١٦١.

(٢) **التفاتة**: للموت ثقافة خاصة في القرآن الكريم سنبيّنها في محطة الموت إن شاء الله تعالى.

(من نطفة خلقه فقدره): مرحلة بداية الخلق.

(ثم السبيل يسره): تيسيره في الحياة الدنيا التي تمثل المرحلة الوسطى.

(ثم اماته فاقبره، ثم إذا شاء انشره): المرحلة الاخيرة وهي مرحلة الرجوع إلى الله تعالى.

التفاتتان:

الالتفاتة الأولى:

نجد هذا المعنى واضحاً في سورة الفاتحة أيضاً ، حيث يقول تعالى:

﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ وهذه تمثل المرحلة الأولى التي تتكلم عن الخالق جل وعلا

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهي المرحلة الثانية التي يمر بها الإنسان ، والتي تمثل مرحلة الحياة الدنيا

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ وهي المرحلة الثالثة التي تمثل الرجوع إلى الله تعالى، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

الالتفاتة الثانية:

في ربط الرحمة بين القرآن التدويني والقرآن التكويني (الناطق).

عن أحد العلماء :

الله تعالى جعل ابتداء كل شيء بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم)، ونجده تعالى ضمّن البسملة اسمين من اسمائه تعالى (الرحمن الرحيم) مع أنه سبحانه له اسماء كثيرة أخرى، ولكنه جعل بالأساس هذين

الاسمين، وذلك لأنهما يشملان كل اسماء الله تعالى، وهما أوسع وأعظم من بقية الاسماء، ولذلك جعلها في بداية القرآن التدويني، وكذلك خص بها القرآن التكويني (الناطق) وهو المتمثل بالنبي ﷺ وآله الاطهار عليهم السلام حيث وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) وقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

ومن هنا تتبين لنا حقيقة مهمة، وهي: إن النبي ﷺ وآله الاطهار عليهم السلام هم عدل القرآن، فعن محمد بن ابراهيم النعماني (في كتاب الغيبة)... عن سليم بن قيس الهلالي عن امير المؤمنين عليه السلام قال " ان رسول الله ﷺ قام خطيبا ثم لم يخطب بعد ذلك فقال: اني قد تركت فيكم امرين لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإن اللطيف الخبير قد اخبرني وعهد اليّ انهما لا يفترقان (لن يفترقا) حتى يردا عليّ الحوض..."[1].

وفي رواية أخرى: اما بعد، ألا أيها الناس فإنما انا بشر يوشك ان ادعى فأجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به "فحث على كتاب الله ورغّب فيه"، ثم قال: وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي[2].

---

(١) غاية المرام وحجة الخصام: ج٢ ص٣٢٣.

(٢) صحيح مسلم: باب من فضائل علي بن ابي طالب عليه السلام، ح٦٣٧٨.

الأمر الثالث: مراحل خلق الإنسان

في هذا الأمر نتعرض لمراحل خلق الإنسان، الأمر الذي يكشف عن قدرة إلهية وحكمة لا متناهية، مما يُشير إلى أن من خلق الإنسان بهذه الكيفية لن يستحيل عليه إعادته بعد أن يموت، وتلك المراحل هي التالي:

المرحلة الأولى: مراحل خلق الإنسان من تراب:

وهنا نجد عدة نصوص تشير إلى هذه المرحلة وبتعابير مختلفة، واختلاف التعبير يُشير إلى اختلاف الحالات التي مرت بها هذه المرحلة، وذلك من خلال التالي:

أ) مرحلة التراب: يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ...﴾ (غافر:٦٧).

ب) خلط التراب بالماء: يقول تعالى: ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

ج) مرحلة الطين: يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ...﴾ (الأنعام:٢).

د) مرحلة الحمأ المسنون: يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٦).

ه) مرحلة الطين اللازب: يقول تعالى: ﴿...إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ (الصافات:١١).

و) مرحلة الفخار: يقول تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (الرحمن: ١٤).

المرحلة الثانية: مرحلة ادخال الروح في الجسد:

بعد مرور الإنسان بمرحلة الخلق من التراب، يُدخل الله تعالى الروح في الجسد، والتساؤل هنا هو: لماذا نعبّر: الجسد ولا نعبّر: الجسم؟ وهل هناك فرق بين الاثنين؟

الجواب: حسب تفاسير العلماء قالوا : إن الروح إذا دخلت في الجسد صار جسماً، وإذا خرجت منه عاد جسداً، وهذا ما نجده واضحاً في آية العجل ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا...﴾ (طه: ٨٨)، حيث نجد أن القرآن الكريم عبر عن العجل بالجسد ولم يقل (عجلاً جسماً) وذلك لأنه كان خالياً من الروح.

ومن هنا يمكننا الرد على الشبه التي يطرحها غير أتباع أهل البيت عليهم السلام في مجال زيارتنا لهم فعندما نقول (السلام عليكم ... وعلى أجسامكم وعلى أجسادكم) نحن نقصد هذا المعنى، حيث إننا نسلم على الأجساد الخالية من الروح وعلى الأجسام التي فيها الروح.

المرحلة الثالثة: مرحلة خلق الإنسان في أحسن تقويم:

فإن الله تعالى عندما خلق الإنسان فإنه اختار له النسخة الأكمل وجعله فيها، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).[1]

---

(١) **التفاتة: بما إن الحق** تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، فهو أيضاً يريد منه بالمقابل أحسن القول وأحسن العمل. يقول تعالى: (ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا...) (فصلت: ٣٣).

المرحلة الرابعة: مرحلة الاستخلاف في الأرض:

فبعد أن خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، رغم أن بدايته كانت من تراب، كرّمه الله تعالى، وجعله خليفته في أرضه التي هي مهبط وحيه ومنزل أوليائه.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ...﴾ (الأنعام:١٦٥).

المرحلة الخامسة: مرحلة تسخير كل شيء في الدنيا للإنسان:

بعد أن خلق الله تعالى الإنسان وصيّره في أحسن تقويم وجعله خليفة في الأرض، جعل كل شيء في الوجود تحت طوعه وسخّره له، وهذا فيه زيادة في التكريم.

يقول تعالى: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ، وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا...﴾ (ابراهيم: ٣٢ - ٣٤).[1]

---

(١) **التفاتة: ميزة خلافة آدم** عليه السلام: من خلال التأمل في الآية الكريمة نجدها تتحدث عن الخلافة في الأرض، وكأن كل إنسان يمثّل دور الخليفة على الأرض ، فإذا كان الأمر كذلك، فما هي ميزة خلافة النبي آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء عن خلافة بقية البشر؟

الجواب: الخلافة في الأصل تكون على نوعين:

١ - **خلافة عامة:** بمعنى إعمار الأرض، وهي الخلافة العامة لكل البشر.

يقول تعالى: (... هو انشأكم من الأرض استعمركم فيها...) (هود: ٦١).

٢ - **خلافة خاصة (اصطفائية):** وهي خلافة لقيادة الناس والمسير بهم إلى الله تعالى، وهي خلافة النبوة والإمامة.

يقول تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة...) (البقرة: ٣٠).⇦

المرحلة السادسة: مرحلة التكريم:

وفي هذه المرحلة زاد الله تعالى من تكريم الإنسان زائداً على استخلافه على الأرض وتسخير ما فيها له، فكرّمه على جميع ما فيها، وزوده بالعقل الذي جعله يقود به كل ما في العالم.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠).

ضرورة الهدف لهذه المراحل:

وبعد كل هذه المراحل، لابدّ من هدف وغاية لخلق الإنسان ومروره بهذه المراحل، ولا شك أن الغاية والهدف هو التكامل، والتكامل يأتي من خلال معرفة أولية، ثم العبادة، والعبادة توصل الإنسان إلى معرفة الله تعالى معرفة خاصة شهودية، ومن خلال معرفة الله تعالى يتحقق التكامل.

التفاتة: هيكلية صنع الإنسان

هناك خارطة أو هيكلية لصنع الإنسان. وتتضمن هذه الهيكلية المفاصل التالية:

المفصل الأول: المواد الأولية التي صنع منها الإنسان:

وأساسها التراب، وإن كان فيه جزء أهم وهو الروح.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (المؤمنون:١٤).

وقد تقدمت تفاصيلها. (في صفحة...)

⇦ومن خلال هذا يتضح الفرق بين خلافة النبي ادم عليه السلام وخلافة بقية البشر.

المفصل الثاني: مكان التصنيع: الرحم.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٣)، وقوله تعالى: ﴿...وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء...﴾ (الحج: ٥).

وروي في الحديث القدسي: يا بن ادم، جعلتك في بطن امك، وغشيت وجهك بغشاء لئلا تنفر من الرحم، وجعلت وجهك إلى ظهر امك لئلا تؤذيك رائحة الطعام، وجعلت لك متكئا عن يمينك، ومتكئا عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فالكبد، وأما الذي عن شمالك فالطحال، وعلمتك القيام والقعود في بطن امك، فهل يقدر على ذلك احد غيري، فلما ان تمت مدتك، واوحيت إلى ملك بالأرحام ان يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه، لا لك سن تقطع، ولا يد تبطش، ولا قدم تسعى، فأبعث لك عرقين في صدر امك يجريان لبنا خالصا، حارا بالشتاء، باردا بالصيف، والقيت محبتك في قلب ابويك فلا يشبعان حتى تشبع، ولا يرقدان حتى ترقد، فلما قوي ظهرك، واشتد أزرك، بارزتني بالمعاصي في خلواتك، واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد عليّ، ومع هذا ان دعوتني اجبتك، وان سألتني اعطيتك، وان تبت قبلت توبتك.

المفصل الثالث: خطة وبرنامج التصنيع:

وهي خطة محكمة من لدن ربٍّ حكيم يضع الشيء المناسب في المكان المناسب في الزمان المناسب، وهو عليم بعلم لا متناهي، أشار إلى تلك الخطة للتصنيع في قوله عزّ من قائل: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤).

المفصل الرابع: الجدول الزمني للتصنيع:

هو جدول معلوم عنده جل وعلا، وقد تعلمه الإنسان من خلال التجربة المتكررة، وأمكنه من خلال تطور العلوم أن يحد الوقت التقريبي جداً لانتهاء التصنيع في داخل معمل رحم الأم.

يقول تعالى: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (المرسلات: ٢٢).

المفصل الخامس: البرنامج الداخلي للتصنيع:

فخلق في داخل ذلك الجسد المادي نفساً (أو قل: روحاً) وبيّن لها الخريطة العامة للطريق المستقبلي.

يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧ - ١٠).

المفصل السادس: خطة ما بعد الانتاج:

أي الأمور التي هيأتها يد القدرة للإنسان بعد أن يوجد في هذه الحياة، والتي يُصطلح عليها بالهداية التكوينية العامة.

يقول تعالى: ﴿...نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا...﴾ (الزخرف:٣٢).

المفصل السابع: إصلاح الإنسان:

فإذا ما حصل للإنسان خلل معرفي أو سلوكي، من خلال ارتكابه للمعاصي على أثر الغفلة أو حتى التعمد، فالله تعالى تلطّف به ومنّ عليه من خلال إعطائه فرصة للإصلاح من خلال التوبة، حيث يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الشورى:٢٥).

ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه إذا كانت توبة الإنسان خالصة له تعالى فهو ليس فقط يقبل التوبة، وإنما يبدل السيئات إلى حسنات، حيث يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان: ٧٠).

الأمر الرابع: الإنسان والدنيا: (المرحلة الوسطية)

بعد أن انتهينا من المراحل الأولية التي مرّ بها الإنسان، ننتقل الآن إلى المرحلة الوسطية في حياة الإنسان، والتي تتمثل بالدنيا، وعند البحث عن الآيات التي تحدثت عن الدنيا في القرآن الكريم، نجد أن القرآن يقسمها إلى ثلاثة أقسام:

أ - آيات تذم الدنيا.

ب - آيات تمدح الدنيا.

ج - آيات تحثّ على التزود من الدنيا للأخرة.

وتفصيلها بالتالي:

القسم الأول: الآيات التي تذم الدنيا.

وقد اتخذت الآيات في هذا القسم عدة أنواع من البيانات، ومنها التالي:

البيان الأول: إن الدنيا عرض أو متاع عرضي (قليل وإلى زوال):

يقول تعالى: ﴿...تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ...﴾ (النساء: ٩٤).

يقول تعالى: ﴿...قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ...﴾ (النساء: ٧٧).

يقول تعالى: ﴿...وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران:١٨٥).

البيان الثاني: ذم الفرح بمتاع الدنيا:

يقول تعالى: ﴿...وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾ (الرعد: ٢٦).

البيان الثالث: ذم الغفلة عن ذكر الله بسبب متاع الدنيا:

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا...﴾ (طه:١٢٤).

البيان الرابع: إن الدنيا دار لعب ولهو:

يقول تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ...﴾ (الأنعام: ٣٢).

البيان الخامس: ذم شراء الدنيا بالآخرة (بيع الآخرة بالدنيا):

يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٨٦).

فالإنسان العاقل هو الذي يقدم الآخرة على الدنيا وليس الدنيا على الآخرة.

البيان السادس: نفاد خزائن الدنيا:

يقول تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ...﴾ (النحل:٩٦).

البيان السابع: ذم التعلق في الدنيا:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨).

فكل هذه البيانات هي في مضمونها تُشير إلى فناء الدنيا وزوالها وعدم ثباتها، وبالتالي هي تصرّح للمؤمن بأنّ عليه أن لا يتعلق بها، وأن لا يتعامل معها إلا كجسر يوصله من جانب إلى جانب آخر.

ثقافة الإخلاد إلى الأرض في القرآن الكريم:

ثم إن من الآثار التي تنتج عن التعلق بالدنيا هو عدم الجهاد في سبيل الله والتثاقل إلى الأرض، والإخلاد والتثاقل إلى الأرض، وهذا

المعنى له ثقافة خاصة في القرآن الكريم، إذ إنه ومن خلال الآيات الكريمة نجد أن القرآن الكريم يعبر عمّن يتعلق بالدنيا بأنه يخلد إلى الأرض أو يتثاقل، وبخصوص هذا الأمر انقسم العلماء إلى فريقين:

الفريق الأول: قالوا: إن معنى الإخلاد إلى الأرض هي الكناية عن عالم المادة، لأن الأرض تمثل عالم المادة، ولذلك يركن الإنسان إلى الأرض من خلال جنبته المادية.

الفريق الثاني: قالوا: إنه لو دققنا النظر في آيات القرآن الكريم، نجده يعبر عن السماوات مرة بصيغة الجمع ومرة بصيغة المفرد، أما الأرض فتأتي دائماً بصيغة المفرد، كما نجده في قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...} (الطلاق: ١٢). فمن خلال الآية الكريمة نكتشف وجود سبع أرضين كما أن هناك سبع سماوات، ولكن ما هي هذه الأرضون السبع:

هنا عدة نظريات للعلماء:

النظرية الأولى: هي سبع طبقات من الأرض.

النظرية الثانية: إن الأرض واحدة، ولكنها بسبع طبقات.

النظرية الثالثة: إن معنى سبع ارضين أي سبعة أقاليم.

النظرية الرابعة: إن معنى سبع أرضين هي سبعة حجب.[1]

---

(١) **التفاتة:** إن المقصود من الحجب السبعة: إما أن تكون صعودية، أو تكون نزولية، فكلما ارتقى الإنسان بعبادته وقربه من الله تعالى سيخترق الحجب السبعة الصعودية، أما إذا تعلق بالدنيا أو تثاقل، فهو سيهبط إلى الحجب السبعة النزولية.

البيان الثامن: ذم الانشغال بالدنيا:

يقول تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾ (القصص: ٧٩ - ٨٠).

من خلال الآية الكريمة نجد القرآن الكريم قد وصف الذين اغتروا بأموال قارون بأنهم أهل الدنيا، ووصف الذين أرادوا ثواب الله بأنهم أهل العلم.

ومن هنا نستنتج أن أهل الدنيا هم أهل الجهل، لأنهم اغتروا بالدنيا ، وذلك لجهلهم بحقيقة الدنيا وفنائها، أما أهل العلم فهم أهل الآخرة، لأنهم طلبوا ثواب الله نتيجة علمهم بحقيقة زوال الدنيا ومتاعها العرضي القليل الزائل، فلذلك على الإنسان أن يكون من أهل العلم وليس من أهل الدنيا الذين انشغلوا بها لجهلهم بحقيقتها وفنائها.

البيان التاسع: ذم الانشغال بزينة الدنيا (إذا كانت محرمة):

يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...﴾ (البقرة: ٢١٢).

ثقافة الزينة في القرآن الكريم:

بمتابعة آيات الكتاب الحكيم، نجد أنه لا يتعامل مع الزينة تعاملاً واحداً، بل يختلف تعامله معه تبعاً لنوعها، وحتى تتضح الصورة نقول: إن للزينة أنواعاً عديدة في القرآن الكريم، هي:

النوع الأول: زينة حقيقية ممدوحة: (كالإيمان)

وإنما تكون زينة إذا توفر الإنسان على شروط الإيمان المذكورة في محلها، بأن يكون مؤمناً حقيقة، لا مجرد ادّعاء.

يقول تعالى: ﴿...وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾ (الحجرات: ٧).

النوع الثاني: زينة شؤون الدنيا:

وهذه بدورها عدة مفردات عديدة، منها:

١ - زينة السماء: يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ...﴾ (الملك: ٥).

٢ - زينة الأرض: وتشمل النباتات وغيرها من مخلوقات الأرض.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا...﴾ (الكهف:٧).

٣ - زينة المعاش: يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢).

٤ - زينة المال والبنين: يقول تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ (الكهف: ٤٦).

٥ - زينة الملابس: يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ...﴾ (الأعراف:٣١).

النوع الثالث: زينة وهمية خيالية (مذمومة):

وهذه بدورها لها مفردات عديدة، منها:

١ - زينة العمل السيء: يقول تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ...﴾ (الأنفال: ٤٨).

٢ - زينة القتل: يقول تعالى: (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم) (الأنعام: ١٣٧).

٣ - زينة الكفر: يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: ٣٧).

٤ - زينة الباطل: يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ...﴾ (آل عمران: ١٤).

القسم الثاني: الآيات التي تمدح الدنيا.

ينبغي الالتفات إلى أنه وبملاحظة الآيات الكريمة هذه، يمكن القول: إنها لا تمدح الدنيا بعينها، وإنما تمدح التزود والأخذ من الدنيا، أي تمدح التعامل مع الدنيا معاملة المتجر الذي يأخذ المحتاج منه قدر حاجته لا أكثر.

ونجد ضمن هذا القسم عدة عناوين، ومنها التالي:

العنوان الأول: الحث على العمل في الدنيا:

وعدم الجلوس عن الطلب فيها، وعدم الرضا بأن يكون المرء كَلّاً على غيره.

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠).

فمن خلال التأمل بالآية الكريمة نجد أن هناك حثاً على العمل والتزود من فضل الله تعالى، وذلك لأن الدين الإسلامي هو دين

العمل، كما يعبر القرآن الكريم ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾ (التوبة:١٠٥).

العنوان الثاني: التمتع بزينة الدنيا (إذا كانت محللة):

فليس هناك قانون سماوي يمنع المؤمن من التمتع بما خلقه الله تعالى في الدنيا من زينة، لكن بشرط تقييد التمتع بها بالحلال.

يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً...﴾ (الأعراف: ٣٢).

وهنا قد يسأل سائل: قد يبدو هناك تعارض أو تناقض في آيات القرآن الكريم! باعتبار أننا نجده مرة يذم زينة الدنيا، ومرة يمدحها؟

والجواب: كلا، ليس هناك أي تناقض في آيات القرآن الكريم، وذلك لأنه نزل من عند الله الواحد الأحد، وليس من غير الله لأنه لوكان من عند غير الله لكان فيه تناقض ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

والحل هنا هو أن يُقال: إن المذموم هنا ليس عالم الدنيا بما هو عالم دنيا، وإنما المذموم هي الحياة الدنيا المقيدة، أي الدنيا إذا أدت إلى التكالب عليها والانجرار والانخداع بها والتهالك عليها، وجعلها أساساً وليست وسيلة ومعبراً للآخرة.

فلا مانع إذن من أن يتمتع الإنسان بزينة الدنيا، بل ويتخذها وسيلة للتزود للآخرة كما يقول امير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار ، فخذوا من ممركم لمقركم.[1]

فإذا كان الإنسان يعمل للآخرة فلا إشكال حينها في أن يتمتع بزينة الدنيا المحلّلة كما قلنا.

القسم الثالث: آيات تجمع بين القسمين الأولين.

أي إنها تحث على الأخذ من الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...﴾ (القصص: ٧٧).

فهنا نجد الآية صريحة في حثّ الإنسان على التزود من الدنيا للآخرة، وفي نفس الوقت هي تحث الإنسان على التمتع بزينة الدنيا كما ذكرنا سابقاً.

وفي نفس السياق نجد قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (الدنيا مزرعة الآخرة). أي إنه على الإنسان أن يزرع في الدنيا، ولكن لا ينظر إلى هذه المزرعة على أساس أنها هدف، وانما على أساس أنها وسيلة للحصاد في الآخرة، وبمقدار زراعته في الدنيا سيحصد الجزاء والثواب -أو العقاب- في الآخرة.

---

(١) نهج البلاغة - ج ٢ - ص ١٨٣.

التفاتتان:

الالتفاتة الأولى:

الناس أمام الدنيا على قسمين:

القسم الأول: الذين انكبوا على الدنيا وانغمسوا فيها وهم الذين يذمهم القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (النجم: ٢٩).

القسم الثاني: الذين جعلوا الحياة الدنيا وسيلة انتقال إلى الآخرة.

يقول تعالى: ﴿...وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (يوسف: ٢٣).

فحتى وإن تهيأت للإنسان زينة الدنيا وملذاتها، فإن عليه أن يقدم خوف الله والآخرة على الدنيا ويتخذ من زينة الدنيا وسيلة انتقال إلى الآخرة. وللإنسان حرية الاختيار، فإما أن يكون من أصحاب القسم الأول أو من أصحاب القسم الثاني.

الالتفاتة الثانية:

هناك مراحل يمر بها الإنسان في الدنيا من نوع آخر -غير ما تقدم- يوضحها الباري جل وعلا في قوله عز من قائل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾ (الحديد:٢٠).

فالمرحلة الأولى: (لعب) وهي مرحلة الطفولة.

والثانية: (لهو) وهي مرحلة المراهقة.

والثالثة: (زينة) وهي مرحلة الشباب.

والرابعة: (التفاخر) وهي مرحلة الرجولة.

والخامسة: (التكاثر في الاموال والأولاد) وهي مرحلة الكهولة.

وهي من أجمل الدقائق القرآنية حيث يسلسلها الله تعالى في آية واحدة.

الأمر الخامس: المعاد: (المرحلة الاخيرة)

قبل الخوض في موضوع المعاد عبر أقسامه العديدة -وهو موضوع المبحث المقصود إن شاء الله تعالى- نقول:

عندما يناقش القرآن الكريم موضوعاً مهماً، فإنه يناقشه عن طريق مجموعة من الآيات المتسلسلة، وفي سورة واحدة عادة، وبهذه الطريقة يحيط بكل جوانب ذلك الموضوع المهمة ،لكي تكون الصورة واضحة ومكتملة عند المتلقي، وكمثال على ذلك نجد أن القرآن الكريم يناقش موضوع النفاق والإيمان عن طريق آيات متسلسلة وفي سورة واحدة، ومن نماذج ذلك هي الآيات من السور التالية:

١ - سورة البقرة:

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة: ٢٠٤).

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ...﴾ (البقرة: ٢٠٥).

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ...﴾ (البقرة: ٢٠٦).

فمن خلال قراءتنا لهذه الآيات ، نجد أن المقصود فيها هو المنافق (الذي يضمر خلاف ما يبطن)، والنفاق يكون على قسمين هما:

١ - النفاق العقدي (العقائدي): وهو الذي يكون بين العبد والرسل أو الأنبياء، كأن يظهر الإنسان أنه مؤمن بما جاءت به الرسل ولكنه في قلبه لا يعتقد به.

٢ - **النفاق الأخلاقي:** وهو يقع بين الإنسان والمجتمع، كأن يقول الإنسان لأحد الناس: إني أحبك ،ولكنه يضمر في قلبه العداوة له.

وبما أن القرآن الكريم تحدث عن النفاق والمنافق، فإنه يتحدث عن الإيمان والمؤمن في المقابل، كما نلاحظ ذلك في الآية التالية:

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٧).

هذه الآية هي من الآيات التي نزلت في الإمام علي عليه السلام عند مبيته على فراش الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عندما هاجر إلى المدينة المنورة، كما جاء في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

فقد روي عن حكيم بن جبير، عن علي بن الحسين عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ ...﴾، قال: نزلت في علي عليه السلام حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[(١)].

ومن طرق غير اتباع أهل البيت ، فقد روى الفخر الرازي في التفسير الكبير في تفسير الآية:

(قال: نزلت في علي بن ابي طالب، حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ليلة خروجه إلى الغار، ويروى انه لما نام على فراشه صلى الله عليه وآله وسلم، قام جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: بخ بخ، من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي بك الله الملائكة ونزلت الآية، يعني بها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾)[(٢)].

---

(١) البرهان في تفسير القران: ج(١) ص٤٥١.

(٢) فضائل الخمسة: ج(٢) ص٣٠٩.

وبهذا نجد أن الصورة قد اتضحت، فمقابل النفاق (الشر والفساد) هناك الإيمان (الخير والحق).

٢ - سورة النساء:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ...﴾ (النساء: ٥٩).

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ...﴾ (النساء: ٦٠).

يقول تعالى: (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما انزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) (النساء: ٦١).

من خلال قراءتنا لهذه الآيات نجد أنها تتحدث عن النفاق والإيمان أيضاً في آيات متسلسلة وفي سورة واحدة، ولكن الاختلاف بين آيات سورة البقرة وآيات سورة النساء هو في أن آيات سورة البقرة بدأت الحديث عن النفاق ثم انتقلت إلى الإيمان ، أما آيات سورة النساء فقد بدأت الحديث عن الإيمان ثم انتقلت إلى النفاق، كذلك نلاحظ أن الآية الأولى قد بينت ثلاث إطاعات، وهي (إطاعة الله تعالى ، وإطاعة الرسول ﷺ ، وإطاعة أولي الأمر (الائمة)) ثم بينت كذلك كذب المنافقين بزعمهم أنهم يؤمنون بما أنزل على الرسول ﷺ، وكذلك إلى الرسل السابقين، وهم في الحقيقة يريدون التحاكم للطاغوت الذي أمرهم الله تعالى بعدم اتباعه بل والكفر به.

٣ - سورة المائدة:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ...﴾ (المائدة: ٥١).

يقول تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ...﴾ (المائدة:٥٢).

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ (المائدة: ٥٣).

أيضاً نلاحظ أن الآيات هذه تتحدث عن النفاق والإيمان وبنفس الطريق السابقة التي تحدث بها في سورتي البقرة والنساء، كذلك نجد أن الآيات تتحدث عن النفاق ثم تنتقل بالحديث عن الإيمان عن طريق الإشارة في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

والسؤال هنا:

من هؤلاء القوم الذي يهدد بهم الله تعالى المنافقين بأنه سيأتي بهم ويعبر عنهم بأنهم (يحبهم ويحبونه)؟

الجواب:

نجده في قول الرسول الأعظم محمد ﷺ حيث يقول: ﷺ يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله...[1].

ويقول ﷺ: لأعطين الراية أو ليأخذن بالراية غدا رجل يحبه الله ورسوله أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه فإذا نحن بعلي...[2].

---

(١) صحيح البخاري: ج(٤) ص٢٠.

(٢) صحيح مسلم: ج(٧) ص١٢٢.

... فغضب رسول الله ﷺ وقال: ؟لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله وسوله، ويحب الله ورسوله، كرارا غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه... فلم نره يدعو احدا منا، ثم نادى اين علي بن ابي طالب؟ فجئ به وهو ارمد فتفل في عينيه، واعطاه الراية ففتح الله على يديه[1].

وبذلك يكون قد اتضح ملف النفاق مقابل الإيمان من خلال مناقشة القرآن الكريم لهذا الموضوع في آيات متسلسلة وفي سورة واحدة.

أما ما يخص بحثنا -بحث المعاد- فقد استخدم القرآن الكريم هذه الطريقة أيضاً لتوضيح أهمية المعاد، وهذا ما نجده واضحاً من خلال آيات سورة النبأ:

يقول تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ، كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ، أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ، وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا ، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ، إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (النبأ: ١ - ١٧).

تبدأ الآيات بالحديث عن القيامة (عمّ يتساءلون، عن النبأ العظيم) حيث إن النبأ العظيم هو أحد أسماء يوم القيامة، ثم بعد

---

(١) الأمالي (المفيد): ص٥٦ – ٥٧.

ذلك تنتقل الآيات بالحديث عن الدنيا وتتسلسل بالحديث عنها (الم نجعل الأرض مهادا، والجبال اوتادا، وخلقناكم ازواجا، وجعلنا نومكم سبتا، وجعلنا الليل لباسا، وجعلنا النهار معاشا، وبنينا فوقكم سبعا شدادا، وجعلنا سراجا وهاجا، وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا، لنخرج به حبا ونباتا، وجنات الفافا)

ثم بعد ذلك تعود وتتكلم عن عالم الآخرة (ان يوم الفصل كان ميقاتا).

ويتبادر إلى الأذهان سؤال وهو:

لماذا هذا التنقل بين الآيات (معاد - دنيا - معاد) هل هناك عدم وحدة في طرح الموضوع أم أن هناك دلالات تريد الآيات توضيحها؟

الجواب:

تقدم منا أن القرآن الكريم منزل من قبل الله تعالى، وهو كلام الحق تعالى، فلا يمكن أن يكون فيه خلل أبداً، ولكن هناك دلالات تريد الآيات تبيانها للإنسان وهي:

إن كل ما خلقه الله تعالى لم يخلق عبثاً، وإنما خلق لحكمة وغاية ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون:١١٥)، وهذه الحكمة والغاية هي الرجوع إلى الله تعالى واللقاء به من خلال المعاد (يوم القيامة) وهذا ما وضحته آيات سورة النبأ من خلال الانتقال بين الآخرة والرجوع إلى الدنيا ومن ثم العودة للآخرة.

التفاتة: التنزيه في القرآن الكريم

إن الله تعالى منزه عن العبثية كما ورد في الآية الكريمة المتقدمة، وهذا التنزيه تتقوّم به أصول العقيدة الدينية (التوحيد - العدل - النبوة والإمامة - المعاد) وقد عبّر القرآن الكريم عن التنزيه بعدة تعبيرات منها:

١ - التوحيد: فإنه تنزيه لله تعالى عن الشرك.

يقول تعالى:﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الطور:٤٣).

٢ - العدل: فإنه تنزيه لله تعالى عن ظلمه للعباد.

يقول تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (القلم: ٢٩).

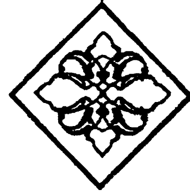
٣ - النبوة والإمامة: هما تنزيه لله تعالى عن خلقه الخلق من دون جعله واسطة تهديهم وتقربهم إليه.

يقول تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٩١).

٤ - المعاد: هو تنزيه لله تعالى عن خلقه الخلق عبثاً.

يقول تعالى: ﴿مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾ (آل عمران: ١٩١).

انتهى التمهيد بأموره الخمسة



الفصل الأول

المعاد في القرآن الكريم

بعد أن بينا المراحل الأولى لخلق الإنسان، وانتقلنا إلى المرحلة المتوسطة في حياته وهي مرحلة الحياة الدنيا ، وبيّنا ما يجب على الإنسان أن يستفيد منه في تلك المرحلة، وصلنا الآن إلى المرحلة الأخيرة في حياته، وهي مرحلة الرجوع إلى الله تعالى ، وهي مرحلة المعاد، وهي محل البحث هنا، وحتى تكون الصورة ممنهجة، نسلط الضوء على ما نريد بيانه من مباحث من خلال عدة محطات متتابعة، وهي التالي:

المحطة الأولى: المعاد في الشرائع السماوية:

المعاد: هو مفردة من مفردات الدين، وهو من الكبريات والثوابت وليس من المتغيرات، والقرآن الكريم يشير إلى المعاد على لسان كل الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إلى الخلق من آدم عليه السلام إلى النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا يكون القرآن الكريم أشار إلى المعاد في كل زمان ومكان، وكنماذج على ذلك نذكر الآيات التالية على ألسنة بعض الأنبياء عليهم السلام:

أ - نبي الله ادم عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿...وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦).

حيث جاء في تفسيرها: فقال الله لهما ﴿...وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ قال إلى يوم القيامة.(١)

(١) تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي - ج ١ - ص ٤٣.

ب - نبي الله نوح عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (نوح: ١٨).

ج - نبي الله ابراهيم عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ...مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:١٢٦).

د - نبي الله موسى عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (غافر: ٢٧).

هـ - نبي الله عيسى عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣٣).

و - مؤمن آل فرعون (من عباد الله الصالحين):

يقول تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (غافر: ٣٢).

ي - نبي الله الخاتم المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريـــــات: ٥ - ٦).

المحطة الثانية: الناس والمعاد:

ينقسم الناس بلحاظ النظر إلى مصيرهم إلى قسمين:

القسم الأول: المؤمنون بالمعاد.

وهم على درجتين:

الدرجة الأولى: متوسطة.

يقول تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٥٥).

هؤلاء يقولون: إن الإنسان جاء أو خلق من الأرض ويعود للأرض ويخرج من الأرض مرة أخرى، هؤلاء آمنوا بوجود المعاد، ولكن إيمانهم كان بمرتبة متوسطة، لأنهم وضعوا تركيزهم على المادة (التراب) وبذلك هم يميلون إلى الجنبة المادية بمقدار قليل.

الدرجة الثانية: عالية.

يقول تعالى: ﴿...إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ (البقرة: ١٥٦).

أما هؤلاء فدرجة إيمانهم أعلى من أصحاب الدرجة الأولى، لأنهم وضعوا المبدأ من الله والمنتهى إلى الله.

القسم الثاني: المنكرون للمعاد.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام:٢٩).

وهؤلاء اختلفوا في سبب إنكارهم للمعاد:

فالبعض منهم أنكر المعاد لوجود شبهة علمية لديه، وهؤلاء عندما تأتيهم بالدليل القاطع قد يتراجعون عن إنكارهم، ومن أمثلتهم في

القرآن ما نقله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٧٨).

فيأتيه الجواب في قوله تعالى: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ...} (يس:٧٩).

والبعض الآخر أنكر المعاد لوجود شهوة عملية لديه، فهؤلاء لكي يتخلصوا من مسألة الحساب والعقاب يوم القيامة أنكروا المعاد في الدنيا، كما يعبر عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ، يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ (القيامة: ٥ - ٦).

ومن طبيعة الإنسان أنه عندما يريد القيام بالمعصية فإنه يضع المبررات أولاً للقيام بها، ومن الأمثلة الواضحة على هذا في وقتنا الحاضر هي الرشوة، فالمرتشي يضع لها العديد من المسميات ، كالهدية وما شابه ذلك كمبررات لأخذ الرشوة ولكن في الحقيقة هي ذاتها الرشوة.

ومن الطريف أنه ليس الإنسان فقط هو من يضع المبررات لأخطائه، وإنما حتى الجن يضعها للقيام بالمعاصي، فإبليس (عليه اللعنة) وضع المقارنة أو المفاضلة بينه وبين آدم عليه السلام كمبرر لعدم سجوده له، كما يقول تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢).

وفي واقع الأمر إن الخطر يكمن في المبرر، وليس في نفس المعصية فقط، لأن المبرر في كثير من الأحيان يزين ويجمل المعصية، كما يعبر القرآن في قوله تعالى: ﴿...فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ...﴾ (النحل:٦٣).

المحطة الثالثة: شبهات المنكرين للمعاد:

نظام الحياة قائم على التزاحم، الأمر الذي يقتضي التضاد والتنافس، وقد استعمل الإنسان على طول خطه الكثير من الوسائل المعرفية والمادية من أجل أن يفوز في تنافسه في الحياة، ويتغلب على من يزاحمه فيها، ومن أهم ما كان يستعمله المنكرون للنظريات المعرفية هو إلقاء الشبه التي من شأنها أن تزحزح الاعتقاد بنظرية ما، ولم يسلم (المعاد) من هذه الآلية لنقض أركانه وزعزعة ثقة المؤمنين بالله تعالى به، فألقى الطرف الآخر (غير المؤمن) الكثير من الشبهات ليصلوا إلى غايتهم، ونحن نتعرض إلى ذكر بعض الشبه في هذه المحطة، ونتبعها بأجوبتها إجمالاً، وسنفصل الكلام في رد القرآن الكريم على شبهات المنكرين للمعاد في المحطة اللاحقة إن شاء الله تعالى.

الشبهة الأولى: إنكار الوعد الإلهي.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (الجاثية:٣٢).

إن الوعد بوقوع المعاد المذكور في الآية لم يبتن على أساس القطع واليقين، بل على أساس الظن والشك، فلا وعد ولا معاد في الحقيقة.

التفاتة: ثقافة الظن في القرآن:

للظن ثقافة خاصة في القرآن الكريم، خلاصتها التالي:

الظن: هو حصول صورة علمية لكن بدون الوصول فيها إلى اليقين بالمطابقة، وللظن موارد عديدة في القرآن الكريم نذكر منها:

١ - الظن بمعنى الشك:

يقول تعالى: ﴿...إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (الجاثية:٣٢).

٢ - الظن بمعنى: حسب وخال:

يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ (الانشقاق: ١٤).

٣ - الظن بمعنى الكذب:

يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ (البقرة:٧٨).

٤ - الظن بمعنى استيقن:

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة:٤٦).

٥ - الظن بمعنى الرأي الباطل:

يقول تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ...﴾ (النجم:٢٣).

يقول تعالى: ﴿أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ (يونس:٦٦).

وبعض هؤلاء الظانّين في الحقيقة لم ينكروا المعاد فقط، وإنما أنكروا حتى بقية أصول الدين، بالبيان القرآني التالي:

أ - إنكار التوحيد:

يقول تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص: ٥).

فهم يتعجبون من وجود الرب الواحد الأحد، وليس من وجود أرباب كثيرين، والحقيقة عكس هذا تماماً، إذ التعجب يكون من وجود أرباب كثيرين وليس من وجود رب واحد، لأن الأقرب للعقل هو وجود رب واحد يدبر الأمور في هذا الكون، ولو كان هناك أكثر من رب لفسدت الأمور كما يعبر القرآن الكريم ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾ (الأنبياء: ٢٢).

وهذا دليل قراني على أن حجتهم واهية وغير مقبولة، وقد جرّهم إنكارهم للتوحيد إلى عدم الاعتقاد بوجود رب خلق الخلق، لأنهم يدعون بأن الصدفة هي من ولدتهم، ولم يسألوا أنفسهم عن أن هذه الصدفة بحد ذاتها من الذي جاء بها! وليس عندهم أي دليل على مقولتهم هذه.

ب - إنكار النبوة:

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (آل الفرقان: ٤١).

فهؤلاء بالأصل لم يؤمنوا بوجود الرب الواحد الأحد، إذ جعلوا الاصنام هي ربهم ، بل وادعوا أنها تقربهم إلى الله تعالى، كما يقول الحق تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾ (الزمر:٣).

ولكن عندما يريدون إنكار النبوة والاستهزاء بالأنبياء ، عند ذلك يقولون باستهزاء وبصورة التعجب: هل يمكن أن يُرسل الله هذا الرب العظيم هذا البشر ﴿أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ يمثله!

بالإضافة إلى أنهم يعتقدون أن البشر في الأساس لا يمكن أن يكون رسولاً، لأن البشر كله شر، فكيف بمن يكون شراً بحد ذاته أن يكون رسولاً.

وهذا دليل واضح على تخبطهم وتناقضهم، فالذي يقبل بالأصنام كي تقربه إلى الله من الجدير به أن يقبل برسول من البشر يقربه من الله تعالى.

ج - إنكار الإمامة:

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ...﴾ (البقرة: ٢٤٧).

الآية تحكي لنا عن أن إنكارهم للإمامة كان قائماً على أساس فقدانه المال والوجاهة، من هنا جاء اعتراضهم على طالوت لأنه لم يكن ذا مال، وفي الواقع إن اختيار الإمامة يقوم على أساس الاصطفاء الإلهي وليس على أساس الوجاهة وكثرة المال.(١)

(١) في الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ١ - ص ١٩٤: ...فجعل جهة حقه في التقدم عليهم ما زاده الله من البسطة في العلم والجسم ، واصطفاءه إياه على كافتهم بذلك ، فكانت هذه الآيات موافقة لدلائل العقول في أن الأعلم أحق بالتقدم في محل الإمامة ممن لا يساويه في العلم ، ودلت على وجوب تقدم أمير المؤمنين عليه السلام على كافة المسلمين في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وإمامة الأمة لتقدمه عليهم في العلم والحكمة ، وقصورهم عن منزلته في ذلك...⇦

الشبهة الثانية: إنكار ما جاء به القرآن الكريم حول المعاد.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ... وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: ٤ - ٥).

فهؤلاء أنكروا المعاد بحجة أن القرآن أصلاً لم يأت بفكرة المعاد، أو أن المعاد هو من مبتكرات الذي جاء بالقرآن وليس من القرآن نفسه، ففكرة المعاد هي مجرد اسطورة أخذها الرسول من كتب القدماء قبله.

وبعبارة أخرى: هم أنكروا أصل كون القرآن الكريم من الله تعالى، وبالتالي يكون إنكارهم للمعاد ضمنياً مع إنكار القرآن الكريم.

ومن لطيف دقائق القرآن الكريم أننا نجد الجواب عن هذه الشبهة في نفس السورة حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الفرقان: ٦).

الشبهة الثالثة: إنكار ما جاء به النبي ﷺ حول المعاد.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ، أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾ (سبأ: ٧ - ٨).

فكان الجواب الإلهي لهم يقول تعالى: ﴿...بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ (سبأ: ٨).(١)

⇐(١) التفاتة: عبر القرآن الكريم عن الذين لا يؤمنون بالآخرة بأنهم في عذاب وضلال، وكأن القرآن الكريم يريد الإشارة إلى الانحراف الفكري لهؤلاء، ومعصيتهم العملية، فنتيجة لانحرافهم الفكري جعلهم يرتكبون معاصٍ وأخطاءً عملية، فضلالهم كان نتيجة انحرافهم الفكري، وعلى العكس من هذا ما نجده في الذين كان تفكيرهم سليماً، فإن نتيجة تفكيرهم الصحيح والسليم كانت أن أعمالهم صالحة كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ⇐

الشبهة الرابعة: إنكار المعاد عناداً.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجاثية: ٢٥).

فهؤلاء أنكروا وجود المعاد لمجرد عنادهم، ونتيجة لعنادهم هذا طلبوا من النبي ﷺ أن يعيد آباءهم أحياء، ولكن النبي ﷺ لم يجب دعوتهم هذه، وذلك لأن الأنبياء السابقين عندما كانوا يقيمون الحجج على أممهم ولم يصدقوا بهم، كان يمكن أن ينزل عليهم العذاب مباشرة، وبما أن الرسول الأكرم ﷺ بعث رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) فبرحمته عليهم لم يجب دعوتهم ولم يقم الحجة عليهم بنزول العذاب، وبرحمته تلك جعلت هذه الأمة مرحومة.

الشبهة الخامسة: إنكار المعاد بحجة أن المعاد سحر.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (هود: ٧).

تعددت أسباب المنكرين للمعاد، وهذه المرة أنكروا المعاد لأنهم تصوروا أن الرسول ساحر عندما أخبرهم بوجود المعاد والبعث بعد الموت، وهذا دليل آخر على تخبط المنكرين للمعاد، فلو فكروا قليلاً

⇐وَمَا غَوَى﴾ (النجم: ٢)، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٥٥).

ومن هنا نستنتج أن الممارسات الفعلية والعملية الخاطئة قد تكون نتيجة الانحراف الفكري، فإن كل فكرة خاطئة لا بد أن تنتج سلوكاً خاطئاً، وفي المقابل فإن الممارسات الفعلية الصحيحة تكون نتيجة سلامة الفكر.

لوجدوا انعدام الترابط بين ما يدعون وبين حقيقة وجود المعاد، فشتان بين السحر وبين البعث بعد الموت والرجوع إلى الله تعالى.

الشبهة السادسة: إنكار المعاد بحجة أن ارجاع الموتى أمر خارج عن القدرة الإلهية.

يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (يس: ٧٨).

حجتهم هذه المرة لإنكار المعاد هي اعتقادهم أن إرجاع الموتى وإعادتهم للحياة بعد الموت هو أمر خارج عن قدرة الله، ولكن السؤال الذي يطرح: أيهما أصعب: إرجاع الموتى بعد موتهم أم الخلق من العدم ؟!

الشبهة السابعة: إنكار المعاد بحجة أن إرجاع الموتى أمر عسير.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾ (الروم:٢٧).

والرد على اعتقادهم نفهمه من الآية الكريمة، حيث ردت عليهم بأن خلق الخلق من العدم أهون وأسهل من أعادة الميت؟

ولو تفكروا قليلا في حقيقة الأمر لوجدوا أن إعادة الخلق (إحياء الموتى) أهون وأسهل من الخلق من العدم ، ولكن نتيجة كفرهم وإنكارهم للمعاد طبع الله على قلوبهم ﴿وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٩٣).

الشبهة الثامنة: إنكار المعاد بحجة أن الموت فناء وعدم، وليس انتقالاً.

يقول تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ...﴾ (الرعد: ٥).

سبب إنكارهم للمعاد هذه المرة هو أنهم اعتقدوا أن الموت فناء، وأن الإنسان بعد موته يفنى ويُعدم، وفي حقيقة الأمر هذا اعتقاد خاطئ، لأن الموت ليس فناءً، وإنما هو انتقال من مرحلة إلى أخرى ومن عالم إلى عالم آخر، وسنأتي على تبيان ذلك في محطة الموت إن شاء الله تعالى.

التفاتتان:

الالتفاتة الأولى:

عند التأمل في القرآن الكريم نجد أنه يُقْسم في ثلاثة موارد على تحقق المعاد:

١ - يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ...﴾ (سبأ: ٣).

٢ - يقول تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ...﴾ (التغابن: ٧).

٣ - يقول تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (يونس: ٥٣).

الالتفاتة الثانية:

يبين القرآن الكريم أن المعاد والبعث لم يشغل البشر فقط، وانما شغل حتى عالم الجن، فهم أيضاً اعتقدوا بعدمية وجود المعاد، وأن

الله تعالى لن يبعث أحداً بعد الموت، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ ... أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الاحقاف: ٢٩ - ٣٣).

﴿عن الطبرسي في الاحتجاج: عن امير المؤمنين عليه السلام، قد سأله يهودي، قال اليهودي: فإن هذا سليمان سخرت له الشياطين، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل. قال له علي عليه السلام: (لقد كان كذلك، ولقد اعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم افضل من هذا. إن الشياطين سخرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها، وسخرت لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الشياطين بالإيمان، فاقبل اليه من الجن تسعة من اشرافهم، واحد من جن نصيبين، والثمان من بني عمرو بن عامر من الأحجر، منهم شضاه، ومضاه، والهملكان، والمرزبان، والمازمان، ونضاه، وهاضب، وعمرو، وهم الذين يقول الله تبارك وتعالى اسمه فيهم: (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن)، وهم التسعة، فاقبل اليه الجن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ببطن النخل، فاعتذروا بانهم طنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا، ولقد اقبل اليه احد وسبعون الفا منهم، فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ونصح المسلمين، واعتذروا بانهم قالوا على الله شططا، وهذا افضل مما اعطي سليمان، سبحان من سخرها لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان كانت تتمرد وتزعم ان لله ولدا، ولقد شمل مبعثه من الجن والانس ما لا يحصى)﴾[1].

---

(١) البرهان في تفسير القران: مج(٧) ص١٩٩ – ٢٠٠.

وعند التأمل في الشبهات الثمانية التي بيّنّاها سابقًا نجدها كلها قائمة على أساس الشهوة العملية، وليس هناك دليل قوي وواضح على نكرانهم للمعاد بشكل علمي.

المحطة الرابعة: أجوبة شبهات المنكرين للمعاد:

بمتابعة آيات القرآن الكريم، نجد أنه تعالى قد ردّ على المنكرين للمعاد بثلاثة أساليب، هي التالي:

الأسلوب الأول: تجريد المنكرين للمعاد من سلاحهم.

يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (ص: ٢٧).

من خلال الآية الكريمة نجد أن نكرانهم للمعاد قائم على أساس الظنّ والشك. فالقرآن رد عليهم بأن الله تعالى خلق الخلق والسماوات والأرض ليس باطلاً ولا عبثاً، ذلك لأن الله تعالى بعيد عن العبثية والبطلان، وإنما خلقها لحكمة، وظنهم بذلك إنما هي حجة واهية ودليل غير مقبول لإنكار المعاد. وبذلك يكون القرآن الكريم جردهم من سلاحهم وأبطل ظنهم وشكهم لإنكار المعاد.

وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى في آية أخرى بقوله عز من قائل: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (الانشقاق ١٤)

الأسلوب الثاني: بيان قدرة الفاعل وقابلية القابل.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ (السجدة: ١٠).

إحدى الشبهات التي طرحها المنكرون كانت تتعلق بكيفية إرجاع الناس بعد الموت، ومن خلال هذا الأسلوب الثاني تتضح قدرة الفاعل الذي هو (الله) على إرجاع الناس من جهة، وقابلية القابل الذي هو (الإنسان) على الرجوع للحياة من جهة أخرى، فإذا كان

الفاعل قادراً والقابل ممكن الرجوع، فما هو المانع من تحقق المعاد حيث إنه ليس هناك أي دليل يمنع أو يعارض ذلك، وسنثبت ذلك من خلال الأمرين التاليين:

الأمر الأول: إثبات إمكانية رجوع القابل:

وهذه طرحها القرآن الكريم من خلال أمثلة نراها في حياتنا اليومية منها:

المثال الأول: إمكانية إحياء الأرض بعد موتها.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٧).

فالأرض التي تحيا بعد موتها بنزول المطر هي آية من آيات الله تعالى، وعلى الإنسان أن يتخذها دليلاً على قابلية القابل (الممكن) على الرجوع بعد الموت، فبمجرد نزول الماء عليها عادت الأرض للحياة، لأن لها القابلية على الرجوع. كذلك هو الأمر مع الإنسان، فبمجرد إرجاع الروح للجسد يعود الإنسان للحياة أيضاً ، لأن الإنسان له القابلية على الرجوع للحياة مرة أخرى، وفي الحقيقة هذه القابلية أودعها الله تعالى في مخلوقاته ، وهو القادر على كل شيء.

﴿عن علي بن ابراهيم، قال: قوله تعالى: (وهو الذي يسر الرياح بشرا بين يدي رحمته) إلى قوله: (كذلك نخرج الموتى)

دليل على البعث والنشور، وهو رد على الزنادقة...﴾[1].

---

(١) البرهان في تفسير القران: مج(٣) ص١٨١.

المثال الثاني: ارتباط المعاد بعوالم خلقة الإنسان الأولى.

ونذكر هنا نموذجين من الآيات :

١ - يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ... وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥).

تبين الآية الكريمة مراحل خلق الإنسان الأولى، فكما أن الإنسان في بداية خلقه انتقل من مرحلة إلى أخرى، وفي كل مرحلة من هذه المراحل كان يمر بمراحل فرعية متعددة، كذلك عند انتقاله من الحياة إلى الموت، فهو بعد موته لا يفنى ولا ينعدم، وإنما ينتقل من مرحلة إلى أخرى ومن عالم إلى عالم آخر.

كذلك نلاحظ أن الآية قد ربطت بين الإنسان والأرض، لأنها تريد الإشارة إلى أن الإنسان مخلوق من الأرض نفسها، فإذا كانت للأرض القابلية على الرجوع للحياة بعد موتها، فإن من خلق من الأرض أيضاً تكون له نفس القابلة على الرجوع فيعود للحياة - كما عادت مادته الأولية التي خلق منها - للحياة.

وهنا قد يطرح البعض تساؤلا أو شبهة، وهي: إذا كان الله تعالى قادراً على أن يخلق الإنسان والمخلوقات بـ : (كن فيكون) فلماذا جعلها تمر بهذه المراحل؟

الجواب: من حكمة الله تعالى أن جعل طبيعة خلق الكون قائمة على أساس التدرج والمراحل، وهكذا هو الحال مع الإنسان والمخلوقات الأخرى، كونها جزءاً من هذا الكون.

ومن ذلك ما ورد في على التدرج في خلق السموات والأرض، فقد روي عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال : سأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام عن قول الله تعالى: (وهو الذي خلق السماوات والأرض في سته أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا) فقال : ان الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض فكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش وبالماء على الله ﷻ ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلموا انه على كل شئ قدير ثم رفع العرش بقدرته ونقله وجعله فوق السماوات السبع ثم خلق السماوات والأرض في سته أيام وهو مستولى على عرشه وكان قادرا على أن يخلقها في طرفه عين ولكنه تعالى خلقها في سته أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئا بعد شئ فيستدل بحدوث ما يحدث على الله تعالى مره بعد مره ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه لأنه غني عن العرش وعن جميع ما خلق لا يوصف بالكون على العرش لأنه ليس بجسم تعالى عن صفه خلقه علوا كبيراً.(1)

٢ - يقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (القيامة: ٣٦ - ٤٠).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق - ج ٢ - ص ١٢٣.

الآية الكريمة دليل قرآني آخر على قابلية الإنسان على الرجوع للحياة، فكما ذكرنا سابقاً أن الإنسان مر بعدة مراحل، وعند انتقاله بين تلك المراحل هو لم يصبح عدماً، فكذلك الحال بعد الموت، فهو لا يصبح عدماً أيضاً. ولكن هنا قد يطرح تساؤل مفاده: ما هي العلاقة بين مراحل خلق الإنسان وبين عدم تركه سدىً بعد موته من غير معاد؟

الجواب: هي من الدلائل القرآنية على حتمية وجود المعاد ورجوع الإنسان إلى الله تعالى ليحاسب على أعماله في الدنيا ونتيجة حسابه يكون اما إلى الجنة والخلود فيها أو إلى النار والخلود فيها.

و الآيتان السابقتان من الدلائل القرآنية الواضحة على قابلية الإنسان على الرجوع إلى الحياة، وكذلك هما من مجازيات القرآن الكريم ودلائله على ربط عوالم خلقة الإنسان الأولى بالآخرة، فالإنسان الذي يعرف أوله (مبدأه) يعرف آخره (منتهاه).

المثال الثالث: النوم.

يقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر: ٤٢).

فكما أن للإنسان القابلية على الرجوع إلى الحياة بعد النوم الذي هو بمثابة موت قصير، كذلك له القابلية على الرجوع إلى الحياة بعد الموت مرة أخرى، ومن أكثر المصاديق وضوحاً على هذا الأمر هم أصحاب الكهف الذين بقوا في كهفهم (٣٠٩) أعوام كما يعبر القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا

تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥)، وبعد كل هذه السنين من النوم عادوا للحياة مرة أخرى كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ (الكهف: ١٢).

وقلنا سابقاً: إن هذه القابلية قد أودعها الله تعالى في مخلوقاته فهو القادر على كل شيء.

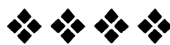
التفاتة:

يقول تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ... فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ٢٦ - ٢٨).

الله تعالى يعبر في هذه الآية عن الموت بأنه من النعم، وهذا جواب من يخاف من الموت لمجرد كونه موتاً، وهذا أمر خاطئ، لأن الموت انتقال كما ذكرنا سابقاً، وإنما الخوف يكون فيما بعد الموت، لأنه مرتبط بأعمال الإنسان في الدنيا، فإن كانت أعماله صالحة فهو من الآمنين يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿...فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف:٣٥)، أمّا إذا كانت أعماله طالحة فحينها سيكون ما بعد الموت مخيفاً حقاً.

كما يقول الشاعر:

الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما
الدار جنة خلد إن عملت بما يرضي الإله وإن خالفت فالنار
هما محلان ما للإنسان غيرهما فانظر بنفسك أي الدار تختار



الأمر الثاني: إثبات قدرة الفاعل على إرجاع الموتى:

إن مسألة إثبات قدرة الفاعل على إرجاع الموتى أيضاً طرحها القرآن الكريم من خلال مثالين:

المثال الأول: خلق السماوات والأرض.

يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (يس:٧٨).

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الاحقاف:٣٣).

تتتابع الآيات حول لفت الأنظار إلى المعاد وقدرة الله تعالى على إرجاع الناس إلى الحياة ، ومرة أخرى نلاحظ الآيتين أعلاه تطرحان سؤالاً إلى كل البشر:

ألم تتطلعوا إلى تلك السماء المترامية العظيمة بكل سياراتها العجيبة؟! وبكل تلك المنظومات والمجرات التي تشكل كل زاوية منها دنيا واسعة هائلة؟!

فالذي قدر على خلق هذا الكون الهائل الواسع بسعة السعة، وكل هذه العوالم الخارقة في العظمة والمتناهية التنظيم والدقة في قوانينها ، كيف لا يكون قادراً على إحياء الموتى، وهو المالك والحاكم في كل شيء؟!

المثال الثاني: الخلق من العدم.

يقول تعالى: ﴿...فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ (الإسراء: ٥١).

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (العنكبوت: ١٩).

يقول تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق:١٥).

وكل هذه الآيات الكريمة دلائل وبراهين على قدرة الله تعالى على إرجاع الموتى.

فالله الذي خلق الإنسان من العدم ولم يعجز عن خلقه أول مرة قادر على إعادته للحياة مرة أخرى، بل إن إعادة الخلق أهون على الله كما يعبر القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾ (الروم: ٢٧).

الأسلوب الثالث: مصاديق عملية لأموات رجعوا للحياة الدنيا.

في هذا الأسلوب ينتقل القرآن الكريم من الأمور النظرية المعرفية، إلى الاستشهاد الوقوعي بالمعاد لأناس رجعوا إلى الحياة في هذه الدنيا، فيكون وقوع الرجوع بعد الموت في الدنيا أقوى دليل على إمكانه في الآخرة، وفي هذا الأسلوب نجد العديد من الأمثلة نجملها بالتالي:

المثال الأول: قصة نبي الله ابراهيم عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ

فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

وهذا ﴿تجلي اخر للمعاد في هذه الدنيا، مر ابراهيم عليه السلام يوما على ساحل البحر فرأى جيفة مرمية على الساحل نصفها في الماء ونصفها على الأرض تأكل منها الطيور وحيوانات البر والبحر من الجانبين وتتنازع احيانا فيما بينها على الجيفة عند رؤية ابراهيم هذا المشهد خطرت في ذهنه مسالة يود الجميع لو عرفوا جوابها بالتفصيل، وهي كيفية عودة الاموات إلى الحياة مرة أخرى، ففكر وتأمل في نفسه انه لو حصل مثل هذا الحادث لبدن الإنسان واصبح طعاما لحيوانات كثيرة، وكان بالتالي جزء من بدن تلك الحيوانات، فكيف يحصل البعث ويعود ذلك الجسد الإنساني نفسه إلى الحياة؟

فخاطب ابراهيم عليه السلام ربه وقال: (رب ارني كيف تحي الموتى)، فأجابه الله تعالى: أولم تؤمن بالمعاد؟ فقال عليه السلام: (بلى ولكن ليطمئن قلبي) فأمره الله ان يأخذ اربعة من الطير ويذبحها ويخلط لحمها، ثم يقسمها عدة اقسام ويضع على كل جبل قسم منها ثم يدعوا الطيور اليه، وعندئذ سوف يرى مشهد البعث، فامتثل ابراهيم للأمر واستولت عليه الدهشة لرؤيته اجزاء الطير تتجمع وتأتيه من مختلف النقاط وقد عادت اليها الحياة﴾[1].

(١) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٢ ص٢٨٠ – ٢٨١.

المثال الثاني: قصة نبي الله عيسى عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ...﴾ (آل عمران: ٤٩).

فالآية -ومثلها غيرها- صريحة في أن النبي عيسى عليه السلام كان يحيي بعض الموتى ليرجعهم إلى هذه الحياة، وهذا نوع من المعاد.

المثال الثالث: قصة نبي الله موسى عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ، ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥ - ٥٦).

وقد بُينت هذه الآيات بما حاصله: (...فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة) وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعا. وقال وهب: بل ارسل الله اليهم جندا من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا يوما وليلة، فقال موسى: (رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) يا رب كيف ارجع إلى بني إسرائيل وقد أهلكت خيارهم؟ فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل حتى أحياهم الله جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون، فذلك قوله تعالى: (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون)﴾[1].

(١) بحار الأنوار: ج١٣: ص٢٤٧: ح٥١.

المثال الرابع: قصة عزير عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ...﴾ (البقرة: ٢٥٩).

﴿في حديث عن الصادق عليه السلام، وقد سأله زنديق فقال: فلو ان الله رد الينا من الاموات في كل مائة عام واحدا، لنسأله عمن مضى منا إلى ما صاروا وكيف حالهم وماذا لقوا بعد الموت وأي شيء صنع بهم، لعمل الناس على يقين، واضمحل الشك وذهب الغل عن القلوب، قال عليه السلام: ان هذه مقالة من انكر الرسل وكذبهم (ولم يصدق) بما جاءوا به من عند الله (إذ) اخبروا وقالوا: ان الله جل وعز اخبر في كتابه على لسان الأنبياء حال من مات منا أ فيكون احد اصدق من الله قولا ومن رسله، وقد رجع إلى الدنيا ممن مات خلق كثير منهم أصحاب الكهف، اماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة، ثم بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث ليقطع حجتهم، وليريهم قدرته، وليعلموا ان البعث حق، وامات الله أرميا النبي الذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصر فقال: ﴿...قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ...﴾، ثم احياه ونظر إلى اعضائه كيف تلتئم وكيف تلبس اللحم والى مفاصله وعروقه كيف توصل، فلما استوى قائما قال: ﴿...قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ﴾[1].

(١) البرهان في تفسير القران: مج١ ص٥٤٨.

المثال الخامس: قصة القوم الذين فروا من قريتهم خوفاً من الطاعون:

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ...﴾ (البقرة: ٢٤٣).

﴿في حديث عن الصادق عليه السلام قال: احيا الله قوما خرجوا من اوطانهم هاربين من الطاعون لا يحصى عددهم، فأماتهم الله دهرا طويلا حتى بليت عظامهم وتقطعت اوصالهم وصاروا ترابا، فبعث الله - في وقت احب ان يري خلقه قدرته - نبيا يقال له حزقيل، فدعاهم فاجتمعت ابدانهم ورجعت فيها ارواحهم، وقاموا كهيئة يوم ماتوا لا يفتقدون من اعدادهم رجلا، فعاشوا بعد ذلك دهرا طويلا﴾[1].

---

(١) البرهان في تفسير القران: مج ١ ص٥١٥.

المحطة الخامسة: الأدلة على لا بديّة المعاد:

وضع القرآن الكريم العديد من الأسباب التي تبين أهمية المعاد ولزوم وجود يوم يعود فيه الناس لرب العالمين، كي يحاسبوا على أعمالهم، ومن تلك الأسباب هي التالي:

السبب الأول: ارتبط المعاد بحكمة الله.

ونبين ذلك من خلال عدة نماذج من الآيات الكريمة:

النموذج الأول:

يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

فالآية الكريمة توضح أن الله تعالى حكيم ، والحكيم لا يخلق الخلق عبثاً، وإنما يخلقهم لحكمة وغاية، وهذه الحكمة تقتضي أن يموت الإنسان ويبعث ليحاسب على أعماله في الدنيا، فعدم وجود المعاد يعني أن تصبح الدنيا عبثاً، فهذه الدنيا بكل ما فيها من مشاكل وواجبات ومسؤوليات، تصبح كلها عبثاً إن لم يكن وجود للبعث والمعاد.

النموذج الثاني:

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج: ٦ -٧).

لما كان الله تعالى حكيماً، وهو الحق، أردف ذلك بإحياء الموتى، فإحياء الموتى وبعثهم من قبورهم دليل على أن خلقهم لم يكن عبثاً وإنما كان لغاية وهدف وهو الرجوع إلى الله تعالى.

النموذج الثالث:

يقول تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ، فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ، فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ، فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات: ١ - ٦).

عن ﴿جميل، عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: (والذاريات ذروا)، قال: (ان ابن الكواء سأل امير المؤمنين عليه السلام عن الذاريات ذروا، فقال: هي الريح، وعن الحاملات وقرا، فقال: هي السحاب، وعن الجاريات يسرا، فقال: هي السفن، وعن المقسمات امرا، فقال: هي الملائكة وهو قسم كله، وخبر (إنما توعدون لصادق، وان الدين لواقع) يعني المجازاة والمكافاة)﴾[1].

السبب الثاني: ارتباط المعاد بعدل الله.

يقول تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (القلم: ٣٥).

يقول تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص: ٢٨).

في الآيتين تجلٍ واضح لحكمة المعاد، وكذلك هما من الأدلة الحتمية التي تدل على عدل الله تعالى، فلأن الله تعالى عادل، فلابد من الرجوع إليه بعد الممات ليحاسب الإنسان على أعماله في الدنيا، فليس

(١) البرهان في تفسير القران: مج ٧. ص٣٠٨.

من العدل أن يذهب كلٌ من المتقي والمفسد والفاجر والصالح إلى مكان مجهول، من غير أن يجازى الصالح والمتقي على عمله ، ويحاسب الفاجر والمفسد على عمله، فعدل الله يقتضي أن يثاب الإنسان الصالح على عمله ويحاسب العاصي على عصيانه.

السبب الثالث: ارتباط المعاد برفع الاختلاف.

اختلف الناس في الدنيا بكل شيء وعلى كل شيء، ولابد من وجود يوم ينتهي فيه هذا الاختلاف وتسوّى الأمور بين الناس ، ويظهر الحق من الباطل.

يقول تعالى: ﴿...فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة: ١١٣).

يقول تعالى: ﴿...فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ١٤).

والآية الثانية توضح ما قلناه سابقاً حول اختلاف الناس في الدنيا، وأن العداوة والبغضاء مستمرة إلى يوم القيامة، وفي ذلك اليوم يفصل الله تعالى بين الناس ويبين فيه الحق والباطل.

التفاتة:

قد يسال سائل هنا: إذا كان الأنبياء في الدنيا يبينون للناس الاختلافات، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ (النساء: ٥٩)، فلماذا نحتاج في يوم القيامة إلى تبيان من الله تعالى لهذه الاختلافات؟

الجواب: إن احد مهام الأنبياء في الدنيا هو رفع الاختلاف بين الناس وتوضيح الحقائق، ولكن الأنبياء لا يجبرون الناس على اتباع الحق وترك الباطل، وذلك لأن الله تعالى أعطى للإنسان مساحة للاختيار في الدنيا ليره أيكفر أم يشكر ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣).

أما في يوم القيامة فلا مجال للاختيار، فالله تعالى هناك الحاكم ،وهو الذي يميز بين الحق والباطل، وعلى الإنسان أن يتبع الأوامر الإلهية فقط.

السبب الرابع: ارتباط المعاد بسبب خلقة الإنسان.

لأن الله تعالى هو الكمال المطلق، فقد خلق الخلق ليصلوا إلى الكمال الممكن لهم، وحتى يصل الإنسان إلى كماله الممكن عليه أن يضع في حسبانه أن الله تعالى خلقه من أجل غايات معينة، ومنها التالي:

١ - خلقنا للعبادة:

والعبادة تتحقق بالمعرفة ، بل إن العبادة فرع المعرفة، إذ من دونها لا يمكن للإنسان أن يتوجه للعبادة، فعبادة المجهول أمر محال.

يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦).

٢ - خلقنا للاختبار:

فنظام العالم الإنساني قائم على الاختبار، ليبين المحسن من المسيء.

يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ...﴾ (الملك:٢).

٣ - خلقنا ليرحمنا:

فإن الله تعالى أعظم من أن يخلقنا ليعذبنا أو يُشقينا، وهذا أمر لو وضعه الإنسان نصب عينيه لنظر إلى الحياة بنظرة مختلفة من دون أدنى شك.

يقول تعالى: ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ...﴾ (هود: ١١٩).

والحصيلة من هذه الغايات: هي أن الله جلّت قدرته خلق الخلق ليعبدوه، وعندما يعبدونه قد يبتليهم ليمحصهم ويميز الخبيث منهم من الطيب، فإذا كان الإنسان على معرفة بالله، وعبده عن معرفة حق عبادته ، فسوف يرحمه الله تعالى، وأوضح تجلٍ لهذه الرحمة سيكون عند عودته إلى الله تعالى في المعاد بعد موته ليمتعه، أما إذا كان غير عابد لله، فهذا أيضاً سوف تشمله رحمة الله! وتتجلى الرحمة هنا بموته وخلاص الناس منه، ومن شره وبالتالي سوف يعود إلى الله في يوم القيامة ويجازيه على أعماله.

السبب الخامس: المعاد مرتبط بتجلي وتمظهر وعد الله

ونبين هذا السبب من خلال ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إثبات أن المعاد وعد الله.

يقول تعالى: ﴿...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

فمن خلال الآية الكريمة نفهم بأن الله تعالى وعد بإعادة الخلق وإرجاعهم للحياة كما بدأ خلقهم اول مرة، ولأنه ﷻ محض الكمال، فلا يمكن أن يخلف وعده.

الأمر الثاني: وعد الله يتبين من خلال ما يصل اليه المحسن وما يصل اليه المسيء.

يقول تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (ق: ٣١).

وقد أوضح الشيخ ناصر مكارم في أمثله هذه الآية بقوله: ﴿الآية الكريمة تصور كيفية دخول المتقين للجنة بمنتهى التكريم والتجلة... والطريف ان القرآن الكريم لا يقول وقرب المتقين من الجنة، بل يقول (أزلفت) - والزلفى بمعنى القرب - أي وقربت الجنة للمتقين...

ويتابع الشيخ قائلاً: وهذا الأمر لا يتصور تبعا للظروف الدنيوية وشروطها، ولكن حيث ان الاصول الحاكمة على العالم الاخر تختلف اختلافا بالغا عما هي في هذه الدنيا، فلا ينبغي التعجب اطلاقا ان يقرب الله الجنة للمتقين بدلا من أن يذهبوا هم اليها... وهذا منتهى اللطف الإلهي حيث لا يتصور فوقه لطف اخر. والتعبير بـ(غير بعيد) تأكيد على هذا المعنى ايضا﴾[1].

وفي تفسير علي بن ابراهيم: في قوله تعالى: (وأزلفت الجنة للمتقين) أي زينت. (غير بعيد)، قال: بسرعة﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٧ - ٣٠).

وهذه الآية نزلت في الامام الحسين عليه السلام، ونجد في الآية الشريفة أن الله تعالى يخاطب نفس الحسين عليه السلام بـ(ارجعي إلى ربك) ومقام

(١) انظر الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج(١٧) ص٤٨ – ٤٩.
(٢) البرهان في تفسير القران: مج (٧) ص٣٠٢.

الرجوع إلى الله تعالى عظيم، بل وحتى أعظم من مقام دخول الجنة، وقد نال الإمام الحسين عليه السلام هذا المقام.

ثم تشير الآية الكريمة إلى أمر آخر، وهو (فادخلي في عبادي) والمقصود بعبادي في الآية الكريمة هم الخواص والصفوة من عباد الله تعالى، وهم ذاتهم الذين أشار اليهم الحق تعالى في كتابه العزيز في مورد آخر ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا...﴾ (الفرقان: ٦٣)، وكذلك قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ...﴾ (الإنسان: ٦)

وإنما اشار إليهم الحق تعالى بكلمة العباد ولم يشر إلى حقيقة اسمائهم، لأنهم قد وصلوا إلى مراحل العبادة الحقة والمقام العالي، وهو مقام القرب من الله تعالى، وهذا المقام قد طلبه العديد من العباد، منهم السيدة آسيا زوجة فرعون ، حيث يقول تعالى على لسانها: ﴿...إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ...﴾ (التحريم: ١١)، حيث قالت عندك بيتاً ولم تقل بيتاً في الجنة. أي أنها رغبت أولاً في القرب الإلهي (عندك) ثم رغبت فيما يتحقق به هذا القرب الإلهي (في الجنة).

ثم تنتقل الآية فتقول ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، وهي ليست أي جنة، حيث نسبها الحق تعالى إلى نفسه، وهو المورد الوحيد في القرآن الكريم الذي ينسب فيه الحق تعالى الجنة لذاته. ومن هنا يتوضح مقام أهل البيت عليهم السلام على سائر الخلق اجمعين.

التفاتة:

وكذلك نجد الأمر واضحاً في موارد أخرى من القرآن الكريم منها:

يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ...﴾ (الأنفال: ٤).

و يقول تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّه...﴾ (آل عمران: ١٦٣).

فنجد الآية الأولى تقول ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ ولكن الآية الثانية تقول ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾.

أي إنه في بعض الأحيان يكون الإنسان له درجة، ولكن في أحيان أخرى يكون هو بحد ذاته درجة.

روي ﴿عن ابي الحسن الرضا عليه السلام انه ذكر قول الله: (هم درجات عند الله) قال: الدرجة ما بين السماء والأرض﴾[1].

هذا في المجال الإيجابي.

أما على المجال السلبي فنجد أيضاً أن الله تعالى يقول: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ...﴾ (هود: ٤٦).

فالآية عبرت عن ابن نوح بأنه عملٌ غيرُ صالح، ولم تقل بأنه عَمِل عملاً غير صالح. ففي المجال السلبي يمكن أن يكون الإنسان بحد ذاته عملاً غير صالح.

---

(١) البرهان في تفسير الميزان: مج(٢) ص١٢٩.

الأمر الثالث: الوعد الإلهي غير قابل للتغيير.

يقول تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ٩).

وهذا ما تقدمت الإشارة إليه من أن الله تعالى هو محض الكمال، وليس من الكمال في شيء أن يخلف وعده، بالإضافة إليه إنه ومن خلال الآية الحاضرة بين أيدينا نفهم أن الوعد الإلهي (المعاد) قطعي التحقق والوقوع، لأن الآية بينت أمرين في هذا الخصوص:

١ - ﴿لاَّ رَيْبَ فِيه﴾.

٢ - ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

وبذلك يكون المعاد -وهو الميعاد المشار اليه في الآية- لازماً وغير قابل للتغيير.

السبب السادس: ارتباط المعاد برحمة الله.

يقول تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ (الأنعام:١٢).

في الآية تجلٍ واضح على أن المعاد مرتبط برحمة الله تعالى، حيث سيدخل الإنسان المتقي إلى الجنة، ودخوله فيها إنما هو من نعم الله تعالى على الإنسان ورحمته به، وكذلك الحال مع الإنسان العاصي عند موته ودخوله النار، فهي رحمة من الله تعالى على العباد ليخلصهم من شره وبطشه بموته ، وكذلك رحمة من الله عليه لإيقافه عن ارتكاب المزيد من المعاصي والحد منها، قال تعالى: (وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ، فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (سورة الرحمن: ٤٤-٤٥).

السبب السابع: ارتباط المعاد ببرهان حركة الإنسان ومسيرته.

بالتأمل في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا...﴾ (الأعراف: ١٨٧) نفهم أن الله تعالى يريد تشبيه رحلة الإنسان في الحياة كرحلة في سفينة، لابد من أن تكون هناك نقطة انطلاق ونقطة انتهاء، ونقطة الانتهاء بالنسبة للسفينة هي وصولها إلى المرسى، أما نقطة نهاية الإنسان في الدنيا فهي موته وانتقاله إلى عالم الآخرة، مما يعني أن المعاد مرتبط بنهاية مسيرة الإنسان الحتمية.

السبب الثامن: ارتباط المعاد بظهور الحق.

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ...﴾ (النبأ: ٣٩).

الحق والباطل في الدنيا عند كثير من الناس اختلطا وتشابها كتشابه البقر على بني إسرائيل، الأمر الذي أدى إلى اختلاط الأوراق وضياع كثير من الحقوق، والحكمة الإلهية تقتضي أنه لابد من وجود يوم يظهر فيه الحق والباطل أمام الجميع، وهذا اليوم هو يوم القيامة، حيث تكون الولاية المطلقة لله تعالى، وهو الحاكم فوق العباد ليميز الحق من الباطل.

روي ﴿عن عبد الرحمن بن كثير قال: سالت ابا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: (هنالك لولاية لله الحق)، قال: ولاية امير المؤمنين عليه السلام﴾[1].

ومنه نفهم أن أحد الأمور التي ستتضح في يوم القيامة هي ولاية الأئمة عليهم السلام وتولي أهل البيت وأحقيتهم في ذلك ،وهذه الولاية الحقة هي من الأمور التي اختلطت عند كثير من الناس في الدنيا.

(١) الكافي: ج(١) ص٤٢٢.

المحطة السادسة: آثار التسويف وإنكار المعاد:

نحن نعتقد أن الله تعالى خلق هذا العالم وفق نظام الهدفية والغائية الحكيمة، وأنه تعالى لم يفعل بالإنسان إلا ما يؤدي به إلى كماله ويصب في مصلحته، وهذا يعني أن كل ما سيواجهه الإنسان في مسيرته سيكون له أثر فيها، فإن آمن بما أراده الله تعالى منه كان الأثر إيجابياً، وإلا كان الأثر سلبياً، وقبول أو إنكار المعاد يدخل ضمن هذه القاعدة.

ومن هنا، فكما أن لإنكار المعاد آثاراً معينة، كذلك لقبول المعاد آثارٌ معينة، وفي هذه المحطة سنتحدث عن آثار إنكار المعاد، ثم نتبعها في المحطة التالية ببيان آثار قبوله.

أن لإنكار المعاد آثاراً عديدة، نذكر منها:

الأثر الأول: التسافل والتثاقل.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨).

يظهر من هذه الآية الكريمة أن من الآثار التي تترتب على إنكار الإنسان للمعاد أو عدم إيمانه المطلق به، وعدم شعوره الوجداني بضرورة المعاد، هو عدم الجهاد في سبيل الله تعالى، أو التأخر في الاستجابة له، حيث إن الآية ناظرة إلى مرحلة الجهاد، فإذا انكر الإنسان المعاد والرجوع إلى الله تعالى، أخلد إلى الأرض (تثاقل) - وقد بيّنا سابقاً ما هي ثقافة الإخلاد إلى الأرض - ولم يجاهد، وهذا

يكون نتيجة عناد الإنسان وأعماله السيئة الطالحة، وهي حالة من التسافل والضعة.

الأثر الثاني: إحباط الأعمال.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٤٧).

يتجلى في هذه الآية الكريمة أثر آخر من آثار إنكار المعاد. وهو إحباط الأعمال ونسفها وعدم الاستفادة منها، والمقصود طبعاً هو الأعمال الصالحة، فهذا هو الجزاء الذي يستحقونه لأنهم أنكروا المعاد.

الأثر الثالث: فقدان البصيرة.

يقول تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٢).

إن الآية الكريمة تعطي نتيجة حتمية لمنكر المعاد في الدنيا، بأنه سيكون أعمى في يوم القيامة نتيجة لعمى بصيرته وقلبه وإنكاره للمعاد، وليس المقصود من العمى فيها هو عمى العين، فإنه لو كان المقصود هو هذا لأمكن للإنسان أن يحتج على الله تعالى بأنه (جلت قدرته) هو خلقه أعمى، وليس من العدل أن يُحشر أعمى، لأنه أمر خارج عن إرادته. وهذا أمر محال لأن ذلك ليس من العدل الإلهي، فإن الله تعالى لا يكلف نفساً شيئاً هي غير قادرة على تحمله ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا...﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وإنما المقصود بالعمى في الآية هو عمى البصيرة كما وضحنا وليس البصر.

الأثر الرابع: تجسيد مثل السوء.

يقول تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النحل: ٦٠).

فالذي لا يؤمن بالآخرة له مثل السوء، الأمر الذي سيجعله غير مرتدع عن ارتكاب أي معصية، بعكس من يؤمن بالمعاد، فإنه سيكون مقيداً بقوانين الله تعالى.

المحطة السابعة: آثار الاعتقاد بالمعاد:

بعد أن بيّنا اثار إنكار المعاد وما يترتب عليه، نأتي على بيان آثار الاعتقاد بوجود المعاد وما يترتب عليه أيضاً، ونذكر منها التالي:

الأثر الأول: عبادة الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس:٢٢).

من الآثار المترتبة على الاعتقاد بوجود المعاد والرجوع إلى الله تعالى، في يوم يحاسب فيه الإنسان على ما قدم في هذه الحياة الدنيا، أنه -أي هذا الاعتقاد- يكون دافعاً للتقرب إليه تعالى، وذلك يكون من خلال العبادة الخالصة لله الواحد الأحد الفرد الصمد.

الأثر الثاني: إطعام الطعام لوجه الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨).

يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان:١٥).

بنظرة خاطفة في تينك الآيتين الكريمتين يتضح لنا كيف أن الاعتقاد بوجود المعاد يؤدي إلى إطعام الطعام، فالخوف من ذلك اليوم (يوم القيامة) ينتج عنه إطعام الناس لوجه الله تعالى.

يُضاف إلى ذلك، إن الاعتقاد بالمعاد يؤدي إلى بناء الإنسان على عدة مستويات، منها المستوى العقلي، أي بناء العقل من خلال الاعتقاد والإيمان بالغيب، وكذلك على المستوى الذاتي، أي بناء

الذات من خلال -مثلاً- إقامة الصلاة، وعلى المستوى العملي، أي خدمة المجتمع من خلال التكافل الاجتماعي والإنفاق في سبيل الله تعالى، وهذا ما نجده واضحاً في أول آيات سورة البقرة، حيث بينت هذه الحقائق للمؤمن المتقي حيث تقول الآيات ﴿...هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ... وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٢ - ٤).

فكل هذه الأمور جاءت نتيجة اليقين بوجود المعاد.

الأثر الثالث: يولد طاعة وترك معصية.

يقول تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ[1]﴾ (المدثر: ٤٢ - ٤٦).

واضحٌ جداً للمتأمل أن الاعتقاد بالمعاد يولد الطاعة وترك المعصية، وهذه الطاعة التي يولدها الاعتقاد بوجود المعاد هي -مثلاً- إطعام الطعام، وقد بيّنا ذلك قبل قليل.

وكذلك يولد إقامة الإنسان للصلاة، والإقامة تعني أن يعطي الإنسان للصلاة حقها ، ولا يكون أداؤه لها من باب إسقاط الفرض فقط.

ومن الأمور التي يمكن أن يولدها الاعتقاد بيوم القيامة (المعاد) هو أن تكون بوصلة الإنسان متجهة باتجاه الحق وباتجاه طريق واحد مستقيم، وهو طريق الله تعالى ،بعكس من ينكر المعاد، فهو متذبذب

---

(١) أشار القرآن الكريم إلى مفردة (الدين) في مواطن عديدة سنوضحها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

دوماً، فنراه كل يوم مع فرقة من الفرق، وهذه ما عبّر عنه القرآن الكريم (وكنا نخوض مع الخائضين).

وبعبارة أخرى: إن الإيمان بالمعاد من شأنه أن يجعل الإنسان يسير نحو طريق، أما من لا يؤمن به فلا يكون للحق عنده أهمية كبيرة، مما يعني إمكان انحرافه.

الأثر الرابع: عدم بخس الناس حقوقهم.

يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (المطففين: ١ - ٥).

إن من الآثار المترتبة على الاعتقاد بالمعاد هو أن الإنسان لا يقوم بأكل حقوق الآخرين وأخذها غصباً، فالإنسان المعتقد بوجود يوم ترجع فيه الخلائق إلى الله تعالى وتتم محاسبتها على أعمالها لا يقوم بمثل هذه الأمور، لأنه يعمل على دفع الضرر المتوقع عن نفسه جراء حسابه على تلك الحقوق التي أكلها غصباً، فحتى يخلص نفسه من تبعات تلك الحقوق فإنه يعمل بقانون (الوقاية خير من العلاج) ويهرب من الوقوع في الحرام ذاك.

الأثر الخامس: الحث (الحض) على إكرام اليتيم

يقول تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ (الماعون: ١ - ٢).

إن الاعتقاد بالمعاد -الذي عبرت عنه الآية هنا بـ(يوم الدين)- يؤدي إلى إكرام اليتيم وعدم الاستهانة به، وقد أكد الحق تعالى على

إكرام اليتيم في عدة مواطن من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى: ٩).

الأثر السادس: الحث على الجهاد في سبيل الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ...﴾ (التوبة: ٤٤).

من الواضح أن الآية تتكلم عن الجهاد، وفيها يخاطب الحق تعالى رسوله الكريم ﷺ بـ(لا يستأذنك) أي إن المؤمن المتقي المعتقد بلقاء الله تعالى والمتيقن بالفوز بالجنة لا يستأذن النبي ﷺ للخروج معه للجهاد في سبيل الله تعالى، وإنما يذهب من تلقاء نفسه.

بعكس من أنكر وجود المعاد، فهو يستأذن النبي للبقاء في المدينة وعدم الخروج للجهاد ، لأن الشك قد دخل قلبه ولم يتيقن بوجود المعاد حقاً، كما تبين الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (التوبة:٤٥).

أقول:

وخير مصداق على هذه الآية الكريمة هم الأبطال الأشاوس من المتطوعين الذين لبوا نداء الحق تعالى من خلال المرجعية الرشيدة، وخرجوا للدفاع عن حرمات ومقدسات هذا الوطن، ولم يرتابوا ولم يخافوا ، لأن اعتقادهم بالفوز بالجنة ولقاء الله تعالى في يوم القيامة كان نابعاً عن عقيدة حقة راسخة وإيمان قوي ثابت غير متزعزع.

الأثر السابع: انشراح القلب لتعلم القرآن الكريم

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ.... وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة ١ -٣)

إن الآية تصرح أن أصحاب اليقين بالآخرة يمكن أن ينتفعوا من هداية الكتاب، فتكون صدروهم منشرحة لفهم ومعرفة الحقائق الإلهية.

التفاتة:

أشار القرآن الكريم إلى مفردة الدين في مواطن عديدة من القرآن الكريم، وركز على موطنين أكثر من غيرهما، ونحن سنبين أولا ما هي هذه المواطن، وبعدها سنبين على أي الموطنين ركز اكثر، وهذه المواطن هي:

مواطن الدين في القرآن الكريم:

هناك عدة مواطن يحل فيها الدين كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم، وهي التالي:

الموطن الأول: النظام المعرفي (العقلي) القيمي الأخلاقي سواء كان حقا أو باطلاً.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾ (آل عمران:٨٥).

واضح من الآية أن اعتناق غير الإسلام ديناً يكون غير مقبول (باطل)، ولكن بالرغم من ذلك فقد فأطلق عليه القرآن الكريم مفردة (الدين)، وهنا يكون النظام المعرفي القيمي باطلاً، أما إذا اعتنق الإنسان الإسلام واتخذه ديناً، فهنا يكون النظام المعرفي القيمي حقاً، ولكن الإنسان عندما يؤمن بالدين ويعتنقه، فإنه يجب عليه أن يأخذه

كاملاً من غير تجزئة ، وقد كمل الدين الاسلامي بولاية امير المؤمنين عليه السلام عندما نزلت الآيات الكريمة ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...﴾ (المائدة: ٣). والحر تكفيه إشارة.

الموطن الثاني: نظام معرفي قيمي حق فقط.

ومثال ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (التوبة:٣٦).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا...﴾ (يونس:١٠٥).

وأعلى مصداق الدين القيّم أو الدين الحنيف هو الحق فقط لأنه قيّم.

الموطن الثالث: الجزاء والمعاد والرجوع إلى الله تعالى.

وهو ما أشار له الحق جل وعلا بقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة:٤).

وبقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء:٨٢).

فأطلق مفردة (الدين) على المعاد.

الموطن الرابع: الشريعة والقانون.

يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (الحج: ٧٨).

فالآية الكريمة تشير إلى إقامة الصلاة، وإقامة الصلاة من الشرائع الاسلامية.

الموطن الخامس: الطاعة والتدين.

وهو ما نجده في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: ٢).

الموطن السادس: الاعتقاد القلبي (القناعة الداخلية).

وهو ما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ (البقرة:٢٥٦).

هذه هي المواطن التي أطلقها القرآن الكريم كمفردات وتطبيقات للدين بحسب التتبع، وفي كل المواطن السابقة ذكر القرآن الكريم مفردة الدين ، ولكنه ركز على موطنين أكثر من غيرهما وهما:

١ - العقيدة والشريعة:

حيث تحدثت الكثير من الآيات حول هذا الموطن، ومنها وله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦) وقوله تعالى: ﴿...يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ (النصر: ٢) وقوله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣).

٢ - القيامة:

وهو ما نجده في الكثير من الآيات أيضاً، ومنها قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤). وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات:٦). وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ (الماعون:١).

المحطة الثامنة: اختلاف قوانين عالم الآخرة عن قوانين عالم الدنيا:

الدنيا هي من أفضل العوالم التي يمر بها الإنسان من حيث إنها أفضل فرصة ليتكامل في مراتبه الوجودية، والتكامل هي الغاية الأسمى والهدف الأعلى لخلق الإنسان.

أما الآخرة فهي دار الجزاء، وعلى أثر أعمال الإنسان في الدنيا يكون جزاؤه في الآخرة.

يقول تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى﴾ (النجم: ٣٩ - ٤١).

فالآية صريحة وواضحة في تقسيم مراحل الإنسان، فالإنسان في الدنيا يعمل ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ وفي الآخرة تعرض أعماله على الله تعالى ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ ومن خلال تلك الأعمال سوف يكون مصيره إما جنة الخلد وإما النار ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى﴾.

الفرق بين قوانين عالمي الدنيا والآخرة:

هناك العديد من الاختلافات بين قوانين عالم الدنيا وعالم الآخرة سنبين عدداً منها وكالتالي:

الفرق الأول: إن قياس عالم الآخرة بعالم الدنيا هو قياس مع الفارق.

وقد يتبادر إلى الذهن **سؤال**، وهو: لماذا لا يمكننا قياس عالم الدنيا بعالم الآخرة؟

الجواب: ذلك لاختلاف القوانين التي تتحكم في هذين العالمين، فقوانين عالم الدنيا تختلف اختلافاً نوعياً كاملاً عن قوانين عالم الآخرة، هناك ما يُشير إلى هذه الحقيقة في آيات عديدة من القرآن الكريم، ومنها التالي:

قوله تعالى: ﴿...وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الواقعة: ٦١).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ...﴾ (إبراهيم:٤٨).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ...﴾ (الأنبياء:١٠٤).

ولو دققنا النظر في هذه الآيات الكريمة ، لوجدنا أن كل شيء في عالم الآخرة يختلف تماماً عن عالم الدنيا، ولكي نفهم هذا الاختلاف، فإننا بحاجة إلى الوحي الإلهي.

وهذا الوحي إما أن يكون عن طريق القرآن الكريم أو عن طريق أهل البيت عليهم السلام لأنهم مطلعون على عالم الغيب بأذن الله تعالى.

ولبيان أهمية هذا الوحي، نجد القرآن الكريم يوضحه من خلال عدة أمور نذكر منها:

أمور تبين أهمية الوحي.

الأمر الأول: ثقل الرسالة والوحي وما ينزل على النبي صلى الله عليه وآله.

إن القرآن يوضح ثقل الرسالة والوحي بشكل غريب، لما له من الأثر الكبير، فنجده يوصف السماء بأنها تكاد أن تتفطر، على الرغم من شدتها وإحكام بنائها ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (النبأ: ١٢)، ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا﴾ (النازعات: ٢٧)

فالآيات الكريمة توضح مدى إحكام بناء الله تعالى للسماوات وشدتها، ولكن على الرغم من ذلك فهي تكاد أن تتفطر من ثقل الرسالة ونزول الوحي كما يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ... تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ (الشورى: ٣ - ٥).

ومن هنا تتبين أهمية وعمق وعظم مكانة الرسول الأكرم ﷺ الذي تحمّل ثقل هذا الوحي الذي لا تتحمله حتى السماوات، رغم شدة بنائها وإحكامها، وهو في الحقيقة أمر خارج عن قابلية تصورنا وفهمنا له.

التفاتة:

بعد البحث في القرآن الكريم وجدنا موضعاً اخر تكاد السماوات أن تتفطر منه، ولكن هذه المرة ليس لنزول الوحي، وإنما للشرك بالله والدعوة إلى ذلك.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ...﴾ (مريم: ٨٧ - ٨٩).

وقد روي عن ﴿أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا). قال: هذا حيث قالت قريش ان لله ولدا، وان الملائكة اناث، فقال الله تبارك وتعالى ردا عليهم: (لقد جئتم شيئا إدا)،أي ظلما.(تكاد السماوات يتفطرن منه)، يعني مما قالوا ومما رموا به. (وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا)، مما قالوا (ان دعوا للرحمن ولدا). فقال الله تبارك وتعالى: (وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا، ان كل من في السماوات والأرض إلا أتيَ الرحمن عبدا، لقد احصاهم

وعدهم عدا، وكلهم اتيه يوم القيامة فردا) (مريم: ٩٢ - ٩٥) واحدا واحدا﴾[1].

الأمر الثاني: استعانة الناس بعضها ببعض.

يقول تعالى: ﴿...وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا...﴾ (الزخرف: ٣٢).

بالتأمل في مفردات الآية الكريمة نكتشف أن الإنسان لا يحتاج إلى الوحي الإلهي لمعرفة قوانين عالم الدنيا واختلافها عن قوانين عالم الآخرة فقط ، وإنما يحتاج إليه حتى لمعرفة قوانين عالم الدنيا.

فطبيعة الإنسان أن يحاول الوصول للكمال، وفي طريقه للوصول للكمال يحتاج إلى إنسان آخر يدله على الطريق الصحيح للوصول إلى الكمال، وهذا ما يسمى بالتسخير الذي ذُكر في الآية الكريمة ، ولهذا فإن الإنسان يحتاج إلى قوانين كي تنظم هذا التسخير.

فمرة يكون هذا القانون وضعياً (من وضع البشر) ، وهذا القانون قد ينظم عملية التسخير وقد لا ينظمها، اعتماداً على التزام الناس بالقانون.

ومرة يكون القانون إلهياً غيبياً، فإن حاجة الإنسان إلى القانون الإلهي تمتد إلى تنظيم عملية التسخير.

وقد يسأل سائل: ما الحاجة إلى القانون الإلهي مع وجود القانون الوضعي؟

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: مج٥ ص١٤٨.

والجواب: إن القانون الوضعي مهما بلغ درجة عالية من الرقي والحكمة، فإنه وبلا شك لا يصل إلى درجة العدالة والحكمة والانضباط التي تكون في القانون السماوي، وبهذا يكون الإنسان بحاجة إلى القانون الإلهي الذي يحقق العدل، وهذا القانون إنما يحصل عليه من خلال الوحي الإلهي.

الأمر الثالث: قضية الإرث.

يقول تعالى: ﴿...آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُم لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً...﴾ (النساء: ١١).

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: ما هي علاقة الإرث بالوحي الإلهي؟

و الجواب: في قضية الإرث لا يعلم الإنسان من يكون القريب إليه من البعيد، ولهذا السبب جعل الله تعالى لكل شخص قسماً أو نصيباً معيناً من الإرث، وهذا كله يتحدد عن طريق الوحي الإلهي.

وفي واقع الأمر هناك العديد من الأمور التي يحتاج فيها الإنسان إلى الوحي الإلهي لتنظيمها، سواء كانت أموراً دنيوية أو أموراً أخروية، وقد تركنا ذكرها لأن المجال لا يتسع لذكر كل تلك الأمور.

الفرق الثاني: تجسم الأعمال في عالم الآخرة بشكل يمكن أن تُرى.

يقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧ - ٨).

الأعمال تتجسم في عالم الآخرة من خلال رؤية الإنسان لهذه الأعمال (يره) ، فإن كانت أعمال خير فإنها تتجسم وتتشكل بشكل خير، وإن كانت أعمال شر فإنها تتجسم وتتشكل بشكل شر، ولهذا

نرى القرآن الكريم جسّد لنا صورة الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً بأكل النار ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا...﴾ (النساء: ١٠)، ولكنهم في الدنيا لا يشعرون بهذا الأمر لأن الأعمال لا تتجسم في عالم الدنيا وإنما التجسيم يكون في عالم الآخرة.

ولكن في الدنيا زود الله تعالى الإنسان بأجهزة استشعار، ومن جملتها : الضمير والوجدان، فهي بمثابة العصمة التي تعصم الإنسان من ارتكاب المعاصي، وهذا ما عبر عنه الإمام علي عليه السلام في دعائه على لسان الإنسان (اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم)[1].

فإذا كانت هذه الأجهزة تعمل بصورة صحيحة، فهي تشكل حالة العصمة لدى الإنسان، وعملها الصحيح يكون على حسب عمل الإنسان، أما إذا لوث الإنسان فطرته بارتكاب المعاصي، فحتماً سوف يتخلخل عمل هذه الأجهزة، بل قد تصل إلى حد التوقف عن العمل، وإذا توقف عملها فلا يبقى عندئذ رادع أمام الإنسان ليرتكب المعاصي.

التفاتة: روايتان حول تجسيم الأعمال في الآخرة:

الرواية الأولى:

﴿بالإسناد إلى امير المؤمنين صلوات الله عليه قال: ان ابن ادم كان في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة مثّل له ماله وولده

---

(١) مفاتيح الجنان.

وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول اني كنت عليك لحريصا شحيحا، فمالي عندك؟ فيقول خذ مني كفنك، ثم يلتفت إلى ولده فيقول والله اني كنت لكم لمحبا، واني كنت عليكم لمحاميا، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك ونواريك فيها، ثم يلتفت إلى عمله فيقول: والله اني كنت فيك لزاهدا، انك كنت عليّ ثقيلا، فماذا عندك؟ فيقول: انا قرينك في قبرك، ويوم حشرك حتى اعرض انا وانت على ربك، فإن كان لله وليا اتاه اطيب الناس ريحا، واحسنهم منظرا، وازينهم رياشا، فيقول: ابشر بروح من الله وريحان وجنة نعيم، قد قدمت خير مقدم، فيقول: من انت؟ فيقول: انا عملك الصالح، ارتحل من الدنيا إلى الجنة. وانه ليعرف غاسله، ويناشد حامله ان يعجله، فإذا ادخل قبره اتاه ملكان وهما فتانا القبر يجران اشعارهما، ويبحثان في الأرض بأنيابهما، واصواتهما كالرعد القاصف، وابصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول الله ربي ومحمد نبيي والاسلام ديني، فيقولان: ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قول الله: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا) (إبراهيم: ٢٧)،فيفسحان له في قبره مد بصره، ويفتحان له باباً إلى الجنة، ويقولان له: نم قرير العين نوم الشاب الناعم وهو قوله: (أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا واحسن مقيلا) (الفرقان: ٢٤)، وإذا كان لربه عدوا فإنه يأتيه اقبح الخلق رياشا، وانتنه ريحا فيقول له: ابشر بنزل من حميم، وتصليه جحيم، وانه ليعرف غاسله، ويناشد حامله ان يحبسه، فإذا دخل قبره اتياه ممتحنا القبر فألقيا عنه اكفانه، ثم قالا له: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول: لا ادري ! فيقولان

له: ما دريت ولا هديت فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق دابة إلا وتذعر لها ما خلا الثقلين، ثم يفتحان له باباً إلى النار، يقولان له: نم بشر حال، فهو من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج حتى ان دماغه يخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره، وانه ليتمنى قيام الساعة عما هو فيه من البشر﴾[1].

الرواية الثانية:

﴿عن ابي عبد الله عليه السلام: فإذا انا بقوم بين ايديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث وهم يأكلون الخبيث ويدعون الطيب، فسألت جبرئيل من هؤلاء؟ فقال الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال من امتك. قال: ثم مررت بأقوام لهم مشافر كمشافر الابل، يقرض اللحم من اجسامهم ويلقى بأفواههم، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هم الهمازون اللمازون، ثم مررت بأقوام ترضخ وجوههم ورؤوسهم بالصخر، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: الذين يتركون صلاة العشاء، ثم مضيت فإذا انا بأقوام يقذف بالنار من افواههم فتخرج من ادبارهم، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما، انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا، ثم مضيت فإذا انا بأقوام يريد احدهم ان يقوم فلا يقدر من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جرئيل؟ قال: فهم الذين يأكلون الربا ولا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وانهم لسبيل ال فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا، يقولون: ربنا متى تقوم الساعة؟ ولا يعلمون ان الساعة ادهى

---

(١) بحار الأنوار: مج٦ ص٢٢٤.

وامر، ثم مررت بنساء معلقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هن اللواتي يورثن اموال ازواجهن اولاد غيرهم..﴾[1].

الفرق الثالث: قانون مجازاة الأعمال في الآخرة.

إن قانون مجازاة الأعمال في الآخرة، يختلف اختلافاً كبيراً عنه في عالم الدنيا، ولهذا القانون عدة مصاديق في القرآن الكريم، نذكر منها التالي:

المصداق الأول: معصية تحبط جميع الحسنات.

بعض المعاصي التي يرتكبها الإنسان في الدنيا تذهب ببعض حسناته في الآخرة. ولكن هناك معصية واحدة قد يقوم بها الإنسان في الدنيا تكون سبباً في إحباط كل ما قام به من حسنات وأعمال صالحة.

يقول تعالى: ﴿...وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ...﴾ (البقرة: ٢١٧).

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في أمثله : ﴿فما اشد عقاب المرتد عن الاسلام لان ذلك يبطل كل ما قدمه الفرد من عمل صالح ويستحق بذلك العقاب الإلهي ومن الواضح ان الأعمال الصالحة لها اثار طيبة في الدنيا والآخرة والمرتدون سوف يحرمون من هذه البركات بسبب ارتدادهم، مضافا إلى محو جميع معطيات الإيمان الدنيوية للفرد...﴾[2].

(١) بحار الأنوار: مج٦ ص٢٣٩ - ٢٤١.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٢ ص١٠٧.

التفاتة:

ولاية الامام علي عليه السلام دين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة: ٣)، فالدين كمل بولاية الإمام علي عليه السلام وتنصيبه إماماً على المسلمين.

وهذا يعني أن الإمامة والولاية لها مدخلية وأساس في الدين كما وصفها الإمام الرضا عليه السلام في قوله ﴿إن الإمامة اس الاسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وامضاء الحدود والاحكام، ومنع الثغور والاطراف، الامام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة،...﴾[1]، ولذلك، فإن الذين ارتدوا عن ولاية الإمام علي عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله هم كمن ارتد عن الإسلام وعن الدين، وهؤلاء حبطت كل أعمالهم في الدنيا والآخرة، وهذه من الحقائق القرآنية المهمة.

المصداق الثاني: طاعة تمحو جميع السيئات.

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

هناك طاعات يأتي بها الإنسان في الدنيا تذهب بجميع السيئات، ولكن هناك طاعة واحدة قد يأتي بها الإنسان تمحو وترفع كل

---

(١) الكافي: ج(١) ص٢٠٠.

السيئات، حتى وإن كان قد وصل إلى حد الإسراف في ارتكاب المعاصي، وهذه الطاعة هي التوبة لله تعالى ولكن يجب أن تكون التوبة بمصداقها الحقيقي، أي تكون خالصة لله تعالى مع عدم الرجوع إلى الذنوب مرة أخرى.

المصداق الثالث: بعض الطاعات تكفر بعض السيئات.

يقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ...﴾ (هود: ١١٤).

ففي هذه الآية نجد أن الصلاة تُذهب السيئات، إذ إن سياق الآية يدل على أن المقصود أو أن أحد مصاديق الحسنات التي تذهب السيئات هي الصلاة.

المصداق الرابع: انتقال حسنات الإنسان إلى غيره.

يقول تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ...﴾ (المائدة: ٢٩).

هناك بعض الأعمال أو المعاصي التي يرتكبها الإنسان في الدنيا تكون سبباً في انتقال حسناته إلى غيره ، بل أحيانا تضاف سيئات غيره إلى سيئاته، ومن أبرز الأمثلة على هذه الأمر هو ابتلاء الغيبة.

المصداق الخامس: انتقال سيئات الإنسان إلى من أضلّه.

يقول تعالى: ﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾ (النحل: ٢٥).

تصرح الآية الكريمة بأن الإنسان يحمل وزره كاملاً يوم القيامة، وهذا ليس بالأمر الغريب على قوانين الدنيا، ولكن هناك أصنافاً من الناس يحملون أوزاراً إضافية فوق أوزارهم، وهذه هي أوزار من

كانوا هم سبباً في إضلالهم، الأمر الذي نجده واضحاً في قول الرسول الأكرم ﷺ (... ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئا) وكذلك قوله (... ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا).

المصداق السادس: حسنات تُبدل السيئات حسنات.

يقول تعالى: ﴿...فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان:٧٠).

فالآية تُشير إلى إمكانية تبدل السيئات نفسها إلى حسنات، وهذا من قوانين الآخرة.

المصداق السابع: حسنة تحسب للإنسان وتنقل منه إلى غيره.

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ (الطور: ٢١).

فالآية تصرح بأن صلاح الأبوين يؤثر على صلاح الأبناء.

المصداق الثامن: نقاط قرآنية متنوعة.

النقطة الأولى: الجزاء في عالم الآخرة يتوقف على العمل في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)، وقوله تعالى: ﴿...وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

النقطة الثانية: الجزاء يكون عادلاً في السيئات (جزاء السيئة بمثلها).

يقول تعالى: ﴿...مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ...﴾ (النساء: ١٢٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ (الأنعام: ١٦٠).

النقطة الثالثة: الجزاء يكون مضاعفاً في الحسنات (جزاء الحسنة بعشرة).

يقول تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا...﴾ (الأنعام:١٦٠)، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (الشورى: ٢٣).

النقطة الرابعة: جزاء الأعمال الصالحة يكون بغير حساب.

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ (القلم: ٣)، وقوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).[١]

النقطة الخامسة: الجزاء بالأحسن.

يقول تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ...﴾ (النور: ٣٨).

النقطة السادسة: استغفار الملائكة لأهل الإيمان من أهل الأرض.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾ (غافر: ٧).

يقول تعالى: ﴿...وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ...﴾ (الشورى:٥).

التفاتة:

نلاحظ في الآية الأولى انها قد حصرت استغفار الملائكة فقط للذين آمنوا، اما في الآية الثانية فقد شمل استغفار الملائكة كل أهل الأرض، فيتبادر إلى الذهن سؤال: هل الملائكة تستغفر لعموم من في الأرض أم فقط لأهل الإيمان؟

---

(١) التفاتة: الجزاء في الآخرة على مراتب، وبحسب قرب الإنسان من الله ومرتبته يكون جزاؤه.

الجواب:

الاستغفار يكون فقط لأهل الإيمان من أهل الأرض، حيث إن الملائكة ترى فقط نور أهل الإيمان، أما غير أهل الإيمان فهم في عداد الأموات، وهذا هو المقصود من استغفار الملائكة لأهل الأرض في الآية الثانية.

ويؤيده ما روي ﴿عن علي بن ابراهيم: قوله تعالى: (تكاد السماوات... ويستغفرون لمن في الأرض)، قال: للمؤمنين من الشيعة التوابين خاصة، ولفظ الآية عام ومعناه خاص﴾[1].

ومن هنا يمكننا الرد على الشبهة التي يطرحها غير اتباع أهل البيت، عندما قالوا : بأن الواسطة بين الرب والعبد غير موجودة، ووجودها يعتبر شركاً بالله.

إذ كيف تكون شركاً وقد أقر القرآن الكريم بوجودها في مواطن عديدة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ...﴾ (المائدة:٣٥)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ...﴾ (النساء:٦٤).

ففي هذه الآية دلالة واضحة على وجود الواسطة بين العبد والرب، وهو الرسول ﷺ الذي يستغفر للذين يعملون السيئات، وبالتالي فإن الله يغفر لهم نتيجة استغفار الرسول لهم.

---

(١) تفسير القمي: ج٢ ص٢٦٨.

الفرق الرابع: سهولة حصول الإنسان على ما يريده في عالم الآخرة.

يقول تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر:٣٤).

في عالم الدنيا نجد الإنسان عندما يريد شيئاً ما أو ينشد تحقيق شيء ما ، فإن حصوله على هذا الشيء سوف يمر بمراحل مختلفة، وقد يكون بعض هذه المراحل طويلاً، ويستمر لسنين حتى يحصل عليه الإنسان، أما في عالم الآخرة فلا يوجد مثل هذا القبيل ، فما يريده الإنسان يحصل عليه بكل سهولة.

الفرق الخامس: انعدام قانون السلطان والوجاهة في عالم الآخرة.

يقول تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾ (الحاقة: ٢٨ - ٢٩).

في هذه الحياة، نجد أن لمثل (السلطان والوجاهة) أهمية كبيرة في عالم الدنيا، أما في عالم الآخرة فإن مثل هذه الأمور تنعدم، ويكون الحكم خالصاً لله تعالى ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ...﴾ (الحج:٥٦) حيث إن كل إنسان سيأتي الرحمن بصفة العبد ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣) ويترك كل الألقاب خلفه في عالم الدنيا.

الفرق السادس: انعدام قانون الأنساب في عالم الآخرة.

يقول تعالى: ﴿...فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ...﴾ (المؤمنون: ١٠١).

يقول تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٦).

الأنساب وغيرها أو ما يشابهها من هذه القوانين تحكم الإنسان في عالم الدنيا فقط، أما في عالم الآخرة فالذي يحكم الإنسان عمله الصالح فقط، فلا النسب ينفع، ولا حتى أقرب الناس ينفعونه، كالزوجة والأولاد وغيرهم.

الفرق السابع: يمكن تدارك الأعمال السيئة في عالم الدنيا بالتوبة والاستغفار.

يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (مريم: ٦٠).

إن التدارك إنما يكون عن طريق الاعتذار، والذي يتمثل بالتوبة والاستغفار، وهذا يكون في الدنيا مقبولاً، أما في الآخرة ليس الاعتذار فقط غير مقبول، وإنما لا يسمح لهم بأن يعتذروا عن أعمالهم وأخطائهم كما يعبر القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات: ٣٦).

الفرق الثامن: يمكن تسيير الأمور بالأموال في عالم الدنيا.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ...﴾ (الشعراء: ٨٨).

ينتفع الإنسان في الدنيا بأمواله لتسيير أموره، وكذلك يمكنه الانتفاع من هذه الاموال في الآخرة، ولكن ليس لتسيير الأمور، وإنما ينتفع بها لأنها ستتحول إلى أعمال صالحة، تنير له قبره ودربه في عرصات يوم القيامة.

روي ﴿عن امير المؤمنين صلوات الله عليه قال: ان ابن ادم كان في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة مثّل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول اني كنت عليم لحريصا شحيحا، فمالي عندك؟

فيقول خذ مني كفنك، ثم يلتفت إلى ولده فيقول والله اني كنت لكم لمحبا، واني كنت عليكم لمحاميا، فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك ونواريك فيها، ثم يلتفت إلى عمله فيقول: والله اني كنت فيك لزاهدا، انك كنت عليّ ثقيلا، فماذا عندك؟ فيقول: انا قرينك في قبرك، ويوم حشرك حتى اعرض انا وانت على ربك...﴾[1].

الفرق التاسع: حل بعض الأمور في الدنيا بالفدية.

يقول تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ...﴾ (الحديد: ١٥).

أما في الآخرة فلا فدية تنفع الإنسان.

الفرق العاشر: اللذة في عالم الدنيا منقطعة، أما في الآخرة فتكون دائمة.

يقول تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا...﴾ (التوبة: ٢٢).

الفرق الحادي عشر: تقنين كل شيء في الدنيا بضوابط وقوانين.

نعم، لا تصل تلك الضوابط إلى حد الحرج والعسر، كما هو واضح من آيات القرآن الكريم.

وأما عن الآخرة فيقول تعالى: ﴿...نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء...﴾ (الزمر:٧٤).

فلحاظ الآية ناظر إلى عالم الآخرة، حيث إن كل شيء هناك سريع وسهل.

الفرق الثاني عشر: الملل الذي يصيب الإنسان في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦).

---

(١) بحار الأنوار: مج(٦) ص٢٢٤.

يقول تعالى: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ (الواقعة: ١٩).

فكل شيء في الدنيا تمله العين ، حتى وإن كان جميلاً، بعكس عالم الآخرة.

المحطة التاسعة: الأساليب التي طرحها القرآن الكريم للدعوة إلى الله تعالى.

ليس هناك أوضح من الشمس، وهي على ما هي عليه من الوضوح، إلا أن البعض قد يغفل عنها، فكيف بالاعتقادات، فإنها مهما كانت واضحة، فإن الشبهة يمكن أن تغطي شيئاً من وضوحها، وكذا الهوى، والإخلاد إلى الأرض، والغفلة، وغيرها من العوامل، ولذلك احتاج الإنسان إلى منبهات بين الفينة والأخرى ليتنبه على أمور واضحة، والمعاد من هذا القبيل، فرغم وضوحه ودلالة العقل قبل النقل عليه، إلا أن الإنسان يحتاج في بعض الأحيان إلى ما ينبهه على ضرورته، وقد استعمل القرآن العديد من الأساليب التي ينبغي استعمالها ليتنبه الإنسان على هذه الحقيقة وغيرها، ومن أراد أن يدعو الناس إلى المعاد والإيمان بالله تعالى، عليه أن لا يخرج عن هذه الأساليب القرآنية، وهي عديدة، نذكر منها الأساليب التالية:

الأسلوب الأول: أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

وهو من أرقى ما يمكن تصوره من الأساليب التربوية، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾ (النحل:١٢٥).

الأسلوب الثاني: أسلوب المجادلة بالتي هي احسن.

فالجدال ضرورة في بعض الأحيان، لكن يلزم أن لا يأخذ منحى المغالبة وإسكات الطرف الآخر ولو من دون حق، بل لا بد أن يكون بالتي هي أحسن، يقول تعالى: ﴿...وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥).

الأسلوب الثالث: أسلوب اللين واللطف.

فاللين عادة ما يؤدي إلى الاتفاق، يقول تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ...﴾ (آل عمران: ١٥٩).

الأسلوب الرابع: أسلوب التذكير.

فالنسيان آفة العلم والمعرفة، فلذلك يحتاج الإنسان إلى التذكير بالمهمات من الأمور، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (الأعلى: ٩). ويقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ (الغاشية: ٢١). ويقول تعالى: ﴿...فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق: ٤٥).

الأسلوب الخامس: أسلوب القصص التاريخية.

فمن شأن القصة أن توصل المراد بأسلوب ذكي يجعل الطرف الآخر متشوقاً إلى معرفته، يقول تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ...﴾ (يوسف: ٣).

الأسلوب السادس: أسلوب التمثيل والتشبيه.

وهو أسلوب بلاغي يوصل إلى الهدف بلباقة وذكاء، يقول تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً...﴾ (البقرة: ١٧). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ...﴾ (آل عمران: ٥٩).

يقول تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ...﴾ (البقرة: ٢٦١).

الأسلوب السابع: أسلوب المقارنة والمقايسة.

وهو أسلوب يدعو الإنسان إلى التفكر، وبالتالي الوصول إلى قناعة سلوكية معينة، يقول تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ (السجدة: ١٨).

يقول تعالى:﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢).

الأسلوب الثامن: أسلوب التركيز على المشتركات بين الخلق.

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

الأسلوب التاسع: أسلوب التدرج.

التدرج أسلوب استعمله الإسلام في تشريعاته في بعض الأحيان، لعدة حكم مذكورة في محلها، وكمثال على ذلك ما ذكروه في مسألة تحريم الخمر، التي مرت عبر عدة مراحل هي التالي:

المرحلة الأولى: يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ...﴾ (البقرة: ٢١٩).

المرحلة الثانية: يقول تعالى: ﴿...لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ...﴾ (النساء: ٤٣).

المرحلة الثالثة: يقول تعالى: ﴿...إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ...﴾ (المائدة: ٩٠).

الأسلوب العاشر: أسلوب الاستفهام.

إذ إنه يثير في النفس دفائنها، لتصل إلى الحقيقة، يقول تعالى: ﴿..فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٣). وقوله تعالى: ﴿...لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٥).

الأسلوب الحادي عشر: أسلوب إثارة العواطف.

وله عدة اتجاهات.

الاتجاه الأول: الاستفهام في إثارة العواطف.

أي ربط العقيدة أو التشريع بعاطفة تأبى المخالفة، يقول تعالى: ﴿...وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ...﴾ (الحجرات: ١٢).

الاتجاه الثاني: الاستفهام وإيقاظ الضمير.

أي طرح استفهام من شأنه أي يوقظ ضمير الإنسان من غفلة ألمت به، يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ...﴾ (الزمر: ٣٨).

الاتجاه الثالث: الاستفهام وإيقاظ العقول والفطرة.

أي إثارة دواخل الإنسان ليرجع إلى النظام الفطري الذي جعله الله تعالى في الإنسان ، يقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ، أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (الواقعة: ٦٣ - ٦٤).

الأسلوب الثاني عشر: أسلوب الحسم (الشدة).

إذ لا شك أن للشدة مواضعها التي لو لم تستعمل فيها لأدت إلى عكس المطلوب، فيكون من الذكاء في التعامل أن يكون التعامل شديداً في بعض الأحيان، يقول تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (يونس:٤١).

الأسلوب الثالث عشر: أسلوب الحوار.

وهو أسلوب ينفع في الذين يطلبون الحقيقة من دون عناد، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١).

الأسلوب الرابع عشر: أسلوب التلقين.

وهو أسلوب نافع للذين يقتنعون بسرعة، أو أنهم يتقبلون الفكرة بسرعة من دون تردد، ، يقول تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر:٢١).

الأسلوب الخامس عشر: أسلوب التكرار.

فإنه إن لم تنفع المرة الأولى فقد تنفع الثانية أو العاشرة، وهذا أسلوب متعارف خصوصاً في التعليم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر:١٤).

الأسلوب السادس عشر: أسلوب الانذار.

وهو التخويف من الوقوع في الضرر عند المخالفة، يقول تعالى: ﴿...لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ...﴾ (الكهف: ٢).

الأسلوب السابع عشر: أسلوب المخاطبة.

أي توجيه الخطاب بصورة مباشرة تجعل الطرف الآخر ينتبه لما يُقال له، يقول تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٥٨).

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (المؤمنون:٨٠).

الأسلوب الثامن عشر: أسلوب الترغيب والترهيب.

فالترغيب أسلوب يجعل المرء يميل إلى الالتزام بالمطلوب. يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...﴾ (الزمر: ٥٣).

وأما الترهيب فهو أسلوب يدفع الإنسان بقوة نحو التزام المطلوب. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ (التحريم: ٦).

المحطة العاشرة: أقسام الحقائق الاعتقادية:

إن الحقائق الاعتقادية على ثلاثة أقسام:

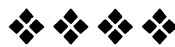
القسم الأول: الحقائق الاعتقادية التي تثبت من خلال العقل.

ومن الأمثلة على هذا القسم هي مسالة وجود الخالق، فهي من الحقائق الاعتقادية التي تثبت من خلال العقل البديهي، وكذا من خلال الدليل والبرهان، حيث يمكن الاستدلال على وجود الخالق من خلال مخلوقاته، وحركة الاستدلال هذه هي حركة فكرية عقلية.

وكذلك من الأمثلة على هذه الحقيقة هي حقيقة أن الخالق واحد، كما يقول القرآن الكريم ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا..﴾ (الأنبياء: ٢٢).

فإن وجود أكثر من اله سيؤدي إلى إفساد نظام السماوات والأرض، كما عبرت الآية الكريمة، ومعه فيكون انتظام هذا الكون الهائل من أكبر الدلالات على أن الخالق واحد. كما هو واضح من قول الشاعر:

وفي كـــل شـــيء لـــه آيـــة   تـــدل علـــى أنـــه واحـــد



القسم الثاني: الحقائق الاعتقادية التي تثبت من خلال الحس.

هذا القسم يقوم على الأدلة الحسية الملموسة، ومن أمثلته تثبيت الأنبياء لحقوقهم من خلال براهين حسية ملموسة، وهذه البراهين كانت على شكل معجزات وكرامات. ومن أمثلتها عصا موسى عليه السلام التي انقلبت إلى حيَّة ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه: ٢٠)،

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف: ١١٧).

وبذلك يكون النبي موسى عليه السلام قد أثبت حقانيته من خلال برهان أو دليل حسي ملموس، وهكذا الحال مع بقية الأنبياء.

القسم الثالث: الحقائق الاعتقادية التي تثبت من خلال الغيب والوحي.

هذا القسم لا يمكن لنا فهمه وإدراكه إلا من خلال الغيب والوحي، ومن الأمثلة على هذا القسم هو المعاد، حيث لا يمكننا معرفة ذلك العالم وما سيجري على الإنسان بعد موته إلا من خلال الوحي، وقد بيّنا سابقاً كيفية الاعتماد على الوحي في معرفة الفرق بين العالمين (عالم الدنيا وعالم الآخرة). بل وحتى في بعض أمور عالم الدنيا نحن نحتاج إلى الوحي لتبيانها ، وقد بيّنا ذلك مسبقاً أيضاً.

التفاتة:

كيفية تحصيل اليقين.

إن الهدف من خلق الإنسان هو الكمال. وكمال الإنسان يكون بالوصول إلى اليقين كما يقول تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩).

ولكن السؤال الذي ينبغي أن نسلط الضوء عليه قليلاً هو: من أين نحصل على اليقين؟

وهنا انقسم الفلاسفة فيما بينهم الى:

١ - **الفلاسفة العقليين:** قالوا نحصل على اليقين من خلال العقل فقط.

٢ - **الفلاسفة الحسيين:** قالوا نحصل على اليقين من خلال الحس والتجربة فقط.

٣ - **الفلاسفة الغيبيين:** قالو نحصل على اليقين من خلال الغيب فقط .

٤ - **النظرية الاسلامية:** قالت نحصل على اليقين من خلال كل الجوانب السابقة.

والوجه فيه: أن العالم ليس عقلاً فقط، ولا حساً ولا غيباً فقط، وإنما هو مزيج من هذه الثلاثة كلها، فهناك أمور عقلية نحصل من خلالها على اليقين المرتبط بالعقل، وهناك أمور حسية نحصل من خلالها على اليقين المرتبط به، وهناك أمور غيبية نحصل من خلالها على اليقين به أيضاً، ولا مانع من التداخل فيما بينها في حدود معينة.

وللتوضيح نضرب المثال التالي: مريض السكر لا يستطيع معرفة ارتفاع أو انخفاض السكر إلا من خلال التجربة (القياس) وهو بذلك حصل على اليقين من خلال الجانب المرتبط به.

فنظرة الاسلام هي نظرة شمولية، وليس كما فعل الفلاسفة السابقون حيث ركزوا على جانب وأهملوا بقية الجوانب ، وهنا يتضح الفرق بين النتاج الإلهي الشامل الكامل، وبين النتاج الإنساني المحدود، ولهذا فإن الإسلام يعتمد على الوحي لشموليته ، بعكس غيره.

تعامل القرآن الكريم مع مصدر الغيب:

كيف تعامل القرآن الكريم مع مصدر الغيب؟

سنبين ذلك من خلال عدة مصاديق:

المصداق الأول: علاقة عالم الدنيا بالدنيا:

ونذكر هنا نموذجين من الآيات الكريمة:

١ - يقول تعالى: ﴿...إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ (الرعد:١١).

إن الآية واضحة وصريحة في توضيح علاقة الدنيا بالدنيا، باعتبار أن من أراد إصلاح دنياه ، فعليه أولاً بإصلاح نفسه ، ويغيرها نحو الأفضل، وبالتالي فإن الله تعالى سيعينه على إصلاح دنياه.

٢ - يقول تعالى: ﴿...وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾ (الطلاق: ٣).

والآية مصداق آخر من مصاديق توضيح علاقة الدنيا بالدنيا، فإن من يتوكل على الله في الدنيا فسوف يفتح له الله أبواب الفرج في الدنيا قبل الآخرة.

المصداق الثاني: العلاقة بين عالم الآخرة وعالم الآخرة.

ونذكر هنا نموذجين أيضاً من الآيات الكريمة:

١ - يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبأ: ٣٨).

إن الآية ناظرة إلى عالم الآخرة ، حيث إن قيام الأرواح يكون في عالم الآخرة، على ان الآية ذكرت أن التكلم هناك يحتاج إلى إذن، ومن المعلوم أن التكلم في الدنيا لا يحتاج إلى إذن، مما يعني أنها ناظرة

إلى عالم الآخرة، ففي عالم الآخرة لا أحد يتكلم إلا بإذن من الله تعالى.

٢ - يقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ...﴾ (المؤمنون:١١).

وهذه الآية تشير إلى علاقة بين عالم الآخرة وعالم الآخرة، فإن نفخ الصور يكون من مقدمات عالم الآخرة، وفي ذلك العالم لا تبقى أنساب بين الناس، فإن ما يميز الإنسان هناك هي أعماله فقط.

المصداق الثالث: العلاقة بين عالم الشهادة (الدنيا) وعالم الغيب (الآخرة).

ونذكر هنا نموذجين أيضاً من الآيات الكريمة:

١ - يقول تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٢).

الآية الكريمة توضح العلاقة بين عالم الدنيا وعالم الآخرة. فإن المقصود من قوله تعالى: (من كان في هذه أعمى) أي في عالم الدنيا، فمن يكن في الدنيا أعمى -والعمى المقصود به في الآية هو عمى البصيرة وليس البصر كما تقدم- يكن أعمى في الآخرة، حتى وإن كان يبصر بعينيه ﴿...فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(الحج: ٤٦).

ففي الآخرة سيكون أعمى نتيجة عمى بصيرته في الدنيا، بل سيكون أضل سبيلاً كما عبرت الآية الكريمة.

وهذا بعكس من كانت بصيرته مفتوحة في الدنيا، فهو في الآخرة سيكون من المنعمين ومن المبصرين للطريق والمهتدين إليه.

٢ - يقول تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا...﴾ (الأنعام: ١٦٠).

والآية الكريمة توضح فرقاً آخر بين عالم الدنيا وعالم الآخرة، حيث إن من يعمل الصالحات في الدنيا يلقى جزاءه مضاعفاً في الآخرة، لأن العمل يكون في الدنيا ، والحساب والجزاء يكون في الآخرة، كما روي عن الرسول الأعظم ﷺ ما معناه: (الدنيا دار عمل دون حساب والآخرة دار حساب من دون عمل).[1]

المصداق الرابع: علاقة الشهود بالشهود.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ (العصر:٢- ٣).

إن الآية تتكلم عن عموم الإنسان وأنه في خسر، ولكنه يستطيع الخروج من هذه الدائرة -التي هي دائرة العموم- إلى دائرة الاستثناء: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...)

فالإنسان المؤمن بإيمانه وتقواه وعمله الصالح، يستطيع الخروج من هذه الدائرة العامة إلى الدائرة الاستثنائية. وهي توضح علاقة الشهود بالشهود، حيث وضحت الخسران في الدنيا وعمل الصالحات في الدنيا.

---

(١) في الخصال - الشيخ الصدوق - ص ٥١ عن رسول الله ﷺ : إن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الامل ، أما الهوى فإنه يصد عن الحق ، وأما طول الامل فينسي الآخرة ، وهذه الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وهذه الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، و لكل واحدة منهما بنون ، فان استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فافعلوا ، فإنكم اليوم في دار عمل ولا حساب وأنتم غدا في دار حساب ولا عمل .

المصداق الخامس: علاقة الغيب بالغيب.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

إن الله ﷻ من الغيب، وما في القلب كذلك من الغيب، لأنه ليس ظاهراً لكل أحد، وإنما لا يعلم به إلا الله تعالى، إذ هو تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، والآية الكريمة توضح بجلاء علاقة الغيب بالغيب، وهو ذكر الله تعالى عن طريق القلب، أي ذكر الغيب عن طريق الغيب. فمن كان يذكر الله تعالى بقلبه، فإن نتيجة هذا الذكر الذي هو من الغيب هي أن يطمئن القلب، والاطمئنان من الغيب لأنه ليس مشاهداً بالعين، بل هو حالة نفسية داخلية.

المصداق السادس: العلاقة بين الغيب والشهود[1] وتقديم الغيب على الشهود.

يقول تعالى: ﴿...وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ...﴾ (الطلاق:٢ - ٣).

إن تقوى الله من الأمور الغيبية ، فإن التقوى لا تُحس ولا تُمس ، وإنما تكون في داخل الإنسان، وعليه فالآية المباركة توضح علاقة الغيب بالشهود، وقد قدمت الغيب -التي هي تقوى الله- على الشهود.

المصداق السابع: العلاقة بين الشهود والغيب وتقديم الشهود على الغيب.

يقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧).

---

(١) الشهود: يقصد بها هنا من يشهد على الإنسان سواء كانت أعماله أو جوارحه وغيرها.

إن الآية الكريمة توضح علاقة الشهود -وهو العمل في الدنيا- مع الغيب -الذي هو الجزاء الذي يحصده الإنسان نتيجة عمله في الآخرة- وهي مصداق على توضيح العلاقة بين الشهود والغيب.

المحطة الحادية عشرة: المدارس المنكرة للمعاد:

هناك العديد من المدارس التي أنكرت المعاد ، نبيّن منها التالي:

المدرسة الأولى: المدرسة المادية.

أصحاب هذه المدرسة أنكروا المعاد، واعتقدوا بوجود حياة واحدة وهي الحياة الدنيا ، أي إنهم يعيشون في الدنيا للدنيا.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية:٢٤).

ونرى من خلال هذه الآية الكريمة أن القرآن قد ردّ على هؤلاء بقوله: (ومالهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون)

فإن اعتقادهم كان قائماً على الظن ، وليس لديهم أي دليل علمي أو واقعي يثبت صحة ادعائهم.

المدرسة الثانية: المدرسة التلفيقية.

أصحاب هذه المدرسة آمنوا بالمبدأ ولكنهم أنكروا المعاد، أي إنهم آمنوا بوجود الخالق ولكنهم أنكروا فكرة الرجوع إلى الخالق بالمعاد.

فمن حيث ايمانهم بالخالق، يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾ (لقمان: ٢٥).

اما عن إنكارهم للمعاد فيقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (سبأ: ٧).

المدرسة الثالثة: المدرسة الفلسفية.

أصحاب هذه المدرسة تبنوا فكرة أن المعاد روحاني فقط وليس جسمانياً، بمعنى آخر: إن الروح هي من تعود فقط، وليس الروح مع جسد الإنسان، في حين أننا نرى أن المعاد جسماني وروحاني، وهذا ما أثبتته النظرية الإسلامية من خلال العديد من القصص القرآنية ، مثل قصة عزير عليه السلام ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ... فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ... وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً﴾ (البقرة:٢٥٩)

فإنه عندما بعثه الله تعالى بعثه بروحه وجسده، وأراه تعالى كيف يكون إحياء الموتى وإرجاعهم للحياة، وكيف تكون لملمة عظام الإنسان من جديد وكسوتها باللحم مرة أخرى من خلال دابته (الحمار).

وكذلك من خلال قصة بني إسرائيل عندما قُتل واحدٌ منهم وأرادوا معرفة القاتل، حيث أمرهم الله تعالى بأنْ يضربوه ببعض البقرة ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى...﴾ (البقرة:٧٣)، فأرجعه الله تعالى بروحه وجسده وأخبر عن قاتله.

فالذي قدر على إرجاع الإنسان بروحه وجسده بعد الموت في الدنيا، قادر على إرجاعه مرة أخرى في المعاد بروحه وجسده أيضاً.

المدرسة الرابعة: المدرسة النفعية.

يقول تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ، يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ (القيامة: ٥ - ٦).

إن أصحاب هذه المدرسة ثبتت عندهم فكرة المعاد، ولكنهم أنكروا وجود المعاد بلسانهم ليتماشى ذلك مع مصالحهم، لأن اعتقادهم بالمعاد سوف يضر بمصالحهم وشهواتهم، لذلك أنكروا المعاد ، أي إن شبهتهم كانت قائمة على أساس عملي وليس علمياً، كما بيّنا ذلك سابقا في شبهات المنكرين للمعاد.

المحطة الثانية عشرة: أهمية المعاد:

تكمن أهمية المعاد من خلال أمور كثيرة، منها :معرفة أن مسيرة سلوك الإنسان مرتبطة باعتقاده الكوني، وهنا تعددت الرؤى والأفكار حول هذا المعتقد، مما أدى إلى تعدد سلوك الإنسان على أثره ، ونذكر من تلك الرؤى التالي:

الرؤية الأولى: الرؤية المادية:

إذا نظر الإنسان إلى الكون على أساس المادة (نظرة مادية) بغض النظر عن مصدر الكون من أين؟ والى ماذا سينتهي؟ فسلوكه في الحياة سوف يتبع اعتقاده ونظرته المادية.

يقول تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ...﴾ (النجم: ٢٩ - ٣٠).

فالآية الكريمة تشير إلى مستوى تفكير هؤلاء وعلمهم الذي اقتصر على هذا المستوى المتدني، لأن المقصود بالعلم في الآية هو العلم المادي الدنيوي الجهلي، وهو ذاته العلم الذي ادعاه قارون، عندما نسب ما يملك لنفسه ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي...﴾ (القصص:٧٨)

وكذلك قول قوم قارون الذين نظروا إلى الحياة بالنظرة المادية وتمّنوا ما عند قارون، فيقول تعالى على لسانهم ﴿...قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص: ٧٩)

ونجد من التفاتات القرآن الكريم الجميلة أنه وضع أهل الدنيا مقابل أهل العلم الذين قالوا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ...﴾ (القصص: ٨٠)، وهذا يوصلنا إلى حقيقة مهمة، وهي: إن أهل العلم هم أهل الآخرة، وأهل الدنيا هم أهل الجهل، لأنهم جهلوا باطن الحياة الدنيا وحقيقتها، واغتروا بمظاهرها، كما يعبر القرآن الكريم عنهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧)

فهؤلاء قد تركوا الأصل واغتروا بالظاهر، مع أن أصل الحياة الدنيا هو الباطن وباطن الحياة هي الآخرة ، لأن فيها الحياة الحقيقية، كما يعبر القرآن الكريم ﴿...وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت:٦٤).

التفاتة:

في مقابل العلم المادي الدنيوي هناك العلم الديني الأخروي، وأحد الأمور التي يولدها هذا العلم هو الخوف والخشية من الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ...﴾ (فاطر: ٢٨).

يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤٠ - ٤١).

فالعلم الديني الأخروي يولد الخشية والخوف من الله تعالى، وهذه الخشية والخوف تجعل الإنسان يصبح من أبناء الآخرة، بل من أبناء الجنة تحديداً.

ومن إعجاز القرآن الكريم أن هذا العلم الذي يولد حالة الخوف والخشية من الله هو ذاته يولد حالة اللا خوف (الاطمئنان).

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩).

فالذي يبلغ رسالات الله تعالى بالطبع يكون عالماً في الرسالة، وبما أنه عالم فهو من أصحاب العلم الديني الأخروي، وهذا العلم في الوقت الذي ولّد حالة الخوف والخشية من الله، ولّد حالة اللا خوف واللا خشية من غير الله تعالى. وهذا ما يثبته قول الامام الصادقعليه السلام، حيث يقول: ﴿من خاف الله اخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شيء﴾[1].

الرؤية الثانية: الرؤية التقليدية (القاصرة):

هؤلاء اتخذوا نمطاً من التفكير (أو اللا تفكير) مفاده اتباع ما تربوا عليه في بيئتهم، فكان سلوكهم ناتجاً عن متبنيات تفكير من يتبعونه، من دون أن يبحثوا أو يتعلموا، ومن دون التحقيق في صحة النتائج التي وصل إليها الآخرون، سواء على مستوى النظريات أو على مستوى الاعتقادات.

وعنهم يقول تعالى: ﴿...قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة: ١٠٤).

(١) الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ٦٨.

الرؤية الثالثة: الرؤية الدينية الاستدلالية المفهومة:

أصحاب هذه الرؤية اتبعوا الدين، ولكن بدرجة أعلى من أصحاب الرؤية التقليدية (القاصرة) ، حيث إنهم استدلوا على أحقية اتباع الدين من خلال البحث والتفكير، ووجدوا أن الدين هو المناسب للفطرة الإنسانية، ولكنهم على الرغم من ذلك بقوا ضمن إطار الاستدلال على إتيان الواجبات وترك المحرمات، وسلوكهم العملي بالطبع سيتحدد على إطار نظرتهم ورؤيتهم الاستدلالية.

الرؤية الرابعة: الرؤية الدينية التعمقية (الحقّية أو العرفانية):

أما أصحاب هذه النظرة، فنستطيع القول بأنهم جزء من أصحاب الرؤية الاستدلالية، ولكنهم أعلى درجة منهم، لأنهم وبعد البحث والاستدلال على أحقية اتباع الدين، عرفوا أن الدين هو المناسب لفطرة الإنسان، ليس فقط على المستوى العام، وإنما على كل المستويات، وهذا بالطبع سيفتح للإنسان آفاقاً وملكات تجعله يفرق بين الحق والباطل، أي إنه يجعل للإنسان حالة من التقوى كما يعبر القرآن الكريم ﴿...إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً...﴾ (الأنفال: ٢٩).

أي إن هؤلاء ارتقوا إلى مقام العبودية الحقة، وعن طريق هذا الإرتقاء انكشفت لهم هذه الحقائق، كما يعبر القرآن الكريم ﴿...فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿كَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (التكاثر: ٥ - ٦)

وسيتحدد سلوك هؤلاء بمقدار تعمقهم في الدين وعبوديتهم لله تعالى.

الرؤية الخامسة: الرؤية الدينية الكاشفة لكل الحقائق:

هذه الرؤية مختصة بمقام الأنبياء والأوصياء وعلى رأسهم النبي الخاتم محمدﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥)

إن الآية الكريمة تشير إلى انكشاف كل الحقائق لإبراهيم عليه السلام من خلال رؤيته ملكوت (غيب) السموات والأرض، وهي أعلى الدرجات، ولهذا فإن سلوك الأنبياء يتبع ما وصلوا اليه.

وكذلك هنا ينكشف أو يتضح الفرق بين الأنبياء وسائر الناس، وهذا ما نجده جلياً في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ...﴾ (الأعراف:١٨٥)

فالآية قالت (ينظروا) ولم تقل (يروا) والفرق هو أن المقصود بالنظر هو نظر التدبر والتفكر، أي نظر البصيرة. أما رؤية الأنبياء رؤية واقعية حقية.

وقد ذكرنا أن سيد هذه الدرجة هو النبي المصطفى محمد ﷺ الذي يعبر عنه القرآن الكريم ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (النجم:١٨)

وهو الذي وصل إلى مقام قاب قوسين أو ادنى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم:٩)

وإلى سدرة المنتهى ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ (النجم: ١٤- ١٦)

وهو ذلك المقام الذي لم يصل إليه قبله أحد ولا حتى الملائكة المقربون ولا حتى الأنبياء، فالنبي إبراهيم عليه السلام مع عظم منزلته وقربه

من الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ (النساء: ١٢٥) إلا انه لم يصل إلى تلك الدرجة العظيمة.

وبالطبع فان سلوكه ﷺ في الحياة تحدد على أساس ما وصل إليه من الدرجات العظيمة، أي إن سلوكه وخلقه سيكونان عظيمين أيضاً ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

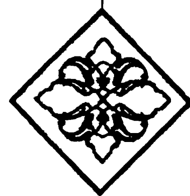
وكذلك الحال سيكون مع مَن هو نفس الرسول ﷺ ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام الذي يقول (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا)[1]

في حين أن إبراهيم الذي يعبر القرآن الكريم على لسانه ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي...﴾ (البقرة: ٢٦٠)

ومن خلال المقارنة بين مقولة الإمام علي عليه السلام وبين مخاطبة النبي إبراهيم عليه السلام رب العزة عن كيفية إحياء الموتى، يتضح مقام أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي يكون أعلى من مقام النبي إبراهيم عليه السلام وهو الخليل. وكذلك سلوك علي عليه السلام يتحدد على عظمة مكانته وما وصل إليه من الدرجات العالية.

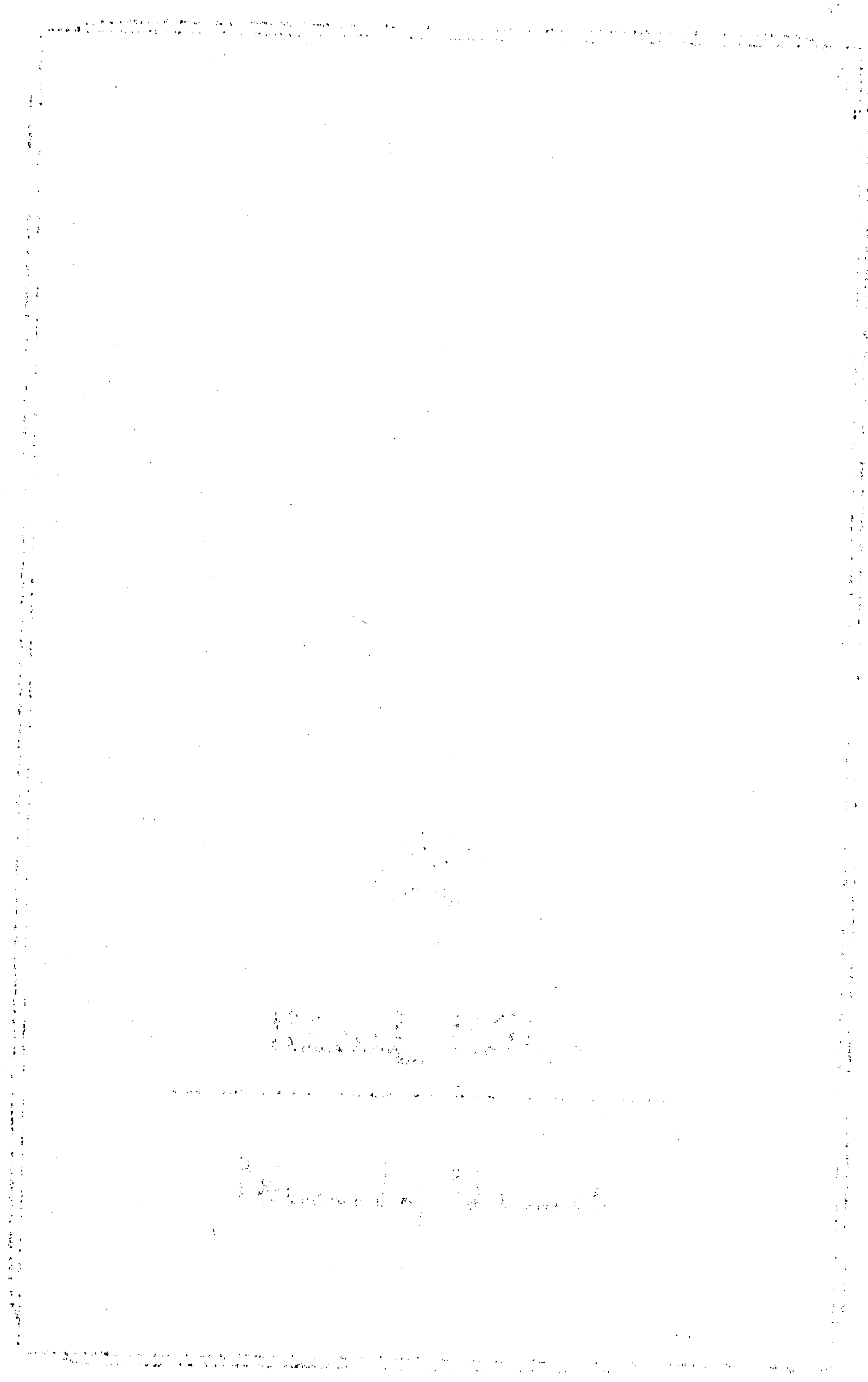
---

(١) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ١ - ص ٣١٧.



الفصل الثانى

أقســـام المعـــاد



للمعاد ستة أقسام، أربعة منها يعيشها الإنسان بين الحياة الدنيا والآخرة وهي (الاحتضار - الموت - مسائلة القبر - البرزخ)، واثنان يمثلان حالة الانتقال إلى عالم الآخرة وهما (الحشر والقيامة).

ولكن قبل الكلام عن أقسام المعاد ،هناك أمر مهم سنوضحه بشكل مختصر، وهو:

الوصية:

وهي من الخطوات المهمة التي على كل مسلم أن يعمل بها قبل الاحتضار أو في اثنائه.

يقول تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ...﴾ (البقرة: ١٨٠).

وسنتكلم عنها باختصار ضمن النقاط التالية:

النقطة الأولى: ما هي الوصية:

الوصية: هي ما يوصي به الإنسان من أعمال يقام بها من بعد وفاته.

النقطة الثانية: فضل الوصية:

إذا طالعنا الأحاديث الواردة عن النبي الأكرم ﷺ وآله الاطهارعليهم السلام، نجد أنها أكدت على الوصية بشكل لافت، فإن بعض هذه الروايات شدّدت على المسلم على كتابتها إلى الحد الذي دعته إلى أن لا ينام المؤمن إلا والوصية تحت رأسه.

﴿فعن الرسول الأكرم ﷺ: ما ينبغي لامرئ مسلم ان يبيت ليلته إلا ووصيته تحت رأسه﴾[1].

و ﴿عن الرسول ﷺ: من مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفورا له﴾ [2]. وقد اطلق عليها بعض الروايات تسمية راحة الموت **﴿فعن الامام الصادق عليه السلام قوله:** (ما من ميت تحضره الوفاة إلا رد الله عليه سمعه وبصره وعقله للوصية اخذ الوصية أو ترك وهي الراحة التي يقال لها راحة الموت، فهي حق على كل مسلم)﴾[3].

النقطة الثالثة: أقسام الوصية:

تنقسم الوصية إلى قسمين:

أ - الوصية التمليكية.

ب - الوصية العهدية.

وأحكامها تفصيلاً في الكتب الفقهية.

النقطة الرابعة: الحكم التكليفي للوصية:

تنطبق الأحكام التكليفية الخمسة على الوصية، وبيانها باختصار بالتالي:

أ - الوصية الواجبة: وتشمل حقوق الله تعالى وحقوق الناس.

ب - الوصية المستحبة: كأن يوصي المتوفى بصرف جزء من أمواله في أعمال الخير وما ينفع الناس.

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ١٩ - ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢)الكافي - الشيخ الكليني - ج ٧ - ص ٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص١٨٠.

ج - الوصية المكروهة: كأن يوصي المتوفى بصرف جزء من أمواله في غير مواضعها (كبناء قبره كلما اندرس أو انهدم).

د - الوصية المحرمة: كأن يوصي المتوفى بصرف جزء من أمواله في بناء مراكز الفساد وغيرها.

ه - الوصية بالمباح: كأن يوصي المتوفى بصرف جزء من أمواله في مواضع عامة لا نفع فيها ولا ضرر (كأمور التجارة وغيرها).

بعد أن عرفنا الوصية إجمالاً، نبدأ بتفصيل أقسام المعاد إن شاء الله تعالى.

القسم الأول: الاحتضار

الاحتضار هو أول المراحل أو الأقسام التي تأخذ الإنسان للانتقال إلى عالم الآخرة، ونتكلم فيه في عدة محطات:

المحطة الأولى: ما هو معنى الاحتضار؟

الاحتضار مأخوذ من الفعل (حضر) فهو من الحضور، أما من هو الذي يحضر، فهو ما سنعرفه بعد قليل إن شاء الله تعالى.

المحطة الثانية: لماذا سمي الاحتضار بهذا الاسم؟

هناك عدة آراء لتسمية الاحتضار بهذا الاسم، نذكر منها:

الرأي الأول: إنه سمي بالاحتضار لحضور الأهل والأولاد عند المحتضر.

الرأي الثاني: سمي بالاحتضار لحضور الملائكة، حيث إن الميت لا يموت إلا أن تحضر عنده الملائكة لقبض روحه، والملائكة تأتي على شكلين للمحتضر.

الشكل الأول: تأتي الملائكة بهيأة نعيم وسلام وكرامة للمحتضر.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٣٢).

الشكل الثاني: تأتي الملائكة بهيأة عذاب وتنكيل وجحيم.

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: ٥٠).

وفي أحد التفاسير ﴿إن العذاب يبدأ من الدنيا، حيث إن الملائكة الموكلة على قبض روح الميت في الدنيا تضربه على دبره ككناية عن ارتحاله من الدنيا، والملائكة التي تستقبله في عالم الآخرة تضربه على وجهه عند وصوله اليها﴾

ونجد أن الآية التي تلي الآية المتقدمة تعلل هذا العمل بما بيّنه تعالى بقوله ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال: ٥١).

ومن خلال هيأة الملائكة يعرف الإنسان مصيره، وأنه من أهل الجنة أو من أهل النار.

الرأي الثالث: سمي بالاحتضار لحضور النبي الأكرم ﷺ وأهل البيت عليهم السلام عند المحتضر، وحضورهم سيولد حالة من الطمأنينة والراحة للإنسان المحتضر، ويمكن تشبيه هذه الحالة بحالة الطفل الذي سرعان ما يمر بحالة من الوحشة، عندما يجد نفسه لوحده في مكان غريب من غير وجود أمه وأبيه، فوجود الأب والأم يولد حالة الطمأنينة عند الطفل، وهكذا الحال مع المحتضر، فهو يشعر بحالة من الوحشة والغربة ، وبحضور النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام تتولد حالة الاستقرار والهدوء لديه. وقد تواترت الروايات على حضورهم عليهم السلام ونذكر منها:

الرواية الأولى: ﴿عن الامام الصادق عليه السلام قال: ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلا ويحضره رسول الله ﷺ وامير المؤمنين والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) فيرونه ويبشرونه، وان كان غير موال لنا يراهم بحيث يسوؤه والدليل على ذلك قول امير المؤمنين عليه السلام

لحارث الهمداني: يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا﴾[1].

الرواية الثانية: ﴿عن الحارث الهمداني قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فقال: ما جاء بك؟ فقلت: حبي لك يا امير المؤمنين، فقال: يا حارث أتحبني؟ قلت: نعم والله يا امير المؤمنين، قال: اما لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وانا اذود الرجال عن الحوض ذود غريبة الابل لرأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وانا مار على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لرأيتني حيث تحب﴾[2].

الرواية الثالثة: ﴿عن سعد بن ابراهيم بن مهزيار،...،عن يحيى بن سابور قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول في الميت تدمع عينه عند الموت فقال: ذلك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله يرى ما يسره، قال: ثم قال: اما ترى الرجل إذا يرى ما يسره فتدمع عينه ويضحك؟﴾[3].

الرأي الرابع: سمي بالاحتضار لحضور الموت.

وهو ما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿...حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ...﴾ (النساء: ١٨).

وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا...)

(المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠).

---

(١) بحار الأنوار: مج ٦، ص١٨٠ – ١٨١.

(٢) نفس المصدر السابق: مج٦، ص١٨١.

(٣) نفس المصدر السابق: مج٦، ص١٨٢.

المحطة الثالثة: تسميات أخرى للاحتضار في القرآن الكريم

من خلال التأمل في آيات القرآن الكريم، نجد أنه أطلق على الاحتضار تسميات أخرى، منها:

التسمية الأولى: سكرة الموت.

وهي ما يظهر من قوله تعالى: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق:١٩).

وسكرة الموت يعبر عنها بأنها حالة نزع الروح واستعدادها لمفارقة البدن، وسميت بالسكرة لأن الإنسان في حال نزع الروح ينشغل بنفسه وينقطع عن الناس، فيكون كالسكران الذي لا يدري ما يقول ولا ما يقال له، وهي من أشد الحالات التي يمر بها المحتضر.

أقول: لتوضيح صعوبة هذه المرحلة نشبهها كالآتي:

إن الروح موجودة في كل عضو من أعضاء جسم الإنسان، فعندما يصاب الإنسان في أحد أعضائه، سوف يتقاسم كامل الجسم هذا الألم لتقليله في موضع الإصابة، أما في حالة نزع الروح، فأنها تبدأ بالسحب من كامل الجسم شيئاً فشيئاً، ولذلك لا يوجد مكان يخلو من الألم ليتقاسمه مع العضو الذي فيه الألم!

التفاتة: من إعجاز القرآن الكريم:

عند التدبر في القرآن الكريم نجد أن القرآن يستخدم مفردة (سكرة أو ما يقاربها) في موضع آخر، وهو الوقوف في المحشر. فهناك يكون حال الناس كالسكارى كما يعبر القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿...وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: ٢).

التسمية الثانية: بلوغ الروح الحلقوم

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ (الواقعة: ٨٣).

وُصف الاحتضار وتلك اللحظة الصعبة ببلوغ الروح للحلقوم، لأن روح الإنسان تجتمع في حلقومه قبل خروجها من الجسد تماماً، فإن خروج الروح يبدأ أولاً من القدمين ثم الرجلين فالبطن واليدين، ويبقى الحس والشعور والإدراك في الرأس، فيتكلم ويبصر ويسمع، ثم تبدأ روحه بالخروج من رأسه، فأول ما تخرج من اللسان فينعقد، ثم السمع، ثم البصر، ثم آخر منفذ تخرج منه الروح هو الفم والحلقوم، لأنهما يتوسطان جسد الميت[1].

التسمية الثالثة: بلوغ الروح التراقي[2]

يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ، وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (القيامة: ٢٦ - ٣٠).

روي ﴿عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: (وقيل من راق)، قال: وذاك قول ابن ادم إذا حضره الموت، قال: هل من طبيب؟ هل من دافع؟ قال: (وظن أنه الفراق) يعني فراق الأهل والأحبة عند ذلك، قال: (والتفت الساق بالساق)، قال: التفت الدنيا بالآخرة، قال: (الى ربك يومئذ المساق) إلى رب العالمين يومئذ المصير﴾[3].

(١) انظر موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ج٧، ص١٤٦.

(٢) التراقي: هي العظام المحيطة بأطراف الحلق.

(٣)الكافي - الشيخ الكليني - ج ٣ - ص ٢٥٩.

التسمية الرابعة: غمرات الموت.

وهذه التسمية مستفادة من قوله تعالى: ﴿...وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ...﴾ (الأنعام:٩٣).

المحطة الرابعة: مخاطر الاحتضار

هناك ثلاثة مخاطر كبيرة تواجه الإنسان في ساعة الاحتضار ، نذكرها ونستعيذ بالله تعالى منها، وهي كالآتي:

الخطر الأول: طول مدة الاحتضار.

ربما يبتلى البعض بطول مدة الاحتضار أو النزع، فهناك من يعيش سنوات وهو في حالة احتضار، وهناك من تكون فترة احتضاره قصيرة جداً، قد تستمر لثواني أو دقائق ، وفي الحالتين فإن المؤثر الأول فيها هو أعمال الإنسان في الدنيا.

الخطر الثاني: شدة النزع.

حيث يبتلى البعض بالعذاب نتيجة شدة نزع روحه، وهي تختلف من شخص لآخر أيضاً ، وتعتمد أيضاً على أعمال الإنسان التي قام بها في الدنيا، ويمكن أن تُلاحظ شدة النزع أو خفته على الإنسان المحتضر، فشدة النزع تؤدي إلى تغير ملامح المحتضر نتيجة العذاب الذي يمر به، أما خفة النزع فتلاحظ على المحتضر حالة من الهدوء والسكينة.

الخطر الثالث: العديلة.

وهي العدول عن العقيدة التوحيدية الحقة إلى الكفر بدل الإيمان، وهو أخطر ما يواجه المحتضر، وتكون بالاستسلام لدعوات الشيطان بالجحود ونكران الحق بعد المعرفة، حيث إن الإنسان في حالة الاحتضار يبحث عن أي مخرج للخلاص مما هو فيه، فيبدأ بالإذعان لوسوسة الشيطان الذي يغريه بأنه سوف يخلصه من أهوال تلك المرحلة بمجرد إعطائه الولاء، ولو بمجرد القول كما يعبر القرآن الكريم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (الحشر: ١٦)

وبعدها يتخلى عنه الشيطان!

وهذه مصيبة عظيمة قد يبتلى بها بعض المحتضرين في آخر لحظات عمرهم، وتعد آخر اختبار للمؤمن في دار الدنيا، وتكون نجاة الإنسان من هذه المصيبة العظيمة على مقدار تحصّنه وعصمته التي اكتسبها في حياته من خلال أعماله الصالحة وإخلاصه فيها.

المحطة الخامسة: ما ينفع المحتضر في ساعة الاحتضار:

هناك بعض الأمور التي إذا قام بها الإنسان في حياته فإن من الممكن أن تهون عليه حالة الاحتضار ونذكر منها الأمور التالية:

الأمر الأول: صلة الرحم وبر الوالدين.

فعن ﴿داوود بن كثير الرقي قال: سمعت ابا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: " من احب ان يخفف الله عنه سكرات الموت فليكن لقرابته

وصولا وبوالديه بارا، فإذا كان كذلك هوّن الله عليه سكرات الموت، ولم يصبه في حياته فقر أبدا"﴾[1].

الأمر الثاني: الدعاء.

فإن المؤمن يكون أرق قلباً وأشد حضوراً وانقطاعاً إلى ربه في ساعة الاحتضار، فلذا يستجيب الله تعالى له دعاءه.

﴿عن ابي عبد الله عليه السلام قال: "حضر رجلا الموت، فقيل يا رسول الله ان فلانا قد حضره الموت، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه اناس من أصحابه حتى اتاه وهو مغمى عليه. قال: يا ملك الموت كف عن الرجل حتى اساله فأفاق الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما رأيت؟ قال: رأيت بياضا كثيرا وسوادا كثيرا. قال: فأيهما كان اقرب اليك؟ قال: السواد. فقال النبي صلى الله عليه وآله: قل: اللهم اغفر لي الكثير من معاصيك، واقبل مني اليسير من طاعتك فقاله، ثم اغمي عليه، فقال: يا ملك الموت خفف عنه حتى اساله فأفاق الرجل، فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت بياضا كثيرا وسوادا كثيرا. قال: فأيهما كان اقرب اليك؟ فقال: البياض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: غفر الله لصاحبكم ". (قال: فقال ابو عبد الله عليه السلام: إذا حضرتم ميتا فقولوا له هذا الكلام ليقوله)﴾[2].

أقول: الواضح من الرواية أن السواد هي المعاصي والبياض هي الطاعات، وهذا ما أشرنا له سابقاً من أن أعمال الإنسان تتجسد له عند موته، وقد أوردناه في الاختلاف بين قوانين عالم الدنيا وعالم الآخرة.

---

(١) الأمالي (للصدوق): ص٤٧٣.

(٢) الكافي: ج٣، ص١٢٤ – ١٢٥.

الأمر الثالث: التوجيه نحو القبلة.

فعن ﴿امير المؤمنين عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على رجل من ولد عبد المطلب وهو في السَوق[1] وقد وجه لغير القبلة، فقال: وجهوه إلى القبلة فإنكم إذا فعلتم ذلك اقبلت عليه الملائكة واقبل الله عز وجل بوجهه فلم يزل كذلك حتى قبض﴾[2].

أقول: المقصود بإقبال الله تعالى على المحتضر إنما هو بمعنى الرحمة واللطف الإلهيين به.

الأمر الرابع: وضع المحتضر في مصلاه:

﴿عن ابي عبد الله عليه السلام: قال: ان ابا سعيد الخدري قد رزقه الله هذا الرأي وانه قد اشتد عليه نزعه فقال: احملوني إلى مصلاي فحملوه فلم يلبث ان هلك﴾[3].

و ﴿عن حريز قال كنا عند ابي عبد الله عليه السلام فقال له رجل: ان اخي منذ ثلاثة ايام في النزع، وقد اشتد عليه الأمر فادع له، فقال: (اللهم سهل عليه سكرات الموت) ثم امره فقال: (حولوا فراشه إلى مصلاه[4] الذي كان يصلي فيه فإنه يخفف عليه ان كان في اجله تأخير، وان كانت منيته قد حضرت فإنه يسهل عليه ان شاء الله تعالى)﴾[5].

---

(١) السَوق: هو النزع، وسمي بذلك لأن الروح تساق لتخرج من البدن.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٣٣.

(٣) الكافي: ج٣، ص١٢٦.

(٤) المصلى: هو اسم يشمل المكان الذي كان يصلي فيه والفرش الذي كان يصلي عليه.

(٥) طب الأئمة عليهم السلام: ص٧٩.

السر في نقل المحتضر إلى مُصلّاه:

ولعل وضع الميت في مصلاه له عدة تفاسير[1]:

١ - إن محل مصلاه هو محل عروج روحه الذي اعتاد عليه في الدنيا، فيسهل على الروح العروج لعدم استيحاشها منه.

٢ - إن مصلى العبد محل حضور الملائكة، فتدعو له بالتيسير.

٣ - لأن المؤمن معتاد على ذكر الله والصلاة والدعاء في هذا المكان، فوضْعُه فيه يوجب استذكاره للدعاء والذكر، أو يكون متذكراً لموضع الرجاء والأمل وحسن الظن بالله.

وهناك عدة روايات تُشير إلى هذا المعنى -أي إلى استحباب نقل المحتضر إلى مصلاه-، ومنها التالي:

١ - ﴿ورد عن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام انها حينما دنت وفاتها اغتسلت ولبست ثيابا جددا، واضطجعت في مكانها الذي تصلي فيه، واستقبلت القبلة حتى فارقت الدنيا﴾[2].

٢ - ﴿وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: (... إذا اشتد عليه نزع روحه فحوله إلى المصلى الذي كان يصلي فيه أو عليه، واياك ان تمسه، وان وجدته يحرك رجليه أو يديه أو رأسه فلا تمنعه من ذلك)﴾[3].

---

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: مج٧، ص١٦٩ - ١٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨، ص٢٤٦. **أقول**: الرواية طويلة ذكرناها باختصار، ومن أراد الفائدة فليراجع المصدر المذكور.

(٣) فقه الرضا عليه السلام: (باب غسل الميت وتكفينه)، ص١٦٥. أقول: الرواية طويلة ذكرناها باختصار، ومن أراد الفائدة فليراجع المصدر المذكور.

أسباب المنع من مس المحتضر:

لاحظنا في الرواية أن الامام الرضا عليه السلام ينهى عن مس المحتضر، ولعل السبب في عدم مسه يعود إلى أسباب منها[1]:

١ - إن مسه يمنع من خروج روحه.

٢ - إن الحركة نفسها تساعد على خروج الروح ، لأنها (الروح) تجتث من سائر أعضاء البدن، فمنعه من الحركة يؤدي إلى أذى المحتضر.

٣ - إن مس الميت يقطع ارتباطه بعالم الآخرة ويشغله عنه، فتطول عليه مدة النزع أو تؤذيه.

٤ - إن مسه يزيده ضعفاً، فيكون إعانة على موته.

الأمر الخامس: قراءة سورة الصافات عند المحتضر.

روي ﴿عن سليمان الجعفري قال: رأيت ابا الحسن عليه السلام يقول لابنه القاسم: قم يا بني فاقرأ عند رأس أخيك، والصافات صفا، تستتمها فقرأ فلما بلغ ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ (الصافات:١١)، قضي الفتى، فلما سجي وخرجوا أقبل عليه يعقوب بن جعفر فقال له: كنا نعهد الميت إذا نزل به الموت يقرأ عنده ﴿يس ، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ (يس: ١ - ٢) فصرت تأمرنا بالصافات؟ فقال: يا بني لم تقرأ عند مكروب من الموت إلا عجل الله راحته﴾[2].

الأمر السادس: المواظبة على دعاء العديلة.

وهذا ما أشارت له عدة روايات، منها:

---

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: مج٧، ص١٦٨ - ١٦٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٨، ص٢٣٨.

ما روي ﴿عن صفوان بن مهران. عن ابي عبد الله عليه السلام قال: ان الشيطان ليأتي الرجل من اولياءنا عند موته عن يمينه وعن يساره ليصده عما هو عليه فيأبى الله له ذلك، وكذلك قال الله: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (إبراهيم:٢٧)﴾[1].

ومنها ما روي ﴿عن ابي خديجة، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: ما من أحد يحضره الموت إلا وكل به ابليس من شيطانه ان يأمره بالكفر ويشككه في دينه حتى تخرج نفسه، فمن كان مؤمنا لم يقدر عليه، فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله حتى الموت﴾[2].

وفي رواية ثالثة قال: (فلقنه بكلمات الفرج والشهادتين وتسمي له الاقرار بالأئمة عليهم السلام واحدا بعد واحد حتى ينقطع عنه الكلام)﴾[3].

التفاتان:

الالتفاتة الأولى:

هناك سبع قواعد أورثت سبعاً في ثقافة القرآن الكريم:

القاعدة الأولى: اتّباع النفس يورث الندم

يقول تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٣٠).

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦، ص١٨٨.

(٢) الكافي: ج٣، ص١٢٣.

(٣) نفس المصدر السابق: ج٣، ص١٢٤.

فاتّباع النفس الأمارة بالسوء في أمور سيئة -كالقتل وغيرها- يورث الندم في الدنيا والعذاب في الآخرة، ولكن إذا تدارك الإنسان نفسه وندم على ما فعل، وكان لديه متسع من الوقت للتوبة، فقد ينجو، ولكن الأمر الأصعب هو أن يندم الإنسان على فعله وما اقترفت يداه، في وقت يكون الأوان فيه قد فات، ولا يكون هناك متسع من الوقت للندم، كالاحتضار أو في البرزخ أو عند حضور الموت، قال تعالى ﴿وَلَيْسَت التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ...﴾ (النساء: ١٨) فعندئذٍ لا تقبل توبته، ولذلك على الإنسان أن لا يتبع أمر نفسه في كل شيء ، وأن يشعر بمراقبة الله تعالى له في كل مكان.

القاعدة الثانية: اتّباع الهوى يورث الخساسة

وهذا ما توضحه عدة آيات كريمة، منها قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث...﴾ (الأعراف: ١٧٦).

ففي هذه الآية يمثل الله تعالى من يتّبع هواه بأنه كالكلب، والعياذ بالله، ومصيره يكون الخزي والعذاب يوم القيامة كما يعبر القرآن الكريم ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (آل عمران: ١٩٢)

فاتّباع الهوى من الأمور الخطيرة جداً في الحقيقة، وهي مما حذر منه أئمة أهل البيت عليهم السلام ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «ايها الناس

ان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى، وطول الامل. فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، واما طول الامل فينسي الآخرة﴾[1].

وفي المقابل يضع القرآن الكريم صورة من ينهى نفسه عن اتباع الهوى وزجرها ويكون مسيطراً عليها ، فإن جزاءه سيكون الجنة، فهي نعم المأوى له، كما يعبر القرآن الكريم ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤٠ -٤١).

القاعدة الثالثة: اتّباع الشهوات يورث الكفر

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿...وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم:٥٩).

إن اتباع الشهوات يؤدي إلى غواية الإنسان.

ومن الطريف أن أهل النار حتى وهم في النار لا يفكرون إلا في شهواتهم، وذلك لأنهم في الدنيا كانوا لا يفكرون إلا في الشهوات ،كما يعبر عنهم القرآن الكريم ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ...﴾ (الأعراف: ٥٠).

القاعدة الرابعة: اتباع الظالمين يورث نار جهنم.

وتعبيراً عن ذلك يقول تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ... كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: ١٦٦ - ١٦٧).

---

(١) نهج البلاغة: ج١، خ٤٢.

إن اتباع الظالمين لا ينحصر بتنفيذ أوامرهم فقط، وإنما يشمل حتى الرضا بأفعالهم، فمجرد الرضا بفعل الظالم يجعل من الإنسان متبعاً له، والطريف أن أهل النار لا يتبرأ أحدهم من الآخر عندما يرون العذاب فقط، وإنما حتى وهم في النار يتلاعنون فيما بينهم ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (الأعراف: ٣٨)

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على سوء أخلاقهم ، لأن أخلاقهم في الدنيا كانت سيئة، وفي المقابل نجد أن أخلاق أهل الجنة حسنة، فهم يتباشرون بالقادم إليهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣).

القاعدة الخامسة: اتباع الطواغيت يورث الغرق في الدنيا والأخرة.

يقول تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ (الإسراء:١٠٣).

إن الآية ناظرة إلى قوم فرعون الذين رضوا بفعله، فكانت عاقبتهم أنهم أُغرقوا معه، ولهذا فإن الأصل هو أن نبرء من الطواغيت، لأن مجرد الرضا بفعل الظالم يجعل الراضي في قافلته، إذ هذا يحفز الظالم على الاستمرار بظلمه وطغيانه، ففرعون عندما استعلى واستكبر، رضي بفعله آل فرعون، فكانوا أدوات قوته، فلذلك شملهم الغرق والعذاب.

وهذا المعنى نفسه يكون في الجانب الإيجابي، وفي إشارة إلى ذلك المعنى روي ﴿عن عطية العوفي خرجت مع جابر بن عبد الله الانصاري (رحمه الله) زائرين قبر الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام،... لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه، قال عطية: فقلت يا

جابر: كيف ولم نهبط واديا ولم نعل جبلا ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وابدانهم وأوتمت اولادهم وارملت ازواجهم؟ فقال: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: من احب قوما حشر معهم ومن احب عمل قوم اشرك في عملهم...»[1].

وكذلك نجد الأمر في زيارة عاشوراء المروية عن الإمام الباقر عليه السلام يقول: «لعن الله امة قتلتك ولعن الله امة ظلمتك ولعن الله امة سمعت بذلك فرضيت به».

فهنا نجد أن الملعون في الزيارة ليس فقط من باشر بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وإنما حتى من سمع بذلك ورضي به وإن لم يشترك بالقتل، مما يعني أن مجرد السماع والرضا بفعل من قتل الامام الحسين عليه السلام يجعل الراضي شريكاً بقتل الامام الحسين عليه السلام.

القاعدة السادسة: اتباع إبليس يورث الدخول في جهنم.

وهذا أمر واضح جداً، يقول تعالى: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُوراً﴾ (الإسراء: ٦٣).

القاعدة السابعة: اتباع النبي وآله الأطهار يورث حب الله تعالى للعبد.

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ...﴾ (آل عمران:٣١).

من خلال الآية الكريمة يتضح أن حب النبي ﷺ وأهل بيته (سلام الله عليهم) لا يؤدي بالإنسان إلى الجنة فحسب، وإنما يؤدي إلى حب

---

(١) بشارة المصطفى: ص١٢٦. أقول: الرواية طويلة ذكرنا منها موضع الحاجة.

الله تعالى للعبد، وهي مرتبة أعظم من مرتبة دخول الجنة، لأن الله تعالى إذا أحب عبداً نظر إليه نظرة الرحمة.

وبعد كل هذا نستنتج حقيقة مهمة، وهي:

إن الأعمال إذا كانت طيبة صالحة، فأثرها يكون واضحاً في الدنيا، وكذلك ثمرتها في الآخرة ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ...﴾ (الأعراف: ٩٦)

وكذلك الحال إذا كانت الأعمال طالحة خبيثة، فأثرها يكون في الدنيا واضحاً على الإنسان ، وكذلك يلقى الإنسان جزاءها في الآخرة ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

الالتفاتة الثانية:

ما يعتمد عليه الإنسان في الدنيا ولا ينفعه في الآخرة:

هناك بعض الأمور تنفع الإنسان في الدنيا، ولكن نفعها ينقطع في الآخرة، ومنها:

الأمر الأول: المال والبنون:

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨ - ٨٩).

فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا كما يعبر القرآن الكريم ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ (الكهف: ٤٦)، ولكن هل من الممكن أن يمتد نفع المال والبنين إلى الآخرة؟

والجواب : نعم بشرط أن يوظفهما الإنسان في الدنيا لأعمال البر والخير، وإلا فلا.

الأمر الثاني: المكر والخديعة لبلوغ المقاصد:

يقول تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر: ١٠).

فالإنسان الذي يعتمد في الدنيا على التحايل والمكر والخداع لبلوغ مقاصده، قد ينتفع منها في الدنيا، ولكن في الآخرة لا تنفعه هذه الحيل ، بل ويكون لها أثر سلبي كبير كالعذاب الأليم وغيره.

الأمر الثالث: فصاحة اللسان وقوة البيان في الدنيا لجعل الباطل يسود مكان الحق.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبأ: ٣٨).

إن فصاحة اللسان قد تنفع الإنسان في الدنيا ، وتجعله يظهر الباطل مظهر الحق[1]، ولكنها لا تنفعه في الآخرة، لأن الكلام هناك لا يكون إلا بإذن من الله تعالى، وليس للجميع ، وإنما لأناس معينين، كما تعبر الآية الكريمة (إلا من اذن له الرحمن وقال صوابا).

الأمر الرابع: العزة والكرامة والتباهي بها على أثر الوجاهة والغنى.

يقول تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ، ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (الدخان: ٤٦ - ٤٩).

(١) طبعاً وقد تنفعه في إظهار الحق ونشره والدفاع عنه.

من خلال الآية الكريمة نجد أن كل ما يحصل عليه الإنسان في الدنيا من مراتب ومراكز شرفية، هي في الحقيقة من نعم الله على الإنسان، ولا يجوز له أن يتباهى بها أمام الناس، وعليه أن يضع في حسبانه أن هذه المراتب سيتركها في الدنيا ولا يحمل منها شيئاً إلى الآخرة ، إلا إذا وظّفها في الدنيا لطاعة الله تعالى وخدمة الناس والمجتمع، ففي هذه الحالة سيحصل على ثمرتها في الآخرة.

الأمر الخامس: الأصدقاء:

يقول تعالى: ﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف:٦٧).

إن الأصدقاء في الدنيا من الأمور المهمة للإنسان، كون الإنسان بطبعه مدنياً ويحتاج إلى أقران يتواصل معهم، ولكن عليه أن يكون دقيقاً في اختيار الأصدقاء ، لأن بعض الأصدقاء سيكون عدواً للإنسان في الدنيا قبل الآخرة ويجره إلى المهالك والويلات. أما إذا اختار أصدقاءه على أساس طاعة الله تعالى، فبالتأكيد سيكون لهم نفع في الدنيا والآخرة ، وهذا هو معنى الاستثناء الذي جاء بالآية.

الأمر السادس: العشيرة:

يقول تعالى: ﴿...فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾ (المؤمنون:١٠١).

فالعشيرة هي جناح الإنسان في الدنيا، ويده ولسانه، ولكنها في الآخرة لا تنفعه، إذ سيكون لكل فرد من أفراد العشيرة شأن يغنيه ويشغله عن غيره.

الأمر السابع: الحرس والحماية:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ...﴾ (الأنعام: ٩٤).

إن الإنسان يفد على الله تعالى لوحده في يوم القيامة ، ومعه عمله الذي جاء به من الدنيا فقط، ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم:٩٥)

وليس هناك مجال لوجود الحرس والحماية في ذلك اليوم، والطريف أن القرآن الكريم يصور لنا حالة المرء في يوم القيامة، ويصور كيفية فرار المرء من أهله ، بل إنه يفر من أقرب الناس إليه، كما يعبر القرآن الكريم ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس: ٣٤ - ٣٧).

أقول: بعد كل هذا يتضح أن الذي ينفع الإنسان في آخرته هو إيمانه وأعماله الصالحة واتباع الوسيلة الصحيحة التي توصل الإنسان إلى الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ...﴾ (المائدة: ٣٥).

القسم الثاني: الموت

هو القسم الثاني من أقسام المعاد، وهو عبارة عن انتقال الإنسان من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ومن عالم إلى عالم آخر ، وليس هو انتقالاً إلى العدم كما قد يُتوهم.

وللموت عدة محطات نبين منها التالي:

المحطة الأولى:

وهنا خطوتان:

الخطوة الأولى: مفارقة الروح للجسد:

ومعنى مفارقة الروح للجسد أي خروجها من جسد الإنسان وبقاءه من دون روح، ولتوضيح العلاقة بين الروح والجسد نضرب المثال التالي ونوضحه من خلال ثلاث حالات:

يمكن تشبيه الجسد بالسيارة ونشبه الروح بالسائق، وهنا ثلاث حالات:

الحالة الأولى:

عندما تكون السيارة في حالة عمل والسائق موجود داخلها، وهذه الحالة تشبه حالة الإنسان في الحياة واليقظة.

الحالة الثانية:

السيارة تكون في حالة عمل ولكن السائق غير موجود داخلها، وهذه الحالة تشبه حالة النوم عند الإنسان (وقد ذكرنا سابقاً أن النوم هو أحد الأدلة على الموت) فعندما ينام الإنسان، فإن أعضاءه

الداخلية تبقى في حالة عمل، كالقلب والكلى والكبد، والذي ينام هو الجسد، أما الروح فتغادر جسد الإنسان إلى جسمه المثالي.

والظاهر من ثقافة القرآن أن الإنسان له جسد عنصري، وهو الجسد الذي يمتلكه في الدنيا، والذي تكون الروح داخله، وله جسد آخر وهو الجسد المثالي - شفاف - .

ومن الفوارق بين الجسدين: أن الجسد العنصري لا تظهر عليه آثار أعمال الإنسان التي يقوم بها في الدنيا، سواء كانت صالحة أم طالحة، سلبية أم ايجابية. أما الجسد المثالي فتظهر عليه آثار تلك الأعمال ، سلبية كانت أم ايجابية ، وهي في الحقيقة لا تظهر فحسب، وإنما تتشكل بأشكال تشبه الأعمال التي يقوم بها بالسلب والايجاب.

وعند استيقاظه من نومه تعود الروح إلى الجسد العنصري بأمر من الله تعالى.

وهنا تأتي أهمية الغيب والوحي، فكل ما وصلنا إليه من معلومات كانت عن طريق الغيب والوحي، أما العالم الغربي فقد وقف متحيراً أمام خروج الروح عند نوم الإنسان، فهم يعلمون أنها تفارق الجسد عند النوم، ولكن أين تذهب؟! لم يعلموا، والسبب في ذلك أنهم لم يؤمنوا بثقافة الغيب والوحي، ولذلك ظل هذا الأمر مبهماً عليهم.

التفاتة:

يقول تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ...﴾ (الحجر: ٢١).

بما أن الإنسان هو شيء من هذه الاشياء التي خلقها الله تعالى، فقد يتبادر إلى الذهن سؤالٌ حاصله:

هل إن الجسم المثالي هو ذاته الموجود عند الله تعالى؟ ام إنه جسم مثالي موجود في عالم الدنيا؟

الجواب: الظاهر هو جسم مثالي موجود في عالم الدنيا، ولكن يختلف عن الجسم العنصري، وكذلك يختلف عن الجسم المثالي الذي تنتقل إليه روح الإنسان بعد الموت.

أما الجسم المثالي الذي نتحدث عنه فالمراد منه هو الذي تنتقل إليه روح الإنسان عند نومه فقط (أي إنه جسم مثالي لمرحلة معينة).

إشارة:

عند موت الإنسان وإقباره يبدأ سؤاله في القبر من قبل منكر ونكير، ولكن هل السؤال موجه إلى الروح في الجسم العنصري أم إليها في الجسم المثالي؟

الجواب:

هناك من العلماء من قال: إن السؤال يوجه إلى الروح في الجسم المثالي، وهناك من العلماء من قال: يوجه السؤال إلى الروح في الجسم العنصري، حيث يأمر الله تعالى الروح بالعودة إلى الجسم العنصري، فيسأل الإنسان ويجيب، وبعدها تقبض الروح بأمره مرة أخرى من الجسم العنصري. وسنأتي على تفصيل ذلك في القبر والبرزخ ان شاء الله تعالى.

الحالة الثالثة:

وهي عندما تكون السيارة غير عاملة والسائق غير موجود فيها ، وهي تشبه حالة الإنسان في وضع الموت، فإنه عند موت الإنسان تفارق الروح الجسد ويبقى الجسد من دون روح.

التفاتة: الروح في ثقافة القرآن الكريم:

يقول تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ...﴾ (المعارج: ٤).

من خلال التمعن في الآية الكريمة نجد أنها قد فرّقت بين الروح والملائكة.

فالملائكة تختلف عن الروح، وهذا يقتضي المغايرة، وكذلك من الملاحظ أن الروح لا تأتي بصيغة الجمع كما هو الحال مع الملائكة.

ونتكلم في هذه الالتفاتة في خطوتين:

الخطوة الأولى: أنواع الروح:

١ - الروح المجردة: يقول تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ...﴾ (القدر: ٤).

٢ - **الروح الموصوفة:** يقول تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (الشعراء:١٩٣).

٣ - **الروح المنسوبة إلى الله تعالى:** يقول تعالى: ﴿...وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي...﴾ (ص:٧٢).

الخطوة الثانية: مصاديق الروح في القرآن الكريم:

المصداق الأول: الروح عبارة عن مخلوق أعظم من الملائكة.

يقول تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...﴾ (الإسراء:٨٥).

روي ﴿عن ابي عبد الله عليه السلام قال: هو ملك اعظم من جبرائيل وميكائيل...﴾[١]. [٢]

---

(١) تفسير القمي: ج٢، ص٢٦.

(٢) أقول: الرواية طويلة نقلنا منها موضع الحاجة.

المصداق الثاني: الروح التي في جسد الإنسان.

يقول تعالى: ﴿...وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي...﴾ (الحجر: ٢٩).

المصداق الثالث: الروح النازلة على الأنبياء والحجج الإلهيين.

يقول تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ...﴾ (النحل: ٢).

روي ﴿عن جابر الجعفي قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: يا جابر ان الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة اصناف وهو قول الله عز وجل: (وكنتم ازواجا ثلاثة، فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة، والسابقون السابقون أولئك المقربون) (الواقعة: ٧ - ١١)، فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة ارواح ايدهم بروح القدس فبه عرفوا الاشياء، وايدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عز وجل، وايدهم بروح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وايدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون﴾[1].

أقول:

لو دققنا النظر في الرواية الشريفة، فإننا نجد أن هناك أرواحاً للأنبياء وأرواحاً للمؤمنين.

(١) الكافي: ج١، ص٢٧١ - ٢٧٢.

فأرواح الأنبياء هي (روح القدس - روح الإيمان - روح القوة - روح الشهوة - روح المدرج).

أما أرواح المؤمنين فهي (روح الإيمان - روح القوة - روح الشهوة - روح المدرج).

فنجد أن الفرق بين أرواح الأنبياء وأرواح المؤمنين هي (روح القدس) حيث تميز بها الأنبياء، لأن بها معرفة الأشياء التي هي من مختصات النبوة.

أما الروح النازلة على الحجج الإلهيين فهي في قوله تعالى: ﴿...فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا...﴾ (مريم: ١٧).

المصداق الرابع: الروح المختصة بالنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

يقول تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا...﴾ (القدر: ٤).

يقول تعالى: ﴿...يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ...﴾ (غافر:١٥).

وقد وردت عدة روايات في هذا المصداق نذكر منها التالي:

١ - ﴿عن علي بن ابراهيم: (... يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده) قال: روح القدس، وهو خاص لرسول الله ﷺ والائمة صلوات الله عليهم﴾[1].

٢ - ﴿عن الحسن بن الجهم عن الرضا عليه السلام قال: ان الله عز وجل ايدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك، لم تكن مع احد ممن مضى إلا

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥، ص٤٧.

مع رسول الله ﷺ، وهي مع الائمة منا تسددهم وتوفقهم، وهي عمود من نور بيننا وبين الله عز وجل»[1].

ثلاث التفاتات:

الالتفاتة الأولى:

بعد أن ذكرنا كل تلك المصاديق والاختلاف في الأرواح قد يطرح هنا سؤال، وهو:

لماذا هذا الاختلاف في الأرواح؟ فالروح التي في جسم الإنسان تختلف عن الروح المختصة بالأنبياء؟ والأخيرة تختلف عن المختصة بالحجج؟ وكذلك تختلف عن الروح التي تختص بالنبي وآله (صلوات الله عليهم)؟

الجواب:

إن ضرورة التناسب تفرض ذلك الاختلاف، فالروح التي في المؤمن تختلف عن التي في الأنبياء وغيرهم، فكلٌ حسب طاقته ، فالروح التي تسدد الرسول ﷺ لا يتحملها شخص إلا كشخص الرسول ﷺ، أي لا يتحملها المؤمن العادي، فالله تعالى لا يكلف المؤمن العادي أن يتحمل أرواح الأنبياء أو الحجج الإلهيين، كما يعبر القرآن الكريم ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا...﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...﴾ (الرعد: ١٧)

(١) بحار الأنوار: ج٢٥، ص٤٨.

فالفيض الإلهي نازل ، ولكن كل إنسان يأخذ من هذا الفيض بمقدار طاقته.

الالتفاتة الثانية:

يقول تعالى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

وهو من الأمثلة القرآنية الدقيقة التي ضربها الله تعالى لبني البشر، لتوضيح العلاقة بين الوادي وسبب اختلاف الأرواح، ونوضح ذلك ضمن نقطتين:

النقطة الأولى: كلما كان الوادي أعمق كان استيعابه للفيض الإلهي أكثر، وكذلك هي روح الإنسان، كلما كانت عبوديتها لله أعمق واقوى ومترسخة أكثر، كلما كان استيعابها للفيض الإلهي النازل أكثر، وبهذا اختلفت أرواح الأنبياء عليهم السلام عن روح النبي صلى الله عليه وآله وعن روح المؤمنين.

النقطة الثانية: كلما كانت أرض الوادي رخوة أكثر، كلما امتصت من الفيض بمقدار أكبر، وكذلك قلب الإنسان، كلما كان ليناً وذا رحمة وكانت نوافذه مفتوحة باتجاه الله تعالى أكثر، كلما كان امتصاصه للفيض الإلهي أكثر.

ففي الحديث الشريف (ان لربكم في ايام دهركم نفحات فتعرضوا لها).[1]

أي إن هناك أياماً في السنة ينزل الله تعالى بها الفيض أكثر من بقية الأيام، فكلما كانت عبودية الإنسان وقربه من الله تعالى كبيراً كلما

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ - ص ٢٢١.

كان تعرضه للفيض الإلهي النازل أكثر وأكبر. ولذلك فعلى الإنسان العاقل الكيّس أن يكون قريباً من الله تعالى بعبوديته الصادقة الخالصة له تعالى، لكي يتوفق للتعرض لذلك الفيض الإلهي.

الالتفاتة الثالثة: أشكال الناس وتقسيماتهم:

من الواضح جداً أن الناس في هذه الحياة ليسوا على شكل واحد من التعامل معها ومع من فيها، وباختصار، يمكن أن نُشبه الناس عموماً بتشبيهين:

التشبيه الأول: تشبيه الإنسان بالماء:

فكما أن الماء من خصائصه أن يتشكل بشكل الإناء الموضوع فيه، كذلك هو الحال مع بعض الناس، حيث تكون لهم القابلية والقدرة على التشكل والتطبع مع البيئة التي يوضع فيها ، فإن كانت البيئة تمثل الجانب الإيجابي فهي من المميزات الجيدة ، ولكن إذا كانت العكس فهو أمر خطير.

التشبيه الثاني: تشبيه الإنسان بالحديد:

إن بعض الناس يكون صلباً كالحديد في المواقف الإيجابية التي لا يمكن التراجع عنها، وكمثال على ذلك موقف الرسول الأعظم ﷺ عندما بدأ بنشر الدعوة الإسلامية، فرغم معارضة قريش له وإغرائه بإعطائه ما يريد لكي يترك الدعوة إلى الاسلام، فإنه رفض كل تلك المغريات، وقال مقولته الشهيرة (يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه)[1]

---

(١) تاريخ الطبري - الطبري - ج ٢ - ص ٦٧.

وكذلك الحال موقف العباس عليه السلام الذي وصفه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الايمان جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاء حسنا ومضى شهيدا.[1]

فرغم إعطائه الامان من قبل ابن زياد (عليه اللعنة) بشرط أن يترك الحسين عليه السلام ، لكنه رفض هذا الأمر وظل صامداً مع الحسين عليه السلام وقاتل دونه حتى استشهد.

وبعض الناس يكون هشاً في المواقف، سواء كانت مواقف تمس العقيدة أو تمس سلوكاً معيناً في حياته الدنيا، فتراه يميل مع كل ريح، وينعق مع كل ناعق، وربما يكون جناح البعوضة أرجح من دينه.

الخطوة الثانية: الروح إلى أين؟ أو ما هو مصير الروح؟

بعد أن تفارق الروح جسد الإنسان ، هل تنعدم وتتلاشى كالجسد أم ماذا يحل بها؟

الجواب:

إن الأرواح خُلقت للبقاء وليس للفناء، لقول النبي صلى الله عليه وآله: ﴿(ما خلقتم للفناء، بل خلقتم للبقاء، وانما تنتقلون من دار إلى دار واعتقادنا فيها (الارواح) انها إذا فارقت الابدان فهي باقية، منها منعمة، ومنها معذبة، إلى ان يردها الله تعالى بقدرته إلى الابدان)﴾[2].

يقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ...﴾ (الزمر: ٤٢).

(١) عمدة الطالب - ابن عنبة - ص ٣٥٦.

(٢) الاعتقادات في دين الامامية للصدوق: ص٤٧.

يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ ... يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ...﴾ (آل عمران: ١٦٩ - ١٧١).

فالآية الكريمة تؤكد حقيقة أن الروح لم تذهب إلى العدم، وإنما هي باقية، حيث توضح الآية حال الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، فهم لم يذهبوا إلى العدم، وإنما انتقلوا إلى عالم آخر، عالم يشعرون به ويفرحون، كما تشير الآية ﴿يُرْزَقُونَ - فَرِحِينَ - يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

وهذا معناه أنهم يعيشون حياة أخرى، وهذه الحياة يعيشونها من خلال أرواحهم التي لم تتلاش كما تلاشت أجسادهم،

هذا حال الأرواح المنعمة.

وأما الأرواح المعذّبة، فعنها يقول تعالى: ﴿...وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥ - ٤٦).

فالآية تشير إلى عذاب آل فرعون قبل قيام الساعة، وهذا دليل آخر على أن الأرواح باقية ولا تتلاشى، رغم تلاشي الأجساد وبعد الزمن بعد مفارقتها للأجساد.

التفاتة:

الآية وضحت أن آل فرعون يُعذّبون عذابين: **الأول**: قبل قيام الساعة، وهو في البرزخ، فعبرت عنه الآية (سوء العذاب)، أما العذاب الثاني فعبرت عنه (أشد العذاب)، وهو الذي يكون بعد قيام الساعة.

كذلك فرّقت الآية الشريفة بين العرض والإدخال في النار، فالعرض يكون قبل قيام الساعة، أما الإدخال فيكون بعد قيام الساعة.

شبهة وجوابها:

قد يسأل البعض: إذا كانت الروح من عالم المجرد الذي لا يخضع لحدود الزمان والمكان، فكيف يقول الكريم في آية عذاب آل فرعون ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا...﴾، والعرض هنا يكون في البرزخ، فهل يمكننا القول بأنها تخضع لحدود الزمان والمكان؟

الجواب:

قد بيّنا سابقاً بأن الروح عند خروجها من الجسد العنصري تدخل في جسم مثالي، وبما إنه جسم، سواء كان (عنصرياً أو مثالياً) فهو يبقى جسماً، أي إنه من عالم المادة الذي يتأثر بحدود الزمان والمكان، وبذلك تكون الآية ناظرة إلى الجسم المثالي وليس إلى الروح بحد ذاتها. هكذا يُقال.

أو يقال: إن تعبير (غدوا وعشيا) يراد منه الإشارة إلى استمرارية العذاب عليهم، وليس للوقت بالتحديد، وبذلك فهي غير ناظرة إلى المرحلة الزمنية، وإنما هي ناظرة إلى حالة الاستمرارية بالعذاب.

الفرق بين عالم المجرد وعالم المادة:

قلنا إن الروح من عالم المجرد، والجسم من عالم المادة، وهناك بعض الفوارق بين هذين العالمين، نذكر منها:

الفرق الأول:

يمكن تقسيم الأمر المادي إلى عدة أقسام عن طريق الانشطار وغيره، ولكن لا يمكن ذلك مع المجرد، فالروح فهي لا تنقسم لأنها من عالم غير قابل للانقسام وهو عالم المجرد.

الفرق الثاني:

إن الأمور المادية يتحكم بها الزمان والمكان (الزمكان). أما المجرد (الروح) فلا تنطبق عليه قوانين الزمان والمكان. ويمكن توضيح ذلك من خلال قدرة الإنسان على السفر من خلال روحه وفكره إلى كل أرجاء العالم، مع بقاء جسمه بنفس النقطة التي هو فيها.

الفرق الثالث:

إن الجسم يتكامل مادياً إلى أن يصل إلى نقطة قصوى فيبدأ بالهدم، أما الروح فهي تتكامل معنوياً باكتساب الكمالات الوجودية، وكما أن الجسم قد يصاب بخلل فسيولوجي يؤدي به إلى النقصان، كذلك الروح يمكن أن تصاب بخلل معنوي يؤدي بها إلى النقصان (أسفل سافلين).

﴿عن الامام الصادق عليه السلام يقول: ان الارواح لا تمازج البدن ولا تواكله وانما هي كلل للبدن محيطة به﴾[1].

﴿عن الامام الصادق عليه السلام: لما سأله عبد الله بن الفضل الهاشمي عن علة جعل الارواح في الابدان بعد كانت في ملكوت اعلى: ان الله

(١)بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار - ص ٤٨٣.

تبارك علم ان الارواح في شرفها وعلوها متى تركت على حالها نزع اكثرها إلى دعوى الربوبية دونه ﷻ﴾[1].

ومن لطيف ما ورد في بيان بعض الملابسات بين الروح والبدن، ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً الفرق بين الروح والجسد: ﴿ان للجسم ستة احوال: الصحة، والمرض، والموت، والحياة، والنوم، واليقظة، وكذلك الروح، فحياتها علمها، وقوتها جهلها، ومرضها شكها، وصحتها يقينها، ونومها غفلتها، ويقظتها حفظها﴾[2].

المحطة الثانية: حتمية الموت

يقول تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦).

الآية الشريفة ناظرة إلى الموت، وهذا واضح من خطاب الآية التي تؤكد هذه الحقيقة بموت كل من على وجه الأرض، ولا يبقى أحد إلا الله تعالى، كما يعبر القرآن (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) (الرحمن: ٢٧)، والطريف أن الآية الكريمة تعبر عن الموت بأنه من آلاء الله تعالى (نعم الله) على البشر حيث قالت ﴿فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ٢٨).

وبهذا نستنتج أن الموت في ثقافة القرآن الكريم هو من النعم الإلهية على بني البشر.

ومما يؤكد هذه الحقيقة أيضاً هي الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، والتي توضح أن الموت نعمة، ومنها الروايات التالية:

---

(١)التوحيد - الشيخ الصدوق - ص ٤٠٢.

(٢) التوحيد - الشيخ الصدوق - ص ٣٠٠.

١ - ﴿عن رسول الله ﷺ يقول: الموت مستريح ومستراح منه، العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا واذاها إلى رحمة الله تعالى، العبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب﴾[1].

٢ - ﴿عن الامام الصادق عليه السلام: ان قوما اتو نبيا، فقالوا: ادع لنا ربك يرفع عنا الموت، فدعا لهم فرفع الله تبارك وتعالى عنهم الموت، وكثروا حتى ضاقت بهم المنازل وكثر النسل، وكان الرجل يصبح فيحتاج ان يطعم اباه وامه وجده وجد جده ويرضيهم ويتعاهدهم، فشغلوا عن طلب المعاش، فأتوه فقالوا: سل ربك ان يردنا إلى اجالنا التي كنا عليها، فسأل ربه عزّ وجلّ فردهم إلى اجالهم﴾[2].

أقول: يُقصد بالرفع هنا تأخير وتأجيل الموت، وإلا فإن الموت من السنن الإلهية الثابتة التي لا تتغير والتي لا يمكن الفرار منها.

التفاتتان:

الالتفاتة الأولى: سنن الله تعالى في الكون.

ذكرنا أن الموت هو من السنن الإلهية التي لا تتغير، وهذا الأمر يأخذنا إلى معرفة هذه السنن الإلهية، فلله تعالى سنن (قوانين) وهي على قسمين:

القسم الأول: سنن مشروطة.

يقول تعالى: ﴿...إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ (الرعد: ١١).

---

(١) ميزان الحكمة: ج٤، ص٢٩٦٤.

(٢) ميزان الحكمة: ج٤، ص٢٩٥٥.

فالتغير نحو الأفضل يبدأ من نفس الإنسان كما تخبرنا الآية الكريمة، أي إذا لم يبدأ الإنسان التغيير من نفسه ، فلا يستطيع النهوض والتقدم، ولذلك سميت بالسنن المشروطة.

القسم الثاني: سنن ثابتة ، ومنها (الموت والابتلاء).

يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ (الملك: ٢).

من خلال الآية الكريمة نجد ان القرآن الكريم قد ربط بين الموت وبين الابتلاء ، وذلك لأن الموت هو تتمة لسنة الاختبار (الابتلاء) التي جعلها الله تعالى من غايات خلق الدنيا، ولو دققنا النظر أكثر في الآية الكريمة نجدها قد تضمنت العديد من الحقائق، نذكر منها:

الحقيقة الأولى: إن الموت -كما الحياة- هو من مخلوقات الله تعالى.

الحقيقة الثانية: إن الموت مقدّم على الحياة ، وهذا التقديم له أسباب.

من أسباب تقديم الموت على الحياة:

السبب الأول: إن أصل الأشياء من العدم، وبما أن الإنسان شيء من هذه الاشياء ، فأصله من العدم، حيث إنه وقبل خلق الإنسان كان يمر بمرحلة الموت (العدم)، كما عبرت الآية الكريمة ﴿...وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ...﴾ (البقرة:٢٨).

السبب الثاني: إن الآية لا تريد تسليط الضوء على منشأ الخليقة الأول، بل تريد تسليط الضوء على منشأ الحياة الثاني وهي الآخرة، فإن رحلة الآخرة تبدأ من الموت، وبعد الموت تبدأ الحياة، أي إن الحياة

الدنيا هي الموت، والآخرة هي الحياة، كما يعبر القرآن الكريم ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (العنكبوت: ٦٤)

وكذلك قول الرسول الأعظم ﷺ الذي يبرهن هذه الحقيقة (الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا)[1]

وقوله ﷺ: (موتوا قبل ان تموتوا)[2]

أي إن على الإنسان أن يعيش الحياة الحقيقية قبل أن يذهب اليها، أي أن يعيش الآخرة وهو في الدنيا، فأهل البصيرة واليقين يرون ذلك العالم ويعيشونه وهم في الدنيا.

الحقيقة الثالثة: إن القرآن الكريم ينظر إلى نوع العمل وكيفه، وليس إلى كَمّه فقط، حيث قال تعالى: (ايكم احسن عملا) ولم يقل: أيكم أكثر عملاً، وهذا ما يبرهنه قول الرسول ﷺ يوم الخندق: ضربة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.[3]

فإنها من حيث الكم ضربة واحدة، ولكنها من حيث النوع تعدل عبادة الثقلين.

الالتفاتة الثانية: ثقافة الابتلاء والفتنة في القرآن الكريم.

بما إن الابتلاء هو تتمة لسنّة الموت، فلابد من وجود ثقافة خاصة للابتلاء في القرآن الكريم، وبيانها عبر الخطوات التالية:

---

(١) خصائص الأئمة - الشريف الرضي - ص ١١٢.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٩ - ص ٥٩.

(٣) ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي - ج ١ - ص ٤١٢.

الخطوة الأولى: الفرق بين الفتن والأهواء.

الفتنة والابتلاء من السنن الحتمية التي لا يكاد يخلو منها إنسان، ونطرح هنا سؤالاً للبحث، وهو: هل هناك فرق بين الفتن والأهواء؟

الجواب: نعم هما مختلفان:

فالفتن هي مغريات يبتلى بها الإنسان، وتكون على أرض الواقع مثل (النساء - المال - وغيرها).

أما الأهواء، فهي مغريات يبتلى بها الإنسان، ولكنها داخل النفس الإنسانية، مثل (الشهوات - الغرائز - وغيرها).

الخطوة الثانية: أقسام الفتنة:

إن الفتنة تكون على قسمين:

القسم الأول: فتنة ضراء:

وعنها يقول تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ...﴾ (البقرة: ٥٥).

القسم الثاني: فتنة سراء:

وعنها يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ...﴾ (آل عمران: ١٤).

أقول:

فتنة السراء تكون أعظم وأخطر من فتنة الضراء، فالكثير من الناس قد ينجون من فتنة الضراء ، ولكنهم يسقطون في فتنة السراء، وخير دليل على ذلك هم بنوا إسرائيل، عندما نجحوا في فتنة الضراء ، بصمودهم أمام بطش فرعون، الذي كان يُقتّل أولادهم ويستحيي

نساءهم، كما يعبر القرآن الكريم ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ...﴾ (البقرة: ٤٩).

ولكنهم بعد أن أنجاهم الله تعالى من هذا العذاب وهذه الفتنة، وعرضت لهم الدنيا ، سقطوا في فتنة السراء، حيث بدؤوا بالكفر بآيات الله تعالى وقتل الأنبياء ﴿...وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ (البقرة:٦١)

ومن هذا نستنتج أنه ليس كل من نجح في فتنة الضراء، فإنه بالضرورة سينجح في فتنة السراء، فعلى الإنسان أن يكون حذراً في التعامل مع الفتن، كي ينجو منها جميعاً إن شاء الله تعالى.

الخطوة الثالثة: قوانين (سنن) الفتنة في القرآن الكريم

لأن الله تعالى حكيم، ولأن كل شيء خلقه الله تعالى فإنه تعالى خلقه لحكمة ، فلابد إذن من وجود قوانين وأنظمة تحكم ما خلقه ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)

ولأن الفتنة من الأمور التي أوجدها الله تعالى، فلابد من قوانين لهذه الفتنة أيضاً، ونذكر من قوانينها التالي:

القانون الأول: إن الفتنة تكون بسبب أفعال الناس.

وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ...﴾ (الشورى:٣٠).

القانون الثاني: إن الفتنة تكون لرفع الدرجة

وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾ (البقرة: ١٢٤).

وهذه الفتنة تكون لخواص الله تعالى من عباده، فالله جلّت قدرته يفتتن أنبياءه ورسله ليرفع درجتهم، كالنبي إبراهيم عليه السلام حيث ابتلاه الله تعالى ليرفع درجته، بإعطائه مقام الإمامة، وهو من المقامات والدرجات العظيمة.

القانون الثالث: إن الفتنة تشمل الجميع في الدنيا.

وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً...﴾ (الأنفال:٢٥).

من خلال الآية الكريمة نستنتج حقيقة مهمة وواضحة، وهي:

إن نتائج الابتلاء والفتنة في الدنيا لا تقتصر على المذنب فقط، وإنما تشمل الجميع، ولذلك أوجب الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كي يعمل المؤمن على عدم السماح بالفتنة بالوقوع،

وقد يسأل البعض: إذا كانت الفتنة تشمل الجميع، فأين هو عدل الله تعالى؟

الجواب:

إن العدل الإلهي ما زال موجوداً، وذلك باعتبار أن الله تعالى سوف يرفع مقام الأخيار ودرجتهم ،ويعوضهم عن الآثار السلبية التي لحقت بهم، نتيجة أعمال البعض، وهذه التعويضات إنما تكون في الآخرة، وليس في الدنيا، وهذا بشرط أن يأخذ الاخيار دورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا فإنهم سيكونون مشتركين بالفتنة لسكوتهم عنها، ويعمهم العذاب في الدنيا ، كما يقول تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: ١٦) وكذلك في الآخرة.

أما إذا حالوا دون وقوع الفتنة ، ولم يرضوا بها، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ففي الآخرة سيكون العذاب لصاحب الفتنة فقط، لأنه في ذلك اليوم يفصل بين العباد، ويتميز الخبيث من الطيب، والصالح من الطالح (هذا يوم الفصل...) (الصافات: ٢١).

التفاتة: أوجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بالضرورة أن يكون باليد أو اللسان، ولكن قد يكون بالإنكار بالقلب (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الإيمان).

فللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوجه متعددة. نذكر منها:

الوجه الأول: إقامة صلاة الجماعة: فإن اقامتها في كل مكان يفرض حالة من الأجواء الاجتماعية التي تحول دون وجود الفساد في المجتمع.

الوجه الثاني: الشعائر الحسينية: فإن إقامتها بحد ذاتها من عوامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنها تحول بين الناس والذنوب، لأنها تخلق جواً عاماً يعصم المجتمع من التجاهر بالفسق والفجور، وهذا ما نقرؤه في دعاء كميل (اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم).

على أن العصمة على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: عصمة ذاتية (وجدانية): وهذه العصمة أوجدها الله تعالى في فطرة الإنسان مثل (الضمير - الحياء عند النساء - وغيرها).

النوع الثاني: عصمة مكتسبة: وهذه تأتي نتيجة لقيام الإنسان ببعض الأمور منها:

أ - الصيام: إذ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ...لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣). فالصيام يولد التقوى إن جاء به الإنسان بالصورة الصحيحة للصيام، وهذه التقوى هي عصمة مكتسبة نتيجة الصورة الصحيحة للصيام.

ب - الصلاة: إذ يقول تعالى: ﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ...﴾ (العنكبوت:٤٥). فالصلاة تولد حالة من النهي عن ارتكاب المحرمات كالفحشاء والمنكر، وحالة النهي هذه تسمى: عصمة مكتسبة نتيجة الصورة الصحيحة للصلاة.

النوع الثالث: عصمة اجتماعية: وهي التي تخلق جواً عاماً يمنع الناس من ارتكاب المعاصي مثل (صلاة الجماعة - الشعائر الحسينية - وغيرها من الأمور).

الخطوة الرابعة: كيفية التعامل مع الابتلاء والفتنة.

يختلف تعامل الأفراد في مواجهة الفتنة والاختبار، فالبعض يتعامل معه بإيجابية، والبعض الآخر بسلبية، وخلاصة ما يمكن أن يُقال في التعامل مع الابتلاء في الجانبين السلبي والايجابي هو التالي:

الجانب الأول: في الجانب الإيجابي:

ويتضمن التعامل الإيجابي عدة أمور مستفادة من آيات القرآن الكريم، نذكر منها:

أولاً: الدعاء للخلاص من الابتلاء والفتنة.

يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١).

ثانياً: الصبر عند الابتلاء والفتنة.

يقول تعالى: ﴿...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ...﴾ (ص: ٤٤).

ثالثاً: الرجوع إلى الله تعالى عند الابتلاء والفتنة.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا...﴾ (الزمر:٨).

رابعاً: الدعاء العريض[1] عند الابتلاء والفتنة.

يقول تعالى: ﴿...وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ﴾ (فصلت:٥١).

خامساً: التضرع إلى الله تعالى عند الابتلاء والفتنة.

يقول تعالى: ﴿...أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ (الأعراف: ٩٤).

سادساً: الدعاء بصوت عال(الجأر) عند الابتلاء والفتنة.

يقول تعالى: ﴿...إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (النحل: ٥٣).

الجانب الثاني: في الجانب السلبي:

ويتضمن التعامل السلبي عدة أمور أيضاً مستفادة من آيات القرآن الكريم، نذكر منها:

---

(١) عريض: معناه الإلحاح في الدعاء.

أولاً: اليأس من روح الله عند الابتلاء والفتنة.

يقول تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾ (هود: ٩).

ثانياً: الجزع عند الابتلاء والفتنة.

يقول تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (العارج: ٢٠).

ثالثاً: عدم التضرع والاستكانة إلى الله تعالى عند الابتلاء والفتنة.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (المؤمنون:٧٦).

رابعاً: قسوة القلب عند الابتلاء والفتنة.

يقول تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ (الأنعام: ٤٣).

التفاتة: مستويات الفرقان:

وبعد كل ما بيّناه، علينا أن نفهم معنى الابتلاء والفتنة، لنصل إلى حقيقة الموت، لأن أحدهما متمم للآخر، ولذلك ربط القرآن بينهما ،وجعلهما من السنن الحتمية الثابتة التي لابد منها.

وفي حقيقة الأمر إن الدنيا هي دار ابتلاء للإنسان، وفيها يكون الصراع بين الحق والباطل، كما يصور لنا القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله عز من قائل: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ...﴾ (النساء:٧٦)،

فمن خلال الآية الكريمة يتضح الصراع بين الحق والباطل، فأهل الحق يقاتلون في سبيل الله تعالى، لإحقاق الحق ونشر الدين، أما أهل

الكفر فيقاتلون في سبيل الطاغوت، لمحو الحق، فأمرَ الله تعالى بقتال أهل الباطل وأولياء الطاغوت، ليحق الحق وينشر الدين ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾ (البقرة: ١٩٣).

وقد وعد الله تعالى بنصر رسله وأوليائه ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١) فنصر الله متحقق لرسله وأوليائه في الحياة الدنيا وكذلك في الآخرة.

ولكن في بعض الاحيان عندما يشتد الصراع بين الحق والباطل، تختلط الأمور والموازين، ولأن الله تعالى عادل، فلابد من فرقان يفرق بين الحق والباطل، ويعيد الموازين إلى طبيعتها، وهذا الفرقان يكون على عدة مستويات نذكر منها:

المستوى الأول: الفرقان على مستوى النفس الإنسانية.

يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس:٧-٨).

إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان وضع في نفسه استعداداً للتقوى، وكذلك وضع فيها استعداداً للفجور، وذلك لأنه خلقه مختاراً يفعل بإرادته.

وفي بعض الأحيان، عندما تختلط الأمور على الإنسان، فيرى الفجور تقوى والعكس بالعكس، وهنا لابد من وجود فرقان يوضح للإنسان هذه الرؤية الضبابية، وهذا الفرقان يتبلور بالقرب والبعد من الله تعالى، فكلما كان الإنسان قريباً من الله تعالى، كلما انجذبت النفس الإنسانية للتقوى أكثر وميّزت بين الفجور والتقوى، أما إذا

كان الإنسان بعيداً عن الله تعالى، فإن هذه الرؤية تزداد ضبابية وتشوهاً ويبقى الإنسان تائهاً لا يميز بين الفجور والتقوى.

المستوى الثاني: الفرقان على مستوى المجتمع.

يقول تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (الأحزاب:١٠).

من خلال هذا المستوى نجد الاختلاط بين الحق والباطل يتعدى حدود النفس الإنسانية إلى المجتمع، فحتى المجتمع قد يصاب بحالة من التخبط والاختلاط بين الحق والباطل، فنجد أحيانا أن أشخاصاً يُحترمون وفق مقاييس وموازين بعيدة كل البعد عن المقياس الديني، وكذلك قد يكون العكس أي إن أشخاصاً يستحقون الاحترام ، ولكنهم مهمّشون لأسباب بعيدة عن المنظار الديني، ولكي يُظهر الله الحق ويميز بين الحق والباطل، ينزل الابتلاء الذي يمثل الفرقان هنا، فمن خلال الابتلاء الذي هو الفرقان يظهر جوهر الإنسان من حيث جودته ورداءته، وبذلك يتم التمييز بين الحق والباطل وبين الصالح والطالح.

المستوى الثالث: الفرقان على مستوى التصورات.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٤).

هذا المستوى يعتبر من أخطر المستويات، لأن الإنسان هنا يتصور أن بعض الأعمال غير الصالحة -مما يقوم بها- هي أعمال صالحة حسنة، وخير دليل على ذلك هم الطواغيت وحكام الشعوب، الذين

عندما يظلمون شعوبهم يقولون بأنهم يقومون بذلك لأجل الإصلاح، وهم في ذلك لا يتوقفون عند التصور، وإنما قد يصلون إلى مرحلة أبعد من ذلك وهي مرحلة الاعتقاد ، حيث يعتقدون بأنهم يقومون بتلك الأعمال لأجل الإصلاح، وإن الله تعالى راضٍ عنهم!

ويصلون إلى هذه المرحلة من خلال نظرهم إلى أبواب الخير التي تفتح أمامهم، وفي الواقع إن الله جلت حكمته يفتح لهم هذه الأبواب ليس لأنه تعالى راضٍ عنهم أو عن أعمالهم، وإنما يفتحها لهم ليركسهم بجرمهم وظلمهم، وهو ذاته الموقف الذي حاول أن يظهر به يزيد (عليه اللعنة وسوء العذاب) عندما قام بقتل الإمام الحسين عليه السلام وسبى أهل بيته، حيث كان يُظهر للناس بأنه مسدد من الله بفعله هذا، ولكن مولاتنا زينب عليها السلام كانت هي الفرقان في تلك اللحظة، عندما بدّدت تصور يزيد بقولها «أظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الأرض، وافاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى ان بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة، وان ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلا مهلا، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨)»[1].

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٥.

التفاتة:

كربلاء والحسين هما الفرقان الاعظم.

واقعة الطف قد قسّمت الناس إلى:

أولاً: المحبين (المناصرين) للإمام الحسين عليه السلام، وهم الذين جاؤوا مع الإمام الحسين عليه السلام وبقوا معه حتى الاستشهاد، حتى قال فيهم عليه السلام: (اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي ، ولا أصحابا هم خير من أصحابي)(١) وهم الهاشميون والأنصار.

ثانياً: أعداء الحسين، الذين وقفوا ضد الإمام الحسين عليه السلام منذ البداية، وأعلنوا العداء له، واستمروا على موقفهم حتى قتلوه عليه السلام ، وهم أصحاب معسكر يزيد.

ثالثاً: المشفقين على الإمام الحسين عليه السلام، وهم الذين كانت قلوبهم مع الإمام الحسين عليه السلام، ولكنهم لم يلتحقوا بركبه لأسباب معينة، كالخوف أو التثبيط وغيرها.

رابعاً: من اختلط عليهم الأمر، وهؤلاء هم الذين أرادوا الجمع بين الدنيا والآخرة الحقة، ولكنهم اختلفوا في كيفية الجمع.

المحطة الثالثة: المبادئ الفكرية الناظرة للموت

اختلفت النظريات البشرية في النظر للموت وما يتعلق بحقيقة الحال فيه، ويمكن أن نذكر المبادئ الفكرية التالية في هذا الأمر:

---

(١) الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٢٢٠

المبدأ الأول: المبدأ المادي:

أصحاب هذا المبدأ ينظرون إلى الموت على أنه نقيض الوجود والحياة، أي إنه أمر عدمي (الموت فناء وعدم)، وهو لحاظ مادي مخالف للضرورة، فضلاً عن الشرع.

المبدأ الثاني: المبدأ الفلسفي:

أصحاب هذا المبدأ ينظرون إلى الموت على أنه خروج الروح من الجسد وانفصالها عنه، وهو لحاظ فلسفي.

المبدأ الثالث: المبدأ الديني:

أصحاب هذا المبدأ ينظرون للموت على انه عبارة عن انتقال من عالم إلى عالم آخر أكمل من عالم الدنيا، وهو لحاظ ديني تكاملي وجودي، إذ يتكامل الإنسان بانتقاله من النشأة الأولى التي هي مظهر الضعف وعدم الشعور والجهل إلى عالم القوة والشعور والعلم.

وهذا ما يمكن أن يُستفاد من بعض الروايات الشريفة، ومنها التالي:

١ - ﴿عن الشيخ الصدوق (رحمه الله) بإسناده إلى الامام الجواد عن ابيه الرضا عن ابيه الكاظم عليه السلام قال: " قيل للصادق عليه السلام صف لنا الموت؟ قال: هو للمؤمن كالطيب ريح يشمه فينعش لطيبه، فينقطع التعب والالم كله عنه، وللكافر كلسع الافاعي وكلدغ العقارب واشد...﴾[١].

---

(١) علل الشرائع: ج١، ص٢٩٨.

٢ - ﴿قيل لعلي بن الحسين عليه السلام: ما الموت؟ قال: " الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة وفك قيود واغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب واطيبها روائح، واوطأ المراكب، وانس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل انيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، واوحش المنازل، واعظم العذاب "﴾[1].

٣ - ﴿عن امير المؤمنين عليه السلام: "ايها الناس اما خلقنا واياكم للبقاء لا للفناء، لكنكم من دار إلى دار تنتقلون"﴾[2].

المحطة الرابعة: أساليب القرآن الكريم في بيان ان الموت (الانتقال) عبارة عن سفر.

من عادة القرآن الكريم أنه إذا ذكر حقيقة ما، فإنه يذكر أموراً عديدة متعلقة بها، وقد لا يتعرض كثيراً لما يتعلق بها، إلا أن الروايات الشريفة تقوم بهذا الدور، وبالتالي ستكون عندنا منظومة معرفية متكاملة للإنسان، وفيما يتعلق ببيان أن الموت عبارة عن مرحلة انتقالية وأنه سفر، يشير القرآن إلى هذه الحقيقة وبأساليب مختلفة، ومنها التالي:

الأسلوب الأول: الإشارة للانتقال على أنه سفر فقط.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦).

---

(١) معاني الأخبار: ص٢٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٤، ص٤٠٣.

فنلاحظ أن في الآية الكريمة إشارة إلى وجود سفر، وعبرت عنه بـ(الكدح) ولكن دون الإشارة إلى كيفية السفر أو ما هي محطات السفر.

الأسلوب الثاني: الإشارة إلى نقطة بداية السفر ونقطة النهاية.

يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ (البروج: ١٣).

هنا وضحت الآية الكريمة بداية السفر ونهايته. حيث نقطة البداية تشير إلى بداية خلقة الإنسان الأولى، ونقطة النهاية هي موته ورجوعه إلى الله تعالى.

الأسلوب الثالث: الإشارة إلى نقاط (حالات) السفر الثلاثة (بداية - وسط - نهاية).

يقول تعالى: ﴿...وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ...﴾ (البقرة: ٢٨).

وضحت الآية الكريمة الحالات الثلاث لانتقال (سفر) الإنسان وهي:

١ - (امواتا فأحياكم): من العدم إلى الوجود.

٢ - (ثم يميتكم): الحالة البرزخية.

٣ - (ثم يحييكم): الرجوع إلى الله تعالى في المعاد.

فقد أشارت الآية إلى مراحل السفر الثلاثة، ولكن دون تفصيل تلك المراحل.

الأسلوب الرابع: الإشارة إلى مرحلة واحدة من مراحل السفر مع تفصيلها.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا...﴾ (المؤمنون: ١٤).

في هذا الأسلوب وضحت الآية الكريمة تفاصيل مرحلة من مراحل الإنسان، وهي مرحلة بداية الخلقة، مع تفصيل هذه المرحلة، وهنا يكمن الاختلاف بين هذا الأسلوب وسابقه.

الأسلوب الخامس: الإشارة إلى أن الانتقال سفر دون الإشارة إلى الموت.

يقول تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ...﴾ (طه: ٥٥).

المحطة الخامسة: الموت يقع على أجلين

من خلال مطالعة الآيات الكريمة الواردة حول الموت، نجد ان الموت ليس واحداً، بمعنى أن الموت يقع على أجلين وليس على أجل واحد، وللتوضيح نقول:

إن هناك أجلين يقع الموت عليهما، وهما:

الأول: الموت بالأجل المحتوم.

وعنه يقول تعال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤).

من خلال الآية يتضح أن هذا الأجل ثابت لا يتغير، ولذا سمي بالأجل المحتوم، لأنه محتوم من الله تعالى وهو ناظر إلى تحقيق علل الموت كاملة.

الثاني: الموت بالأجل المشروط.

وعنه يقول تعالى: ﴿...ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ...﴾ (الأنعام:٢).

أما هذه الآية فتبين أن هذا الأجل قابل للتغيير والزيادة والنقصان.

التفاتتان:

الالتفاتة الأولى:

نلاحظ في الآية الكريمة ورود (واجل مسمى عنده)، والواضح أن الأجل المسمى معلوم عند الله سبحانه وتعالى، لا يطرأ عليه محو ولا تغيير، لأن ما عنده تعالى ثابت لا يتغير ﴿...وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ...﴾ (النحل: ٩٦).

وكذلك نجد أن الأجل المحتوم يرجع إلى أم الكتاب، بخلاف الأجل المشروط الذي يرجع إلى كتاب المحو والإثبات.

الالتفاتة الثانية: ما هي الحكمة من جعل الموت على أجلين؟

ذكروا لهذا وجوهاً عديدة، نذكر منها[1]:

١ - ترغيب الناس إلى العمل الصالح واجتناب المعاصي، لما له من تأثير في تغيير الأجل.

٢ - موازنة المقدرات الإلهية مع قانوني الأسباب والمسببات الحاكم على الدنيا.

---

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: مج٧.

٣ - تحريك القوى العقلية وتحفيزها نحو العمل والتطوير، حيث إن مجهولية الأجل وقابليته على التبديل يدعو الإنسان إلى أن يسعى لمزيد من الجهد نحو البقاء الأكثر.

المحطة السادسة: مصاديق الموت في القرآن

بمطالعة آيات القرآن الكريم، يمكن أن نقول: إن هناك أموراً عديدة ينالها الموت، تمثل مصاديق له، نعرض لبعض منها:

المصداق الأول: زوال القوة الحسية.

يقول تعالى: ﴿...لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا...﴾ (مريم: ٢٣).

نقصد بزوال القوة الحسية هو أحد مسميات الموت الطبيعي، وقد يتبادر إلى الذهن سؤال هل هناك أنواع للموت؟

الجواب: نعم ونذكر منها:

١ - **الموت الطبيعي:** وهو موت الإنسان على فراشه.

٢ - **الموت الاخترامي:** هو موت طبيعي ولكنه يكون بسبب ما، كالموت بسبب المرض كمرض الطاعون وغيرها من الأمراض الأخرى، أو الموت بسبب الظواهر الطبيعية كالزلازل والفيضانات وغيرها.

٣ - **الموت المصحوب بعمل جنائي:**

كالقتل وغيرها.

٤ - **الموت الجنائي:**

كالانتحار (وهو يختلف عن الموت المصحوب بعمل جنائي، حيث الأول يكون بإقدام أحد ما على الجناية، أما الثاني هو بحد ذاته جناية).

٥ - الاستشهاد:

كالموت في الجهاد في سبيل الله تعالى.

المصداق الثاني: زوال القوة العقلية (الجهل).

يقول تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

زوال القوة العقلية المفكرة عند الإنسان تجعله جاهلاً ، وبذلك يصبح كالميت ، حتى وإن كان حياً يمشي على وجه الأرض.

وبحكم المقابلة، فإن الإنسان العالم المفكر يكون حياً، حتى وإن كان ميتاً تحت الأرض، وهو ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد ﴿... يا كميل العلم دين يدان به. به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الاحدوثة بعد وفاته. والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل هلك خزان الاموال وهم إحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر: اعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة...﴾[1].

والذي يحيى ليس فقط الإنسان العالم، بل حتى الأرض تحيى به، كما يعبر القرآن الكريم: ﴿...يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا...﴾ (الروم:١٩).

روي ﴿عن الامام موسى بن جعفر في تفسير الآية (يحيي الأرض بعد موتها): (ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله رجالا فيحيون العدل، فتحيي الأرض لإحياء العدل ولإقامة العدل فيه انفع في الأرض من القطر اربعين صباحا)﴾[2].

---

(١) نهج البلاغة: ج٤ (من كلام له لكميل بن زياد في العلم والعلماء).

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٢، ص٤٩١.

فالواضح من كلام الإمام عليه السلام أن إحياء الأرض لا يكون فقط بنزول المطر عليها، ولكن الحياة الحقيقية للأرض تكون بإحياء العدل فيها، والموت الحقيقي لها يكون بموت العدل وتفشي الجهل فيها.

وبما أننا ذكرنا أن الإنسان العالم المفكر يساهم في إحياء الأرض من خلال علمه ، فمن المناسب أن نذكر الالتفاتة التالية:

التفاتة: أقسام الناس بالنسبة للحياة:

فالإنسان من حيث حياته ينقسم إلى:

القسم الأول: الإنسان الذي يقتصر على حياة النبات.

لقد زود الله تعالى الإنسان بالعديد من المميزات التي تميزه عن بقية المخلوقات. ولكن هناك صنفاً من البشر يقتصر بحياته على الاكل والشرب، وبهذا فهو يشبه النبات الذي يأكل ويشرب لينمو، ولكن النبات يكون حياً بهذه الحياة لأن الله تعالى قد قدّر له هذه الحياة، أما الإنسان إذا اقتصر على هذه الحياة (حياة الأكل والشرب) سيكون في الحقيقة ميتاً لأنه لم يحقق ما أراده الله تعالى منه، ولم يبلغ الهدف المنشود من خلقته، ولكنه يبقى حياً كإنسان بهيأة نبات.

القسم الثاني: الإنسان الذي يقتصر على حياة الحيوان.

ولقد زود الله تعالى الحيوان بالشهوة (كالغضب والجنس وغيرها) بالإضافة لحياة النبات التي تقتصر على الأكل والشرب، وإذا ما اقتصر الإنسان في حياته على هذه الأمور، فهو بهذه الحياة لا يتعدى الحياة الحيوانية، وبذلك سيكون حياً كحيوان، لأنه أيضاً لم يبلغ

الهدف السامي الذي خلق من أجله وبالتالي سيكون حيواناً حياً بهيأة إنسان.

القسم الثالث: الإنسان الذي يستثمر كل المميزات.

إن الإنسان الناجح حقيقة هو من يستثمر كل المميزات التي ميّزه بها الله تعالى عن سائر المخلوقات، وجوهر هذه المميزات هو العقل.

إن أهمية العقل لا تخفى علينا، هذا المخلوق العظيم الذي أعطاه الله للإنسان، وميزه به عن سائر مخلوقاته، والذي به يعرف الإنسان ربه ودينه، ويعرف حقيقة ما جاءت به الرسل، وما دعت اليه وما حذرت منه، لأنه من خلال هذا العقل سيستجيب الإنسان لأوامر الله تعالى، كما يعبر القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾ (الأنفال: ٢٤)

وبهذا نكتشف أن حياة الإنسان الحقيقية تكون بالعقل والإيمان والعلم.

وهنا سؤال:

بما أن الحياة الحقيقية للإنسان تكون بالعلم، فهل من الممكن أن يجعل العلم حياة الإنسان طيبة؟

الجواب:

نعم، فالإنسان تكون حياته طيبة من خلال الأعمال الصالحة التي يقوم بها نتيجة علمه، كما يعبر القرآن الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً...﴾ (النحل: ٩٧)

فالآية الكريمة قد جمعت بين الحسن الفعلي (وهو العمل الحسن الصالح) وبين الحسن الفاعلي (وهو من قام بالعمل الصالح) ، فإذا جمع الإنسان بين الأمرين، فسيثمر القبول من الله تعالى.

وهذا ما جاء به الإسلام بكل شرائعه وإحكامه وعقائده ومسائله، لأنه أراد بذلك أن يبني جيلاً طيباً صالحاً على جميع الأصعدة التالية:

١ / **المسائل المادية:** كالطعام والشراب وغيرها.

يقول تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً طَيِّبًا...﴾ (المائدة:٨٨).

٢/**المسائل العبادية:** على مستوى الجوارح (التيمم والصلاة غيرها).

يقول تعالى: ﴿...فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا...﴾ (النساء: ٤٣).

٣/ **المسائل الفكرية:** على مستوى الجوانح.

أقول:

إن الإسلام يدعو إلى الطيّب على كل الأصعدة في المسائل المادية والعبادية، وكذلك الفكرية، وذلك لأن نظرة الإنسان السليمة إنما تميل إلى هذا الطيّب، وبهذا إذا اجتمعت الأمور المادية الطيّبة التي تؤدي إلى الأمور العبادية الطيّبة ، والتي بدورها تؤدي إلى الفكر السليم الطيّب، تكون حياة الإنسان طيبة كنتيجة لتجمّع هذه الأمور.

والطريف أنه ليس فقط حياته بالدنيا تكون طيّبة، وإنما حتى وفاته تكون طيّبة ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ...﴾ (النحل: ٣٢)

وكذلك حياته في الآخرة تكون طيّبة أيضاً من خلال دخوله الجنة ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ...﴾ (الزمر: ٧٣)

وأفضل السبل للوصول إلى الحياة الطيّبة في الدنيا والآخرة هو أن يسلك الإنسان السبيل المؤدي نحو الشجرة الطيبة ﴿...ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء﴾ (إبراهيم:٢٤)

وهذه الشجرة الطيبة هي محمد وأهل بيته الطيبون الطاهرون، فبهم يتوجه الإنسان إلى الحياة الطيّبة السعيدة الدنيوية والأخروية، كما نقرأ في زيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام حيث يقول ﴿من اراد الله بد أبكم، ومن وحده قبل عنكم، إلى الله تدعون، وعليه تدلون...﴾.

وأخيراً نستنتج أنه إذا فعّل الإنسان قواه العقلية فهو إنسان حي في الحياة ويبقى حياً حتى بعد وفاته، أما من يتوقف عن تفعيل هذه القوى العقلية فهو إما أن يكون نباتاً بهيأة إنسان أو حيواناً بهيأة إنسان.

المصداق الثالث: الخوف والحزن.

يقول تعالى: ﴿...وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ...﴾ (إبراهيم:١٧).

الموت المقصود به هنا في الآية الشريفة جاء بمعنى الكدر والخوف والقلق، الذي يعيشه الإنسان بصورة دائمة، والخوف الذي يعيشه إنما هو في الحقيقة يكون نتيجة لجهله بالمستقبل، فهذه كلها أمور تجعله في

عداد الأموات. ولذلك فعلى الإنسان أن يتخلص من هذه الأمور بالتوكل على الله تعالى في كل شيء، والتسليم له تعالى بكل شيء.

المصداق الرابع: موت النباتات.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ...﴾ (الأنعام: ٩٥).وأمرها واضح لعيان

المصداق الخامس: ما قبل الخلقة.

يقول تعالى: ﴿...وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ...﴾ (البقرة: ٢٨).

فقبل أن يوجد الإنسان كان عدماً، أو كان كأنه ميت، إذ لا نمو ولا إدراك له حتى يقال عنه إنه حي.

المصداق السادس: الضلال.

يقول تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ...﴾ (الأنعام: ١٢٢).

الموت المقصود به في الآية الشريفة هو الضلال، والضلال هو الانحراف الفكري. فإذا انحرف الإنسان فكرياً أصبح جاهلاً، أي أنه اوقف استخدام قواه العقلية (كما وضحنا في المصداق الثالث) وبالتالي فهو إنسان ميت وإن كان حياً.

المصداق السابع: الأرض الجرداء (البور).

يقول تعالى: ﴿...فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ...﴾ (فاطر: ٩).

عبر القرآن الكريم عن الأرض الجرداء الميتة بالبلد الميت.

المصداق الثامن: الموت المؤقت

يقول تعالى: ﴿...فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ...﴾ (البقرة:٢٤٣).

المصداق التاسع: الأصنام.

يقول تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء...﴾ (النحل: ٢١).

فهي أموات إذ لا إدراك ولا قدرة لها.

المصداق العاشر: الكفر.

يقول تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (يس:٧٠).

لو دققنا النظر في الآية الكريمة لوجدناها من الدقائق القرآنية العجيبة، حيث إن الآية تحدثت في بدايتها عن الإحياء ثم انتقلت إلى الكافرين، وحسب قاعدة المقابلة فإن مقابل الحي يكون الميت، والآية عبرت عما يقابل الأحياء بالكافرين، فالكفر يجعل صاحبه ميتاً.

المصداق الحادي عشر: مفارقة الروح للحيوان.

يقول تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ...﴾ (المائدة: ٣).

المصداق الثاني عشر: المجتمع أو (الأمة).

يقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ...﴾ (الأعراف: ٣٤).

المجتمع الذي يبتعد عن الله تعالى يصبح مجتمعاً ميتاً حتى إذا توفرت به كل مقومات الحياة، وهذا الترك والابتعاد يولد حالات عديدة منها:

أ - الظلم: يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ...﴾ (هود:١١٧).

ب - انتشار الفساد: يقول تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء:١٦).

المصداق الثالث عشر: موت العز.

يقول تعالى: ﴿...وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ...﴾ (النساء: ١٠٠).

المحطة السابعة: الموت أو الفناء المعنوي.

هناك نوع للموت يمكن أن نسميه بالموت المعنوي، وحتى يتضح نقول:

إن للموت المعنوي درجتين، هما:

الدرجة الأولى: أن لا يُرى شيء في الوجود الا الله تعالى.

الإنسان عندما يصل إلى درجة معنوية عالية، يصبح لا يرى لنفسه وجوداً، وإنما يرى الوجود كله لله تعالى، أي لا يفكر ولا يرى إلا الله، فمثل هذا الإنسان يُعبر عنه ميتاً لأنه أمات ميوله ورغباته إلا تلك التي تؤدي إلى الله، ولكن هذا الموت يسمى موتاً معنوياً.

وهنا قد يثير البعض تساؤلاً مفاده: هل من الممكن أن يصل الإنسان إلى هذه الدرجة العالية؟

الجواب : نعم، بشرط أن تكون عبادته خالصة لله تعالى ونابعة من قلبه، حينها ستقربه تلك العبادة إلى هذه الدرجة المعنوية العالية، بحيث يصبح لا يرى شيئاً في الوجود إلا ربه كما قال الإمام علي عليه السلام ﴿ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه﴾[1] ، وهذا هو الموت المعنوي بدرجته الأولى.

---

(١) اللمعة البيضاء: ص١٦٩.

أقول:

الرؤية المقصود بها في قول الإمام علي عليه السلام هي رؤية البصيرة وليست رؤية البصر (العين).

الدرجة الثانية: الوصول إلى درجة اليقين.

يقول تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩).

روي في تفسير هذه الآية: (دم على عبادته حتى يأتيك الموت ، يعني ما دمت حياً)[1].

ونفهم من هذا التفسير -وكذا بعض الروايات الشريفة- أن المقصود من اليقين في الآية الكريمة هو الموت، وهذه درجة أعلى من الدرجة الأولى.

وفي النهاية، نستنتج أن الإنسان الذي لا يرى أي شيء في الوجود غير الله تعالى، ثم يصل من خلال ذلك إلى درجة اليقين، فهو في الحقيقة قد وصل إلى درجة عالية من العبودية والقرب إلى الله تعالى، وهذا في الحقيقة لا يأتي بسهولة، وإنما يأتي بعد ترويض النفس على العبادة الخالصة إلى الله تعالى، وكبح جماحها وكفها عن الشهوات والنزوات التي من شأنها أن تبعد الإنسان عن التقرب إلى الله تعالى.

إذاً، من يروّض نفسه على العبادة الحقة الخالصة لله تعالى ، سوف يصل إلى الدرجات المعنوية العالية التي توصل إلى درجة اليقين في النهاية، أما من يجعل قلبه نصفين: نصفاً للدنيا ونصفاً للآخرة فهو لا يصل إلى تلك الدرجات، فضلاً عمن لا يجعل للآخرة في قلبه شيئاً.

---

(١) تفسير الصافي: ج٣، ص١٢٥.

التفاتة: أقسام الناس في التعامل مع الدنيا والآخرة.

عند البحث في القرآن الكريم نجد أن الناس في تعاملهم مع الدنيا والآخرة على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الدنيا فقط.

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٣٧ - ٣٩).

إن الإنسان الذي يجعل وجوده في الدنيا للدنيا فقط، ولا يستثمر الدنيا كممر للآخرة، فهو في الحقيقة إنسان مادي، ولم يفهم الغرض الحقيقي من الدنيا، فحدود علمه تقتصر على الوجود في الدنيا والفناء والعدم بعدها (... ولم يرد الا الحياة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم...) (النجم: ٢٩ - ٣٠)

فهذا الإنسان نهايته الحتمية ستكون إلى جهنم، فهي مأواه ومسكنه الحقيقي كتعبير الآية الكريمة.

الصنف الثاني: خلط الدنيا بالآخرة.

يقول تعالى: ﴿...خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا...﴾ (التوبة:١٠٢).

هؤلاء انقسموا بين الدنيا والآخرة، أي خلطوا بين الأعمال الصالحة والأعمال الطالحة ، وهؤلاء مُرجَون لأمر الله تعالى.

الصنف الثالث: الآخرة فقط.

يقول تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ...﴾ (النساء:٧٤).

أما الإنسان الذي يجعل الدنيا مزرعة للآخرة، ويشتري الآخرة بالدنيا، فهو الفائز في نهاية الأمر، لأنه قد آثر الآخرة على الدنيا.

ولكن أهل الآخرة هؤلاء أيضاً ينقسمون إلى ثلاثة أقسام كل حسب عبادته.

﴿فعن ابي عبد الله عليه السلام قال: العبادة ثلاث: قوم عبدوا الله عز وجل خوفا فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء، وقوم عبدوا الله عز وجل حبا له، فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة﴾[1].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع من العبادات، بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّه أَتَّخِذُ وَلِيًا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ... قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام: ١٤ - ١٥).

فالآيتان في سورة الأنعام قد وضحتا أنواع العبادة الثلاثة، ولكن الملاحظ في الآية أنها بدأت بعبادة الحب، وذلك لأنها افضل العبادات، كما ذكر ذلك الامام الصادق عليه السلام في الرواية المتقدمة.

فقوله تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يشير إلى عبادة الحب وهي عبادة الأحرار.

وقوله تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّه أَتَّخِذُ وَلِيًا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ

---

(١) الكافي: ج٢، ص٨٤.

مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: فقوله تعالى (وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ) إشارة إلى عبادة الأجراء، حيث تأتي على شكل الرجاء بثواب الله وطمعاً به.

وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: إشارة إلى عبادة الخوف وهي عبادة العبيد.

وعلى أساس عبادة أهل الآخرة تنقسم الآخرة إلى ثلاثة اقسام:

يقول تعالى: ﴿...وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ...﴾ (الحديد: ٢٠).

وهذه الاقسام حسب الآية الكريمة هي:

أولاً: (وفي الآخرة عذاب شديد): لأن في الآخرة عذاباً شديداً، فلا بد من خوف الله تعالى والابتعاد عن المحرمات والشيطان والتوجه إلى الله تعالى، وهي إشارة إلى أصحاب عبادة الخوف.

ثانياً: (ومغفرة من الله): وهي إشارة إلى الطمع برحمة الله ﷻ بغفران الذنوب، وهي عبادة الأجراء.

ثالثاً: (ورضوان): أما الرضوان فهو للذين عبدوا الله حباً لله، أي أصحاب عبادة الحب (الأحرار) وهم في الحقيقة لم يعبدوا الله خوفاً من عذاب أو طمعاً في جنة، كما في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا طمعا في جنتك ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك﴾[1]

فعبادة الإمام علي عليه السلام كانت خالصة لله تعالى حباً لله تعالى، ليس لجنة أو لخوف من عقاب.

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٧ - ص ١٨٦.

المحطة الثامنة: الموت المادي.

كما أن هناك موتاً معنوياً، فهناك موت مادي، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ (الدخان: ٣٥).

إن أبناء الحياة المادية قالوا: إن الحياة فقط هي التي نعيشها في الدنيا، وبعدها نموت ونذهب إلى الفناء والعدم، وليس هناك موتة أخرى أو حياة أخرى بعد الموت، ولكن القرآن الكريم ردّ عليهم ادعاءهم هذا (قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين) (غافر: ١١).

الطريف هنا أنهم أنكروا وجود موتة واحدة ، والقرآن يخبرهم بوجود حياتين، وكذلك بوجود موتتين.

المحطة التاسعة: انتفاع الميت من الحي

هل من الممكن أن ينتفع الميت من الحي؟

الجواب: نعم ممكن، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...﴾ (الحشر: ١٠).

فالآية الكريمة تجيب عن كيفية انتفاع الميت من الحي، وذلك يكون من خلال الدعاء كما وضحته الآية الكريمة. حيث إن دعاء مؤمنين إحياء لمؤمنين قد سبقوهم (أموات) ، يكون له أثر وثمرة ، ومن ثمراته هو تخفيف العذاب عن الميت أو تقليل ذنوبه أو علو درجته في الجنة، ومن هنا نستطيع الرد على ادعاء من يقول: إن الوقوف على قبور المؤمنين هو شرك بالله.

وهناك العديد من الآيات التي تثبت هذه الحقيقة منها:

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ... فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر: ٧).

فهذا دليل آخر يثبت صحة دعاء الحي للميت، وانتفاع الميت بهذا الدعاء.

ولو دققنا النظر جيداً في الآية الكريمة، نجدها تعطي أمراً آخر، وهو أنه ليس فقط المؤمن من يدعو، وإنما حتى حملة العرش (من الملائكة) فحتى هؤلاء يستغفرون للمؤمنين ، وبالطبع فإن هؤلاء (الملائكة) هم أحياء.

وكذلك نجد أن الآية لم تحدد المؤمنين بالأحياء فقط، وانما شملت المؤمنين جميعاً -أحياء وأمواتاً- ولكنها حددت من هؤلاء المؤمنين الأحياء والأموات بوصفين هما:

١ - الذين تابوا.

٢ - والذين اتبعوا السبيل.

أما الذين تابوا، فالأمر واضح جداً فيهم، فإن الإنسان عندما يتوب لله تعالى، وتكون توبته خالصة له تعالى، فسوف يشمله دعاء الملائكة.

ولكن السؤال ما هو السبيل الذين عبرت الآية عن أولئك بأنهم اتبعوه (واتبعوا سبيلك)؟ أي الذي إذا اتبعه المؤمن شمله استغفار الملائكة؟

حتى يتضح الجواب لا بد من جولة سريعة فيما يتعلق بأجر الرسالة المحمدية، إذ عندما نبحث في القرآن الكريم نجد أن أجر الرسالة مذيل بأمور ثلاثة، وهي:

الأمر الأول: إن أجر الرسالة يتمثل بمودة ذوي القربى، لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى:٢٣).

فقد روي عن اسماعيل بن عبد الخالق قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام ...: مايقول أهل البصرة في هذه الآية (قل لا اسألكم عليه اجرا إلا المودة في القربى)؟ قلت: جعلت فداك انهم يقلون: انها لاقارب الرسول صلى الله عليه وآله، فقال: كذبوا انما نزلت فينا خاصة في أهل البيت في علي وفاطمة والحسن والحسين أصحاب الكساء عليهم السلام﴾[1].

وعن ﴿حدثنا عبد العزيز بن يحيى،...، عن الحسين بن علي صلوات الله عليهم، في قوله عز وجل: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)، قال: (ان القرابة التي امر الله بصلتها، وعظّم من حقها، وجعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت الذي اوجب الله حقنا على كل مسلم)﴾[2].

الأمر الثاني: ان ثمرة اجر الرسالة انما تعود للمرسَل اليهم (أي الناس) لقوله تعالى: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ (سبأ: ٤٧).

(١) الكافي: ج٨، ص٩٣.
(٢) البرهان في تفسير القرآن: مج٧، ص٨٣.

وقد روي ﴿عن ابي جعفر عليه السلام في قوله: (ما سألتكم من اجر فهو لكم): (وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله سأل قومه ان يوادوا اقاربه ولا يؤذوهم، واما قوله: (فهو لكم) يقول: ثوابه لكم)﴾[1].

الأمر الثالث: إن سؤال الأجر إنما هو ممن يريد اتخاذ السبيل إلى الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٥٧).

ونستفيد من مجموع ذلك، أن مودة ذوي القربى بدرجة من الأهمية بحيث جُعلت (أجراً) للرسالة، وذلك لأنها مقدمة لفهم الرسالة والعمل بها، وأن الفائدة بذلك إنما تعود إلى من يودون أهل المودة، وأن ذوي القربى هم (السبيل) إلى الله تعالى.

وبالتالي يتضح أن ذوي القربى هم محمد وآله الأطهار، وأن حملة العرش يستغفرون لمن اتبع السبيل، أي لمن اتبع محمداً وآل محمد عليهم السلام لأنهم هم السبيل.

وفي قوله تعالى: ﴿...وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ...﴾ (الشورى: ٥) دليل يؤكد دعاء الملائكة واستغفارهم، بفارق أن الآية السابقة في سورة غافر قالت: إن استغفار الملائكة إنما يكون (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك)، أما هذه الآية التي في سورة الشورى فإنها قالت: (يستغفرون لمن في الأرض) فيتجه حينها سؤال مفاده: لمن تستغفر الملائكة؟ أ لفئة معينة

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: مج ٦، ص٣٤٦.

من الناس أم لجميع الناس؟ وإذا كان لجميع الناس، فهل سيشمل حتى الكفار واليهود؟

الجواب: ذكرنا سابقاً ووضحنا من خلال حديثنا عن الموت، أن المؤمنين فقط هم من يكونون أحياء، نتيجة إيمانهم، وما سواهم فهم أموات أو في عداد الأموات، حتى وإن كانوا أحياءً يمشون على الأرض، وذلك لعدم إيمانهم، وبالتالي فإن الملائكة لا ترى على الأرض الا المؤمنين، وذلك يكون من خلال نورهم - نور الإيمان - وبذلك يكون استغفار الملائكة للمؤمنين فقط.

التفاتة:

في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ...أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ...﴾ (البقرة: ٢٢١).

إن الآية المباركة تتحدث عن المشركين والمشركات، وبما أنها تتحدث عن المشركين والمشركات فبحكم المقابلة تضع المؤمنين والمؤمنات في قبالهم، وقد بيّنت الآية أن هؤلاء المشركين والمشركات إنما يدعون إلى النار، وعبرت عن ذلك بالضمير (أولئك)، وإذا عدنا إلى حكم المقابلة، نجد أنه يجب أن تضع الآية المؤمنين والمؤمنات في مقام آخر هو أنهم يدعون إلى الجنة.

ولكن لو دققنا وتأملنا جيداً في الآية نجد أنه تعالى يقول: (والله يدعو إلى الجنة) ولم تقل: المؤمنين والمؤمنات يدعون إلى الجنة، وإنما وضع الله تعالى ذاته المقدسة ككناية إلى دعوة المؤمنين والمؤمنات إلى الجنة، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أمر مهم وعظيم، وهو أن

الله تعالى أراد أن يبين أن المؤمنين والمؤمنات هم مجلى ومظهر أسماء الله تعالى وصفاته، ولذلك وضع ذاته المقدسة أمام المشركين والمشركات ودعوتهم إلى النار، وهو من أكبر الأدلة وأعظمها على أن أهل الإيمان هم الأحياء فقط، وما سواهم فهم أموات وإن كانوا يمشون على الأرض.

المحطة العاشرة: انتفاع الحي من الميت.

بيّنا في المحطة السابقة أن الميت ينتفع من الحي، ولكن هل من الممكن أن ينتفع الحي من الميت؟

الجواب: نعم، وإليه الإشارة في التالي:

أولاً: يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ ... وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا...﴾ (الكهف: ٨٢).

إن أمراً تحكي عنها هذه الآية، وهو أن الاب الصالح حتى وإن كان ميتاً، فأبناؤه ينتفعون من صلاحه، والدليل أن هذين الغلامين المشار إليهما في الآية قد انتفعا من الكنز رحمة من الله تعالى بهم وشكراً لصلاح أبيهما.

فعن ﴿اسحاق بن عمار، قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: (ان الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته ودويرات حوله، فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله). ثم ذكر

الغلامين فقال: (وكان ابوهما صالحا) ألم تر ان الله شكر صلاح ابويهما لهما﴾[1].

و﴿عن يزيد بن رومان، قال: دخل نافع بن الازرق المسجد الحرام والحسين بن علي عليه السلام مع عبد الله بن عباس جالسان في الحجر، فجلس اليهما، ثم قال: يا بن عباس، صف لي الهك الذي تعبده، فاطرق بن عباس طويلا متبطئا بقوله، فقال له الحسين عليه السلام: (الي يا بن الازرق، المتورط في الضلالة، المرتكس في الجهالة، اجيبك عما سألت عنه). فقال: ما إياك سألت فتجيبني. فقال له بن عباس: مه عن ابن رسول الله، فإنه من أهل بيت النبوة ومعدن الحكمة، فقال له: صف لي. فقال له: (اصفه بما وصف به نفسه واعرّفه بما عرّف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتزق، وبعيد غير مقصى، يوحد ولا يبعّض، لا اله إلا هو الكبير المتعال) قال: فبكى ابن الازرق بكاء شديدا. فقال له الحسين عليه السلام: (ما يبكيك)؟ فقال: بكيت من حسن وصفك. قال: (يا بن الازرق، اني اخبرت انك تكفر ابي واخي وتكفرني) قال له نافع: لئن قلت ذاك لقد كنتم الحكماء ومعالم الاسلام، فلما بدلتم استبدلنا بكم فقال له الحسين عليه السلام: (يا بن الازرق، اسألك عن مسألة، فأجبني عن قول الله لا اله إلا هو (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) إلى قوله: (كنز لهما) من حُفظ فيهما)؟ قال: ابوهما. قال: (فأيهما افضل أبوهما ام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة عليها السلام؟) قال: لا بل رسول الله وفاطمة بنت رسول الله

(١) البرهان في تفسير القرآن: مج٥، ص٦٠.

قال: (فما حفظنا حتى حيل بيننا وبين الكفر). فنهض، ثم نفض ثوبه، ثم قال: قد نبأنا الله عنكم معشر قريش انتم قوم خصمون﴾[1].

ثانياً: يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ...، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ...﴾ (الزخرف: ٢٦ - ٢٧).

في الآية الكريمة دليل أيضاً على إمكانية انتفاع الحي من الميت، فعندما دعا النبي إبراهيم عليه السلام لذريته بالهداية، كرّمه الله تعالى على فعله ذاك بأن جعل الإمامة في عقبه، والدليل على الانتفاع هو انتفاع الأئمة عليهم السلام من دعاء أبيهم إبراهيم عليه السلام لهم، وذلك باستمرار الإمامة إلى يومنا هذا عن طريق الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، رغم أنه كان ميتاً وقتئذٍ.

﴿عن أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام: (وجعلها كلمة باقية في عقبه) قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله عقب ابراهيم عليه السلام،ونحن أهل البيت عقب ابراهيم عليه السلام وعقب محمد صلى الله عليه وآله)﴾[2].

و﴿عن ابي بصير، قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: (وجعلها كلمة باقية في عقبه). قال: (هي الإمامة، جعلها الله عز وجل في عقب الحسين عليه السلام، باقية إلى يوم القيامة)﴾[3].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: مج٥، ص٦٠ - ٦١.

(٢) نفس المصدر السابق: مج٧، ص١١٦.

(٣)نفس المصدر السابق: مج٧، ص١١٤.

أقول:

في النهاية هذه الآيات تحمّل الآباء والأمهات المسؤولية كاملة اتجاه أبنائهم، فبإمكان الآباء والأمهات نفع أولادهم، ليس فقط في حياتهم، وإنما حتى بعد موتهم. ومن أراد صلاح أولاده ونفعهم، فعليه أولاً أن يصلح نفسه ، وبصلاح نفسه سينفع أولاده في حياته وبعد موته، كما يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...﴾ (التحريم: ٦). فبصلاحه يبعد أبناءه من النار، وبالتالي هو أيضاً ينتفع من هذا الصلاح بعد موته، حيث سيدعو له أولاده، لأن الفرض أنهم صالحون. بالتالي سيكون الانتفاع هنا متبادلاً بين الطرفين.

ثم إن من جملة الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام والتي تثبت انتفاع الميت من الحي هي التالي:

١ - ﴿عن الرسول صلى الله عليه وآله يقول: يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، يبقى عمله﴾[١].

٢ - ﴿عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اربعة تجري عليهم اجورهم بعد الموت، رجل مات مرابط في سبيل الله، ورجل علّم علما فأجره يجري عليه ما عمل به، ورجل اجرى صدقة فأجرها له ما جرت، ورجل ترك ولدا صالحا يدعو له﴾[٢].

٣ - ﴿عن ابي عبد الله عليه السلام يقول: ستة يلحقن بالمؤمن بعد وفاته، ولد يستغفر له، ومصحف يخلفه، وغرس يغرسه، وصدقة ماء يجريه، وقليب يحفره، وسنّة يؤخذ بها من بعده﴾[٣].

---

(١) ميزان الحكمة: ج٤، ص٢٩٧٨.

(٢)نفس المصدر السابق: ج٤، ص٢٩٧٨.

(٣)نفس المصدر السابق: ج٤، ص٢٩٧٩.

المحطة الحادية عشر: خوف الناس من الموت.

لماذا يخاف الناس من الموت؟

بيّنا سابقاً أن الموت عبارة عن انتقال الإنسان من مكان إلى آخر، وهو أشبه ما يكون بالسفر، ولكن لماذا لا يحب الناس هذا السفر؟

هناك العديد من الأسباب التي توضح خوف الناس من هذا السفر(سفر الموت) وعدم حبهم له، نذكر منها التالي:

السبب الأول: عدم معرفة الجهة المقصودة.

عندما يسافر الإنسان إلى جهة غير معروفة ، فإنه يبقى قلقاً متوتراً من ذلك السفر. كذلك هو الحال مع سفر الموت، حيث إن الإنسان لا يعرف المعنى الحقيقي للموت، ولا يعرف الجهة التي سوف يسافر إليها، لهذا السبب هو يخاف ولا يحب الموت ، بل وتصل الحال أحيانا إلى عدم تمنّي الموت (ولن يتمنوه ابدا) (البقرة: ٩٥).

أما إذا كان عارفاً بالمعنى الحقيقي للموت، فإنه سوف يتمنى الموت في كل لحظة، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام حيث ورد عنه: ﴿متى يأتي اشقاها فيخضب هذه من هذه وكان يشير إلى لحيته ورأسه﴾.

فلأن أمير المؤمنين عليه السلام عرف المعنى الحقيقي للموت، وأنه راحة للمؤمن ، وانتقال من مكان إلى مكان آخر أفضل، فقد تمنى الموت.

السبب الثاني: قلة الوقود (الزاد أو العمل).

عندما يسافر الإنسان سفره الاعتيادي، فهو يحتاج إلى ما يمده بالطاقة كالأكل والشرب، أو ما يمد دابته بالوقود كالبنزين وغيره، فإذا كان يعرف أن أحدهما أو كليهما سينفد منه في الطريق، أو لم يكن

عنده أي وقود أصلاً، فإنه بلا شك سيكره ذلك السفر ويخاف منه. كذلك الحال مع سفر الموت.

وهذا يعني أن على الإنسان أن يتزود بما يجعله متهيأً لذلك السفر ، ووقوده هو العمل في الدنيا ، فإن كانت أعماله صالحة فإنها ستمده بالوقود الذي ينفعه في سفره، وبالتالي فإن سفره سيكون مريحاً، وإن كانت أعماله طالحة، فسيكون سفره متعباً لأنها ستنفد بسرعة، ولا تمده بالوقود.

﴿عن الامام الصادق عن ابيه عليهما السلام قال: اتى النبي صلى الله عليه وآله رجل فقال: مالي لا احب الموت؟ فقال له: ألك مال؟ قال: نعم، قال: فقدمته[1]، قال: لا، قال: فمن ثَمَّ لا تحب الموت﴾[2]. [3]

---

(١) المقصود بـ(فقدمته) في الرواية اعلاه: يقصد هل صرفته بأعمال البر والخير.

(٢) بحار الأنوار: ج٦، ص١٢٧.

(٣) **التفاتتان:**

الالتفاتة الأولى: أقسام العمل في القرآن.

ذكرنا أن الوقود يأتي من عمل الإنسان، وعند التأمل في آيات العمل في القرآن الكريم، نجد أنها على أقسام عديدة، نذكر منها:

القسم الأول: العمل الخالص لوجه الله تعالى.

يقول تعالى: (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا) (الإنسان: ٩).

إن الآية تبين أن من الناس من يكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى، فلا يخلط مع الله تعالى غيره من مخلوقاته، وهو أفضل الأعمال التي تفيد الإنسان في سفر الموت.

القسم الثاني: العمل للرياء.

يقول تعالى: (كالذي ينفق ماله رئاء الناس...) (البقرة: ٢٦٤).

مثل هذا هو يعمل، ولكن عمله يكون لأجل المدح والتفاخر بين الناس، وليس خالصاً لوجه الله، وهذا النوع من العمل مذموم، وهو لا ينفع الإنسان في سفره.

القسم الثالث: من دون عمل.

يقول تعالى: (... ويحبون ان يحمدوا بما لم فعلوا...) (آل عمران: ١٨٨).⇦

السبب الثالث: ارتكاب المخالفات والخوف من الحساب.

لو سافر الإنسان إلى بلد ما، وكان هذا البلد يحترم القوانين التي يضعها ويعاقب من يخالفها. فعندما يخالف الإنسان قانوناً فيها، كقانون المرور - على سبيل المثال - فإنه سيكره سفره، لأنه يعلم أنه سوف يعاقب على مخالفته للقانون، كذلك الحال هو مع سفر الموت، فإن كان الإنسان مخالفاً لربه في دنياه، فإنه سيكره سفر الموت.

أما إذا اتبع القانون الإلهي وعمل بما يرضي ربه، فإنه سيحب سفر الموت، لأنه يعلم بأنه لا يعاقب، لأنه لم يخالف ربه.

⇐أما هذا فهو لا يعمل ولا يقدم أي شيء، ومع ذلك يريد أن يُحمد من قبل الناس، بل وفي كثير من الأحيان يعيب على الناس أنهم لا يحمدونه، وأنهم لم يعرفوا قدره، وهو في الأساس لم يقم بأي شيء.

الالتفاتة الثانية: أقسام الناس بحسب أعمالهم.

بما أننا ذكرنا أنواع العمل، فمن المناسب أن نشير إلى أن الناس ينقسمون حسب أعمالهم، وأن عملهم سيحدد درجة تدينهم، وتوضيحه إجمالاً بالتالي:

الأول: متدين ويعمل، فهو مؤمن.

يقول تعالى: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (البقرة: ٨٢).

الثاني: معتقد بالدين ولا يعمل، فهو فاسق.

يقول تعالى: (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا...) (السجدة: ١٨).

الثالث: المتظاهر بالدين فهو المنافق.

لأنه يُظهر خلاف ما يبطن.

يقول تعالى: (ومن الناس من يقول امنّا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين) (البقرة: ٨).

الرابع: لا دين له، فهو الكافر.

يقول تعالى: (الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) (فصلت: ٧).

السبب الرابع: حمل المحظورات.

يكره الإنسان سفره إذا كان حاملاً معه ما يهدد أمنه وسلامته، وكذلك أمن بلده وسلامته، لأنه سيكون قلقاً نتيجة حمله هذه الأمور التي تهدد أمنه وسلامته. كذلك الإنسان عندما يسافر سفر الموت ، فإنه سيكره ذلك السفر ، لأنه قد حمل معه خطاياه وذنوبه التي عملها في دنياه، أما إذا كانت أعماله صالحة، وكان حاملاً معه حسناته، فإنه بالتأكيد سيحب سفره.

السبب الخامس: انعدام المأوى.

الإنسان في سفره عادة ما يحتاج إلى مكان يأوي إليه، فان كان لديه المأوى الذي يستريح فيه، فإنه سيحب سفره ، بل ويكون مستمتعاً به، أما إذا انعدم المأوى، فإنه سيكره ذلك السفر، لأنه سيبقى قلقاً وبدون مأوى.

كذلك الحال مع سفر الموت، فعندما يعرف الإنسان مأواه الحقيقي في الآخرة، فهو سيحب سفر الآخرة.

أما إذا كان يجهل مأواه الحقيقي، فإنه سيكره ذلك السفر، ومعرفة الإنسان لمأواه الحقيقي تكون من خلال أعماله، فإن كانت صالحة، فإن مأواه هي الجنة، وإن كانت طالحة، فسيكون مأواه جهنم والعياذ بالله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٣٧ - ٤١).

ولهذه الأسباب التي ذكرناها يكره الإنسان سفر الآخرة، فعلى الإنسان إذن أن يتزود في الدنيا بالوقود جيداً ليمده في طريقه بالطاقة،

وبالتالي سيعرف الجهة التي يقصدها، وإذا عرف الجهة التي يقصدها عرف المأوى الذي يأوي إليه وأمن العقاب، وبالتالي سيحب سفره.

بمعنى آخر، إذا عرف الإنسان كيف يتعامل مع الدنيا، فإنه سينجو منها ، ويحب الموت ، وإذا لم يعرف كيف يتعامل معها، فإنه سيهلك بها، ويكره الموت ويتشبث بالحياة.[1]

---

(١) **التفاتتان:**

الالتفاتة الأولى:

أحياناً يتخذ الإنسان بعض الأمور الدنيوية ويظن أنها ستساعده في إبعاد الموت عنه، ومنها:

١ - الاموال.

يقول تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ، يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (الهمزة: ٢ - ٣).

٢ – اتخاذ القصور المنيعة.

يقول تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ (الشعراء: ١٢٩).

٣ - بناء الجيش والقوة.

يقول تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٣٩).

٤ - بناء الحصون والقلاع.

يقول تعالى: ﴿...وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا...﴾ (الحشر: ٢).

الالتفاتة الثانية:

عند التدبر في القرآن الكريم، نجد أن هناك أربعة أسفار لموسى عليه السلام هي:

السفر الأول: سفر الهرب.

يقول تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ...﴾ (الشعراء: ٢١).

السفر الثاني: سفر الطلب.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾ (طه: ١١).

السفر الثالث: سفر الطرب (العشق الإلهي).

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا...﴾ (الأعراف: ١٤٣).

السفر الرابع: سفر التعب.

يقول تعالى: ﴿...لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (الكهف: ٦٢).

القسم الثالث: القبر

وهو القسم الثالث من أقسام المعاد وله عدة محطات نتحدث عنها تباعاً:

المحطة الأولى: ما هو القبر.

القبر: هو ذلك الموضع (المكان) من الأرض الذي يدفن فيه الميت.

المحطة الثانية: مفهوم إقبار الناس.

هل مفهوم الإقبار هو من مخترعات الإنسان أم سنة إلهية علّمها الله للبشر؟

الجواب:

مفهوم الإقبار هي سنة إلهية علّمها الله تعالى إلى البشر، بل وجعلها من مظاهر التكريم للبشر ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (عبس: ٢١)

وقد أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة من خلال قصة هابيل وقابيل، عندما سولت لقابيل نفسُه قتلَ أخيه وقتله، واحتار بعدها ماذا يفعل بجثة أخيه، فبعث الله ذلك الحيوان الصغير الذي هو الغراب، ليعلمه كيف يواري جثة أخيه.

يقول تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ...، فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ...﴾ (المائدة: ٣٠ - ٣١).

ومن هنا نستنتج أن مفهوم إقبار الناس هو من المصطلحات التي أسستها السماء.

المحطة الثالثة: ما هي الفائدة من اقبار الناس؟

يمكن أن يُقال: إن الإقبار يكون لعدة غايات نذكر منها:

١ - حفظ كرامة الإنسان، بأن يُستر ولا ترى حالته وما يجري على جسده بعد الموت.

٢ - إرجاعه لأصله ، فأصل الإنسان من الأرض، وبعد موته يعاد إلى أمه الأرض.(١)

المحطة الرابعة: هل القبر والبرزخ عالم واحد أم هما عالمان مختلفان؟

بعد موت الإنسان ومفارقة روحه جسده، هل يدخل مباشرة إلى عالم البرزخ، أم يدخل أولاً إلى عالم القبر؟

هنا انقسم العلماء إلى قسمين، قسم فهم ظاهر الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام والتي تشير إلى أن الإنسان بعد موته يدخل إلى عالم القبر، أما القسم الثاني فقد أوّل الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام وقال: إن الإنسان بعد موته يدخل مباشرة إلى عالم البرزخ. والتفصيل أن يُقال:

---

(١) التفاتة: **سؤال:** هناك من الناس من يموت غرقاً أو حرقاً أو يصلب، فكيف يضغطه القبر؟ إن الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، تشير إلى أن الإنسان حتى وإن لم يدفن ، فإن السنن الإلهية ستجري عليه (كالضغطة وغيرها). فقد روي أنه ﴿سئل ابو عبد الله عليه السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر فقال: ان رب الأرض هو رب الهواء فيوحي الله عز وجل إلى الهواء فيضغطه ضغطة اشد من ضغطة القبر﴾ بحار الأنوار: ج٦، ص٢٦٦.

القسم الأول:

هذا القسم من العلماء فهموا ظاهر الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، حيث إنها تشير إلى أنه بعد موت الإنسان وإدخاله إلى قبره (قبل دخوله إلى عالم البرزخ) يأمر الله تعالى روحه بالرجوع إلى جسده العنصري (المحسوس الملموس) لكي يتم سؤاله، ولكن عودة الروح لا تكون إلى كامل البدن، وإنما تعود إلى حد حقويه (الى خصره).

وبما إن الروح تعود إلى الجسم العنصري، فنفهم من هذا أن الإنسان لا يزال في عالم الدنيا (عالم المادة)، ولم ينتقل إلى عالم البرزخ، وهنا تأتيه ملائكة السؤال فيجلسونه ويبدؤون بسؤاله فيجيب ،وجوابه يحدد مصيره: إما إلى الجنة وإما إلى النار أو يكون ملهىً عنه.

﴿عن ابي بكر الحضرمي قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضا أو محض الكفر محضا والاخرون يلهون عنهم﴾[1].

ومن خلال هذه الرواية نستنتج أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام من حيث حساب القبر:

١ - من محض الإيمان: تأخذه الملائكة إلى الجنة ونعيمها إلى قيام الساعة.

٢ - من محض الكفر: تأخذه الملائكة إلى النار وعذابها إلى قيام الساعة.

---

(١) بحار الأنوار: ج٦، ص٢٦٠.

٣ - مستضعف: يُلهى عنه ويترك امره إلى الله تعالى.

ومن العلماء الذين تبنوا هذا الرأي:

١ - العلامة المجلسي، حيث ذكر في بحاره ﴿اعلم ان الذي ظهر من الآيات الكثيرة والبراهين القاطعة والاخبار المستفيضة هو ان النفس باقية بعد الموت اما معذبة ان كان ممن محض الكفر أو منعمة ان كان ممن محض الإيمان أو يلهى عنه ان كان من المستضعفين... (ثم يتابع العلامة قائلاً) ثم تتعلق الأرواح بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجن والملائكة...﴾[1].

من خلال ما قاله العلامة نستفيد أن الأرواح في البداية تعود إلى الأجساد العنصرية ثم تتعلق بالأجساد المثالية.

٢ - الشيخ فاضل الصفار حيث ذكر ﴿(عن ابي بصير، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: ان المؤمن إذا اخرج من بيته شيعته الملائكة إلى قبره... ويدخل عليه في قبره ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقعدانه ويسألانه...)﴾[2].

﴿ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر قبض روح المؤمن فقال: ثم يعاد روحه في جسده، ويأتيه الملكان فيجلسانه في قبره...﴾[3].

(ويتابع الشيخ قائلاً) وقوله (يلقيان فيه الروح) و(يعاد روحه في جسده) لا يصدق إلا على الجسد العنصري، والروايات الواردة بهذا المضمون كثيرة، والتي يفيد ظاهرها أن الميت تعود الروح إلى جسده ثانية

(١) أورده العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ج٦، ص٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) الكافي: ج٣، ص٢٣٩.

(٣) انظر بحار الأنوار: ج٦، ص٢٢٧.

في القبر، لكي تتم معه المساءلة، فالسؤال والحساب يكون أولا مع الجسد العنصري، وبعد ذلك يدخل الإنسان عالم البرزخ»[1].

التفاتة:

ذكرنا أن الروح تعود إلى الإنسان في قبره ، وهذا معناه أنه لا يزال في عالم الدنيا (عالم المادة)، ولكي نعرف الفرق بين عالم المادة وعالم البرزخ، علينا معرفة أن عالم الوجود ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

١ - **عالم المادة:** وهو العالم المشار إليه (المحسوس الملموس) الذي له طول وعرض وارتفاع، أي له حيز.

٢ - **عالم البرزخ:** فيه خصائص المادة دون المادة نفسها، فهو حالة وسطية بين الحالتين.

٣ - **عالم المجرد:** الذي يفتقر ويفتقد لكل خواص عالم المادة وعالم البرزخ وهو على قسمين ايضا:

أ - **مجرد واجب:** (المتجسد بالذات الإلهية فقط).

ب - **عالم مجرد ممكن:** كعالم العقل، عالم المثال.

القسم الثاني: العلماء الذين أوّلوا ظاهر الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

وهؤلاء أوّلوا ظاهر الروايات لبعض المحذورات، حيث قالوا: إن الجسد الذي ترجع له الروح أو تدخل به هو الجسد المثالي، أي بمجرد موت الإنسان ينتقل إلى عالم البرزخ، وبمجرد دخوله عالم البرزخ

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ج٧، ص٢١١.

تنتفي الحاجة إلى الجسد العنصري، وأيضا يُسأل الميت وحسب جوابه يحدد مصيره كما ذكرنا سابقاً.

ومن العلماء الذين تبنوا هذا الرأي:

الشيخ جعفر السبحاني، حيث قال ما نصه: ﴿الروايات في هذا الباب متضافرة بل متواترة، ولكن ليس فيها أي اشارة إلى ان المسؤول هو البدن العنصري، ولذلك قلنا: إن المسؤول هو البدن البرزخي، فلا مناص من ارجاع السؤال والعذاب والروح الريحان إلى البدن البرزخي.

﴿عن ابي ولاد الحناط، عي ابي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك يروون ان ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال: لا، المؤمن اكرم على الله من ان يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في ابدان كأبدانهم﴾[1].

ثم يقول الشيخ: نعم ربما يستفاد من بعض الروايات أن المسؤول والمعذب والمنعم هو هذا البدن العنصري، في ذلك المكان الضيق إلا ان تأويلها (الروايات) افضل من الاعتماد عليها﴾[2].

وقد يسأل سائل: ما هي المحذورات التي جعلت علماء القسم الثاني يؤولون ظاهر الروايات؟

والجواب:

﴿بعض العلماء يفسرون سؤال القبر وضغطة القبر على الجسد المدفون في القبر على ان الروح تعود إلى الجسد بأمر الله... خلال

---

(١) بحار الأنوار: ج٦، ص٢٦٨.

(٢) انظر : مفاهيم القرآن: ج٨، ص١٨٣ – ١٨٤.

القرون الماضية طرحت شبهة على هذا الاعتقاد تقول عندما يملأ فم الميت بمسحوق كالكافور وغيره، وعندما سيتحدث فسيفتح فاه وتخرج تلك المساحيق من فمه، لكن عندما ينبش قبره بعد عدة ايام لا نجد أي تغيير في فمه»[1].

فمثل هذه المحذورات المطروحة ربما هي كانت وراء ذلك التأويل.

فهل رد علماء القسم الأول عن مثل هذه المحذورات؟ أم أنهم لم يلتفتوا إلى مثل هذه المحذورات؟

الجواب: للجواب على هذه الشبهة علينا أن نعرف أولاً عن من نتحدث، فإن كان الحديث عن الرب القادر، فعندها سنعلم بأن الله تعالى قادر على جعل الإنسان الميت يتكلم، ومن ثم يرجعه مرة أخرى إلى الهيأة التي دفن فيها.

التفاتة: المستضعف في ثقافة القرآن الكريم:

ذكرنا سابقاً أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة اقسام بعد سؤال القبر، وذكرنا أن من هذه الأقسام هو المستضعف أو الذي يُلهى عنه، وعند البحث في القرآن الكريم نجد أن كلمة المستضعف في القرآن وردت لعدة مصاديق:

١ - **الامام:** يطلق القرآن الكريم أحيانا على الإمام كلمة (مستضعف).

---

(١) انظر : أجوبة الشبهات الكلامية ج٥، - المعاد - ص٩٤.

يقول تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥).

٢ - التابع: وإليه يشير قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ...﴾ (سبأ:٣٣).

٣ - القاصر: وهو ممن يُلهى عنه ويُترك أمره إلى يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٦).

يقول تعالى: ﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ، فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: ٩٨ - ٩٩).

٤ - المقصر: هذا مستضعف أيضاً، ولكنه يعذب، وعذابه يكون بسبب تقصيره.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧).

المحطة الخامسة: عن أي شيء يُسأل الإنسان في القبر؟

عن ماذا يُسأل الإنسان في قبره؟ هل يُسأل عن مأكله ومشربه وبقية زخارف الدنيا؟ أو ماذا؟

الجواب: نعم، يسأل الإنسان عن هذه الأمور، ولكن هناك أموراً أخرى أهم منها، يُسأل عنها الإنسان في قبره، وهذه الأمور متعلقة

بعقيدة الإنسان، وعقيدة الإنسان تبنى من خلال معرفة (التوحيد والنبوة والإمامة) حيث إن اعتقادات الإنسان هي التي تحدد مصيره.

يقول الشيخ فاضل الصفار (ومن هنا نعرف ضرورة اهتمام الإنسان في ترسيخ عقائده وتصحيحها وأخذها من المصادر الموثوقة الصحيحة، وأهم ما يحدد مصير الميت في عقيدته هو إيمانه بالإمام)[1].

روي ﴿عن الامام الرضا عليه السلام: بعد موت ابي حمزة الواقفي: انه اقعد في قبره فسئل عن الائمة عليهم السلام فأخبر بأسمائهم حتى انتهي الي فسئل فوقف، فضرب على رأسه ضربة امتلأ قبره نارا﴾[2]

وهذا إن دل على شيء فهو يدل عظم وأهمية هذا الأمر، لأن الإيمان بالإمام يعتبر من أعظم النعم، بل هي النعمة بالمعنى الأخص.

النعم في ثقافة القرآن الكريم:

عند البحث في القرآن، نجد أن النعم تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: النعم العامة.

وهي تشمل كل ما خلقه الله تعالى، ويستحق الشكر.

يقول تعالى:﴿ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ ، وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا...﴾(ابراهيم:٣٢- ٣٤).

---

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ج٧، ص٢١٤.

(٢) ميزان الحكمة: ج٣، ص٢٤٧٩.

القسم الثاني: نعم خاصة

وهي التي خصها الله تعالى بالذكر في القرآن الكريم، وطلب عليها الشكر خاصةً ، وهي على انواع نذكر منها:

١ - نعمة الوحدة:

يقول تعالى: ﴿...وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

٢ - نعمة الانتصار على الاعداء:

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ...﴾ (المائدة: ١١).

٣ - نعمة الامن:

يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٦).

القسم الثالث: نعمة أخص

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

وهي التي يُسأل عنها الإنسان في القبر، وفي يوم القيامة، وهذه النعمة هي نعمة الإيمان بالإمام (الولاية) كما أشرنا إليها قبل قليل.

وقد ذكرها القرآن الكريم في آيات عديدة ، ثلاث من هذه الآيات اتفقت عليها تفاسير السنة والشيعة وهي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...﴾ (المائدة: ٣).

يقول السيوطي في تفسيره ﴿واخرج ابن مردويه وابن عساكر بسنده عن ابي سعيد الخدري قال: (لما نصب رسول الله ﷺ) عليا يوم غدير خم فنادى له بالولاية، هبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية (اليوم اكملت لكم دينكم))﴾[1].

﴿واخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر بسند ضعيف عن ابي هريرة قال: لما كان يوم غدير خم وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجة، قال النبي ﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه. فأنزل الله (اليوم اكملت لكم دينكم)﴾[2].

اما من طرق اتباع أهل البيت عليهم السلام:

فقد روي ﴿عن الفضل بن عمر، عن الصادق بن جعفر عليه السلام، قال: (قال امير المؤمنين عليه السلام اعطيت سبعا لم يعطها احد قبلي سوى النبي ﷺ: لقد فتحت لي السبل، وعلمت المنايا، والبلايا، والانساب، وفصل الخطاب، ولقد نظرت إلى الملكوت بإذن ربي، فما غاب عني كان قبلي ولا ما يأتي بعدي، وان بولايتي اكمل الله لهذه الامة دينهم، واتم عليهم النعم، ورضي لهم اسلامهم، اذ يقول يوم الولاية لمحمد ﷺ: يا محمد، اخبرهم اني اكملت لهم اليوم دينهم، واتممت عليهم النعم، ورضيت لهم اسلامهم، كل ذلك منّ الله به عليّ فله الحمد)﴾[3].

---

(١) الدر المنثور في تفسير المأثور.

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) البرهان في تفسير القرآن: مج٢، ص٣٧٣ – ٣٧٤.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...﴾ (المائدة: ٦٧).

يقول السيوطي في تفسيره ﴿واخرج ابن حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن ابي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك...) على رسول الله ﷺ يوم غدير خم، في علي ابن ابي طالب﴾[1].

ومن طرق اتباع أهل البيت عليهم السلام:

روي ﴿عن ابن الجارود، قال: سمعت ابا جعفر يقول: (فرض الله عزّ وجلّ على العباد خمسا، اخذوا اربعا وتركوا واحدة). قلت: اتسميهن لي، جعلت فداك؟ فقال: (الصلاة، وكان الناس لا يدرون كيف يصلون، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد، اخبرهم بمواقيت صلاتهم... ثم نزلت الولاية، وانما اتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة، انزل الله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي) (المائدة: ٣)، وكان كمال الدين بولاية علي ابن ابي طالب عليه السلام ...﴾[2].

وروي ﴿عن حنان بن سدير، عن ابيه، عن ابي جعفر عليه السلام قال: (لما نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ في حجة الوداع بإعلان امر علي ابن ابي طالب عليه السلام (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك...)، قال: فمكث النبي ﷺ ثلاثا حتى اتى الجحفة، فلم ياخذ بيده فرقا من الناس. فلم نزل الجحفة يوم الغدير في مكان يقال له

---

(١) الدر المنثور في تفسير المأثور.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: مج٢، ص٤٩٤.

مهيعة نلدى الصلاة جامعة فاجتمع الناس، فقال النبي ﷺ: فمن اولى بكم من انفسكم؟ قال: فجهروا، فقالوا: الله ورسوله. ثم قال الثانية، فقالوا: الله ورسوله. ثم قال الثالثة، فقالوا: الله ورسوله. فاخذ بيد علي عليه السلام فقال: كم كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فإنه مني وانا منه وهو مني بمنزلة هارون من موسى، الا انه لا نبي بعدي)﴾[1].

الآية الثالثة: قوله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع) (المعارج: ٥).

فقد روي ﴿عن ابن عباس، وقيل هو الحارث بن النعمان، وذلك انه لما بلغه قول رسول الله ﷺ: (يا علي من كنت مولاه فعلي مولاه). ركب ناقته فجاء حتى اناخ راحلته بالأبطح ثم قال: يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك، وان نحج فقبلناه منك، وان نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك، ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا أ فهذا منك ام من الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: (والذي لا اله الا هو، ما هو الا من الله). فولى الحارث وهو يقول: اللهم ان كان ما يقول حقا، فامطر علينا حجارة من السماء، فوالله ما وصل ناقته، حتى رماه الله بحجر، فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله﴾[2].

ومن طرق أتباع أهل البيت عليهم السلام:

روي ﴿... عن حسين بن محمد، قال: سألت سفيان بن عيينه، عن قول الله عز وجل (سأل سائل بعذاب واقع)، فيمن نزلت؟ فقال يا ابن

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: مج٢، ص٤٩٧.

(٢) حاشية الصاوي - تفسير الجلالين.

اخي، لقد سألت عن شيء ما سألني عنه احد قبلك، لقد سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن مثل هذا الذي قلت، فقال: (اخبرني ابي، عن جدي، عن ابيه، عن ابن عباس، قال: لما كان يوم غدير خم، قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيبا ثم دعا علي ابن ابي طالب عليه السلام فاخذ بضبعيه، ثم رفع بيده حتى رُئي بياض ابطيهما، وقال للناس: الم ابلغكم الرسالة؟ الم انصح لكم؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال: ففشت في الناس، فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فرحل راحلته، ثم استوى عليها... ثم قلت لنا: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فهذا عنك ام عن الله؟ فقال له: بل عم الله فقالها ثلاثا، فنهض وانه لمغضب، وانه ليقول: اللهم ان كان ما يقوله محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء، تكون نقمة في اولنا واية في اخرنا، وان ما يقوله محمد كذبا فانزل به نقمتك، ثم ركب ناقته واستوى عليها، فرماه الله بحجر على رأسه، فسقط ميتا، فانزل الله تبارك وتعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين ليس له دافع، من الله ذي المعارج﴾[1].

و هناك آيات أخرى في القرآن الكريم فسرتها الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بأنها نزلت في يوم تنصيب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في يوم غدير خم، منها ما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون

(١) البرهان في تفسير القرآن: مج٨، ص١١٥.

انه لمجنون) (القلم: ٥١) ﴿عن الحسين الجحال قال: حملت ابا عبد الله عليه السلام من المدينة إلى مكة، فلما بلغ غدير خم نظر الي، وقال: (هذا موضع قدم رسول الله صلى الله عليه وآله حين اخذ بيد علي عليه السلام وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وكان عن يمين الفسطاط اربعة نفر من قريش - سماهم لي - فلما نظروا اليه وقد رفع يده حتى بان بياض ابطيه، قالوا: انظروا إلى عينيه، قد انقلبتا كأنهما عينا مجنون، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: اقرأ: (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون، وما هو إلا ذكر للعالمين) (القلم: ٥١ - ٥٢)، والذكر علي ابن ابي طالب عليه السلام...﴾[1].

أقول:

الروايات في هذا المجال كثيرة جداً، وتثبت أن أهم ما يُسأل عنه الإنسان في قبره هو الإيمان بالإمام نذكر منها:

الرواية الأولى:

﴿اقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد هذا الأمر (الخلافة) لنا من بعدك ام لمن؟ قال يا صخر: الأمر من بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى، فانزل الله تعالى: (عمَّ يتساءلون) يعني يسألك أهل مكة عن خلافة علي بن ابي طالب (عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) منهم المصدق بولايته وخلافته ونهم المكذب (كلا) رد عليهم (سيعلمون) سيعرفون خلافته بعدك انها حق يكون (ثم كلا سيعلمون) سيعرفون خلافته وولايته اذ

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: مج٨، ص٩٧.

يسألون عنها في قبورهم فلا يبقى ميت في شرق ولا غرب ولا في بر ولا في بحر إلا ومنكر ونكير يسألأنه عن ولاية امير المؤمنين بعد الموت يقولان للميت من ربك وما دينك ومن نبيك ومن امامك﴾(١).

الرواية الثانية:

﴿عن ابي بصير، عن احدهما (الصادق أو الباقر عليهما السلام) قال: إذا مات العبد المؤمن دخل معه في قبره ستة صور فيهن صورة احسنهن وجها وابهاهن هيبة واطيبهن ريحا وانظفهن صورة قال: فيقف صورة عن يمينه وأخرى عن يساره وأخرى بين يديه وأخرى خلفه وأخرى عند رجله وتقف التي هي احسنهن فوق رأسه فإن أتي عن يمينه منعته التي هي عن يمينه ثم كذلك إلى ان يؤتى من الجهات الستة، قال: فتقول احسنهن صورة: ومن انتم جزاكم الله عني خيرا، فتقول التي عن اليمين: انا الصلاة، وتقول التي عن يساره: انا الزكاة، وتقول التي بين يديه: انا الصيام، وتقول التي خلفه: انا الحج والعمرة، وتقول التي عند رجليه: انا بر من وصلت من اخوانك، ثم يقلن جميعا: من انت فأنت احسننا وجها واطيبنا ريحا وابهانا هيبة، فتقول: انا الولاية لآل محمد صلوات الله عليهم اجمعين﴾(٢).

الرواية الثالثة:

﴿عن الامام الصادق عليه السلام: يسأل الميت في قبره عن خمس: عن صلاته، وزكاته، وحجه، وصيامه، وولايته ايانا أهل البيت، فتقول

(١) بحار الأنوار: ج٦، ص٢١٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٦، ص٢٣٤ - ٢٣٥.

الولاية من جانب القبر للأربع: ما دخل فيكن من نقص فعليّ تمامه»[1].

(1) ميزان الحكمة: ج٣، ص٢٤٨٠.

القسم الرابع: البرزخ

وهو القسم الرابع من أقسام المعاد، وله العديد من المحطات:

المحطة الأولى: ما هو البرزخ؟.

لغةً: هو الحاجز أو الحائل بين شيئين.

يقول تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: ١٩ – ٢٠).

واصطلاحاً: هو فترة تتوسط بين عالم الدنيا وعالم الآخرة.

المحطة الثانية: كيفية حياة البرزخ؟

إن الحياة الدنيا تكون بالجسم والروح، وحياة الآخرة تكون أيضاً بالجسم والروح، وبينما حياة البرزخ التي تكون بالروح ، ولكن الجسم يختلف، حيث تتلبس الأرواح هنا أجساماً تختلف عن الأجسام العنصرية (المادية)، ويطلق عليها بالأجسام المثالية (الشفافة) ، وقلنا إنها تكون شبيهة بأجسام الجن والله العالم.

المحطة الثالثة: زيارة الأموات في عالم البرزخ لأهلهم في الدنيا.

هل يُسمح للميت في عالم البرزخ أن يزور أهله الذين هم في عالم الدنيا؟

الجواب: نعم، بعد تلبس الأرواح بالأجسام المثالية في عالم البرزخ، يُسمح لهذه الأرواح بزيارة أهلها، فروح المؤمن عندما تزور

أهلها يريها الله تعالى في أهلها ما يسرها، ويخفي عنها ما يكدرها ، على العكس من روح الكافر ، حيث يريها ما يكدرها ، ويخفي عنها ما يسرها، كما نصّت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

﴿... عن حفص بن البختري، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: ان المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب ويستر عنه ما يكره وان الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستر عنه ما يحب. قال: ومنهم من يزور كل جمعة ومنهم من يزور على قدر عمله﴾[1].

و ﴿... عن اسحاق بن عمار عن ابي الحسن الأول عليه السلام قال: سألته عن الميت يزور أهله؟ قال: نعم، فقلت: في كم يزور؟ قال: في الجمعة وفي الشهر وفي السنة على قدر منزلته، فقلت: في أي صورة يأتيهم؟ قال: في صورة طائر لطيف سقط على جدرهم ويشرف عليهم فان رآهم بخير فرح وان رآهم بشر وحاجة حزن واغتم﴾[2].

أقول:

الروايات في هذا المجال كثيرة لا يسعنا ذكرها ،ومن اراد المزيد فليراجع المصادر المختصة.

المحطة الرابعة: تكامل الإنسان في عالم البرزخ.

هل من الممكن أن يتكامل الإنسان في عالم البرزخ؟

الجواب: نعم، وهذا ما قاله الشيخ فاضل الصفار (إن العقل يقتضي بضرورة وجود حياة برزخية تؤهل البشر لحياة الآخرة التي

---

(١) الكافي: ج٣، ص٢٣٠.

(٢) نفس المصدر لسابق.

يقترب فيها العبد من ربه، ويحظى بعظيم المنزلة، وينال أجر جهوده وصبره وطاعته إن كان صالحاً، أو ينال جزاء جحوده وتمرده وطغيانه إن كان طالحاً، بداهة أن عالم الإمكان محكوم بالتأهيل والاستعداد، لاستحالة الصدفة والطفرة فيه)[1].

المحطة الخامسة: اقسام البرزخ.

البرزخ يكون على قسمين:

القسم الأول: البرزخ النزولي:

هو العالم الذي كان فيه الإنسان قبل مجيئه إلى عالم الدنيا (عالم الذر).

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا...﴾ (الأعراف: ١٧٢).

القسم الثاني: البرزخ الصعودي:

هو العالم الذي يذهب إليه الإنسان بعد انتهاء عالم الدنيا.

والفرق بينهما هو: إن البرزخ النزولي لا تكليف فيه، أي لا عذاب ولا نعيم، أما البرزخ الصعودي فيكون فيه الإنسان إما منعماً أو معذباً، على حسب تأديته للتكاليف التي كُلّف بها في الدنيا.

---

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ج٧، ص٢٧٠.

المحطة السادسة: آيات البرزخ في القرآن الكريم.

تفنن القرآن الكريم في طرح آيات البرزخ والاستدلال على وجود هذه المرحلة المهمة، والآيات في هذا المجال على أنواع هي:

النوع الأول:

ما ذكرت وجود هذه المرحلة من خلال إثبات حقيقة الموت، وأنه ليس فناءً ولا عدماً، وإنما انتقال من مرحلة إلى أخرى ومن تلك الآيات هي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٩ - ١٧١).

هذه الآية دليل على وجود الحياة بعد الموت، (لأنها نهت عن اعتبار الذين يقتلون في سبيل الله أمواتاً، لأنهم أحياء عند ربهم يأكلون ويشربون ويفرحون ويتحدثون)[1] وهذا إنما يكون في البرزخ قبل الآخرة.

النوع الثاني:

ما أثبتت وجود المرحلة البرزخية من خلال بيانها بالروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام وكتب التفسير المعتبرة ومنها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ...﴾ (غافر:١١).

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ج٧، ص٢٥٨.

وقد جاء في تفسير الآية الكريمة عن السيد الطباطبائي في ميزانه ﴿والمراد بقولهم: (أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)، الإماتة عن الحياة الدنيا والإحياء للبرزخ ثم الإماتة عن البرزخ والإحياء للحساب يوم القيامة، فالآية تشير إلى الإماتة بعد الحياة الدنيا والإماتة بعد الحياة البرزخية، والى الإحياء في البرزخ والإحياء ليوم القيامة، ولولا الحياة البرزخية لم تتحقق الإماتة الثانية، لأن كلاً من الإماتة والإحياء يتوقف تحققه على سبق خلافه﴾(1).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ (الواقعة: ٨٨ - ٨٩)

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ، فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ، وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة: ٩٢ - ٩٤).

فقد روي ﴿... عن ابي المقدام، قال: قال الصادق جعفر بن محمدعليه السلام: نزلت هاتان الايتان في أهل ولايتنا، وأهل عداوتنا، (فأما ان كان من المقربين، فروح وريحان) يعني في قبره (وجنة نعيم) يعني في الآخرة، (وأما ان كان من المكذبين الضالين، فنزل من حميم) يعني في قبره، (وتصلية جحيم) يعني في الآخرة﴾(2).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿...وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥ - ٤٦).

---

(1) انظر: الميزان في تفسير القرآن: ج١٧، ص٣١٣.

(2) البرهان في تفسير القرآن: ج٧، ص٤٣١.

﴿... وقال ابو عبد الله عليه السلام: (ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة، لان القيامة لا تكون غدوا وعشيا)، ثم قال: (ان كانوا انما يعذبون في النار غدوا وعشيا ففيما بين ذلك هم من السعداء. لا، ولكن هذا في البرزخ قبل يوم القيامة، ألم تسمع قوله عز وجل: (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون اشد العذاب)﴾[1].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى...﴾ (يس: ٢٠)

وقوله تعالى ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ، بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (يس: ٢٦ - ٢٧).

إن المقصود بالجنة في الآية الكريمة هي جنة البرزخ، كما جاء عن السيد الطباطبائي في ميزانه قوله ﴿والمراد بالجنة على هذا جنة البرزخ دون جنة الآخرة﴾[2].

النوع الثالث:

ما صرحت بوجود هذه المرحلة (البرزخ) بصورة صريحة وواضحة ومنها قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3].

فالآية صريحة وواضحة في ذكر عالم البرزخ وتثبيت حقيقة وجود ذلك العالم، الذي لابد أن يمر به كل إنسان، (وكذلك نلاحظ أن الآية

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٧، ص٢٨.

(٢) انظر : الميزان في تفسير القرآن: ج١٧، ص٧٩.

(٣) المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠.

قد ذكرت ثلاثة أزمنة: الزمن الأول: زمن الموت والاحتضار، والتي بها يشاهد المحتضر عالم الغيب، وزمن البعثة التي يحشر فيها الناس لرب العالمين، وما بينهما زمن البرزخ)[1].[2]

المحطة السابعة: طلب الكافرين الرجوع إلى الدنيا.

يطلب الكافرون من الله تعالى الرجوع إلى الدنيا ، لكي يعملوا الصالحات، وطلبهم هذا يتكرر في أكثر من موضع من القرآن الكريم سنبين منها:

---

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية ج٧، ص٢٥١.

(٢) التفاتة:

هناك آيات ذكرت في القرآن الكريم أن جهنم واسعة لدرجة أنها كلما سُئلت إن كانت قد امتلأت، فتجيب: كلا! ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ (ق: ٣٠)، ولكن هناك آية أخرى تبين ضيقها ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا...﴾ (الفرقان: ١٣)

فهل هناك تعارض أو تناقض بين آيات القرآن الكريم؟

الجواب: كلا، ليس هناك أي تناقض أو تعارض بين آيات القرآن الكريم، ولكي تتضح الصورة نضرب المثال التالي:

إن الحائط على الرغم من سعته، إلا أننا إذا أردنا أن نثبت به مسماراً، فهذا المسمار سيشغل مساحة صغيرة جداً من ذلك الحائط، أي بما يناسب حجم المسمار.

كذلك الحال مع من هو في النار، فعلى الرغم من سعتها، لكن لكل شخص (من أهل النار) مكانه المخصص، فيكون مسجوناً فيه بمقدار ما يناسبه!

والجدير بالذكر : أن لكل واحد من أهل النار يكون مكانه مختلفاً عن مكان الآخر، كلٌ على حسب أعماله الطالحة التي قام بها في الدنيا.

فهناك من هم في الاسفل (قعر جهنم) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ...﴾ (النساء: ١٤٥)

وهناك من هم في أول دركات جهنم (في الأعلى)

ومنهم من يكون في ضيق شديد

ومنهم من يكون هو نفسه وقوداً لجهنم ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن: ١٥).

الموضع الأول: طلب الرجوع من البرزخ إلى الدنيا.

يقول تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠).

الموضع الثاني: طلب الرجوع في الحساب عند رؤيتهم العذاب إلى الدنيا.

وإليه تشير عدة آيات منها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر: ١١).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (المؤمنون: ١٧).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ١٢).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ (الشورى: ٤٤).

وهنا سؤال: هل سيقبل الله تعالى طلب رجوعهم إلى الدنيا؟

الجواب: كلا، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام:٢٨)

وبهذا يتضح أن الله تعالى يرفض طلبهم، لأنه ﷻ قد اختبرهم في الدنيا، حيث قدموا نفس الطلب عندما حاصرهم الموج في البحر، وقد

استجاب لهم الله تعالى طلبهم، وأنقذهم من الموت، ولكنهم بمجرد أن سلموا من الموت عادوا إلى كفرهم مرة أخرى، يقول تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)

وعند البحث في القرآن الكريم نجد أن هؤلاء الكافرين يصابون بحالة من التخبط أثناء طلبهم الرجوع إلى الدنيا، فمرة يعترفون بأنهم ضلوا نتيجة اتباعهم للمضللين، قال تعالى ﴿...قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ...﴾ (الأعراف:٣٨)

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب: ٦٧)

ومرة يطلبون من الذين كانوا سبباً في هلاكهم أن يخلصوهم من العذاب، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا...﴾ (غافر: ٤٧ - ٤٨)

ومرة يطلبون النجاة من أهل الإيمان، كما يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ...﴾ (الحديد: ١٣)

ومرة يطلبون من خزنة النار أن يخففوا عنهم العذاب، كما يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٩)

وبعد كل هذا التخبط، تصل بهم الجرأة إلى أنهم يخاطبون الله تعالى بأن ما هو موجود في كتبهم هو محض اتهام لهم، وأنهم لم يفعلوا ذلك، وقد نسوا أن الله تعالى العالم المطلق الذي لا تخفى علية خافية، كما يقول تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ، انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ٢٣ -٢٤)

والطريف في الآية الكريمة أنها تبين أن الله تعالى يوضح حالتهم بقولهم هذا القول: أنهم قد كذبوا على أنفسهم وليس على الله تعالى.

وسبب هذا التخبط هو انعكاس للدنيا ، حيث كان هؤلاء متخبطين في الدنيا، وبوصلتهم لم تكن باتجاه واحد، وإنما كانت بعدة اتجاهات، ولهم العديد من الأولياء، ﴿...وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧)

بعكس أهل الإيمان الذين كانوا في الدنيا يعيشون وبوصلتهم باتجاه واحد وهو اتجاه الحق، ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ (البقرة: ٢٥٧).

مصاديق ارتباط العمل في الدنيا والجزاء في الآخرة في القرآن الكريم:

قلنا: إن سبب تخبط الكافرين هو انعكاس لأعمالهم في الدنيا، وعند البحث نجد بعض مصاديق ارتباط العمل بين الدنيا والآخرة، نذكر منها:

المصداق الأول:

المؤمن في الدنيا يقيد نفسه بأحكام الشريعة الإلهية المنصوص عليها، فيتحرر من هذه القيود في الآخرة ﴿لَهُم مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر: ٣٤).

أما الكافر، فقد كان متحرراًمن هذه القيود في الدنيا ، فسوف يتقيد بها في الآخرة ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ (الحاقة: ٣٠).

المصداق الثاني:

إن الكافر في الدنيا يعتقد أن الموت انعدام وفناء، ولا وجود للآخرة أو الحياة فيها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ...﴾ (الجاثية: ٢٤)

وفي الآخرة بعد أن ماتوا ورأوا الحياة الأخروية ، يطلبون مرة أخرى الموت لكي يفنوا ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ...﴾ (الزخرف: ٧٧). أي انهم في الدنيا والآخرة يعتقدون ان الموت فناء وانعدام.

المصداق الثالث:

إن الكافر في الدنيا يعض أنامله حقداً وغيظاً على المؤمنين ﴿...قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ...﴾ (آل عمران: ١١٩)

وفي الآخرة يعضون أيديهم حسرة وندماً ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٧).

المصداق الرابع:

إذا أعرض الإنسان في الدينا عن الحق ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ...﴾ (فصلت: ٥١) فإن الله تعالى يوم القيامة أيضاً يُعرض عنه، ويكون الإعراض من خلال إعطائه كتابه وراء ظهره ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ﴾ (الانشقاق: ١٠).

المحطة الثامنة: الفرق بين نار الدنيا ونار البرزخ والآخرة.

إن نار البرزخ إنما تكون مأخوذة من نار القيامة (الآخرة)، وهي (أي نار الآخرة) تختلف عن نار الدنيا بعدة أمور منها:

الأمر الأول: نار الدنيا غير عاقلة ولا مدركة، وأما نار الآخرة فهي مدركة ومميزة.

يقول تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان:١٢).

فإسناد الرؤيا هنا للنار على وجه الحقيقة لا المجاز.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يبين الله تعالى أن النار أحيانا تكون مولى للكافرين، أي تأخذ دور السيد عليهم ﴿...مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحديد: ١٥).

وهنا سؤال: كيف يمكن أن تكون النار عاقلة ومدركة، بل وناطقة؟

الجواب: فهم هذا يتحدد على طبيعة الإنسان، هل هو متدين أم مادي، فإن كان متديناً فنجيبه من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ٢٠)، فمن خلال هذه الآية الكريمة نستنتج أن

أعضاء الإنسان- كسمعه وبصره وجلده -تكون شاهدة عليه يوم القيامة، وهو دليل على أن هذه الأعضاء تحفظ أعمال الإنسان وتشهد عليه بها، وهذه القدرة على الحفظ إنما أعطاها الله إياها، ومن غير المعقول أن هذه الأعضاء تشهد على ما لا تعلم به، والدليل على أنها تعلم: هو سؤال الإنسان لهذه الاعضاء: لِمَ شهدتم علينا؟! فتجيب قائلة: ﴿...أنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ...﴾ (فصلت: ٢١)

وهذا كله بلحاظ جسد الإنسان المادي الفاني، فكيف بما هو موجود في الحياة الأخروية.

وفي حقيقة الأمر إن المشكلة هي في عدم إدراكنا لكيفية إدراك النار وكونها عاقلة ، باعتبار أننا غير مهيئين لإدراك هذه الحقائق، وهذا يوضح لنا مشكلة اعتراض غير أتباع أهل البيت علينا ،عندما نسلم على أعضاء جسد الإمام الحسين عليه السلام في الزيارة الشريفة (السلام على الشفاه الذابلات، والسلام على الاعضاء المقطعات، السلام على الرؤوس المشالات...).(١)

أمّا إذا كان هذا الإنسان مادياً، فهو بالأساس ينكر الجانب الغيبي، والله تعالى في كتابه العزيز يذكر لنا خريطة هؤلاء النفسية:

التفاتة: خطوط الخريطة النفسية للماديين:

تحتوي خريطة الماديين النفسية على عدة خطوط عامة، أشار لها القرآن الكريم، وهي على نحو الإجمال التالي:

(١) المزار - محمد بن المشهدي - ص ٤٩٨.

الخط الأول: إنهم لا يؤمنون إلا بالحس:

يقول تعالى: ﴿فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

والطريف هنا هو إنهم إذا كانوا لا يؤمنون إلا بما هو محسوس، فهل العقول محسوسة أم أنهم بلا عقول؟!

الخط الثاني: إن أهم الأمور لديهم هو الجمال المادي والتمتع به.

يقول تعالى: ﴿...وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ...﴾ (النجم: ٢٩ -٣٠).

الخط الثالث: إن تعاملاتهم في الدنيا قائمة على أساس المصلحة الشخصية والنفعية (النظرية البرجماتية).

الأمر الثاني: إن نار الدنيا محسوسة وتُرى بالعين المجردة، أما نار الآخرة فهي ترى بعين البصيرة في الدنيا ، وبعين اليقين بالحشر.

يقول تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (التكاثر: ٦ - ٧)

إذ لو دخلوا فيها فسيرونها حق اليقين ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الواقعة: ٩٤ - ٩٥).

الأمر الثالث: إن نار الدنيا تحرق ظاهر الشيء الملقى بها، وتنتقل إلى الداخل، أما نار الآخرة فبالعكس، إذ إنها تطلع على الداخل مباشرة.

يقول تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ، الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (الهمزة: ٦ - ٧).

فنار الآخرة تحرق الباطن ثم تنتقل إلى الخارج، كما توضح ذلك الآية الكريمة اعلاه.

الأمر الرابع: نار الدنيا تحرق الجسد الظاهري (لا النفوس)، أما نار الآخرة فتحرق النفوس بالإضافة إلى الأجساد.

الأمر الخامس: نار الدنيا يزداد اشتعالها كلما زدت الوقود فيها، وتنطفئ بمجرد سكب الماء عليها، كذلك الحال مع نار الآخرة يزداد سعيرها بزيادة الذنوب وتنطفئ بالتوبة، وكلما كانت التوبة سريعة، كلما كانت وقاية للإنسان من النار، مما يعني أن تسويف التوبة وتأخيرها من المخاطر التي ينبغي للإنسان أن لا يجازف فيها.[1]

الأمر السادس: إن نار الدنيا يوقدها الإنسان، أما نار الآخرة فيوقدها جبار السماوات والأرض.

الأمر السابع: إن نار الدنيا لها اسم واحد، أما نار الآخرة فلها العديد من الاسماء، ومنها التالي:

١ ـ **جهنم:** يقول تعالى: ﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ...﴾ (الأعراف: ١٧٩).

٢ ـ **الجحيم:** يقول تعالى: ﴿...وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر: ٧).

٣ ـ **الحُطمة:** يقول تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ (الهمزة: ٥).

٤ ـ **السعير:** يقول تعالى: ﴿...نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (سبأ: ١٢).

٥ ـ **السّموم:** يقول تعالى: ﴿والجَانّ خلقناه من قبل من نار السموم وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ (الحجر: ٢٧).

---

(١) **التفاتة: من آثار عدم التوبة الفورية هو تراكم الذنوب.** يقول تعالى: (... بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (المطففين: ١٤).

٦ - **النار:** يقول تعالى: ﴿...ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ...﴾ (البقرة:١٢٦).

٧ - **سجّين:** يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (المطففين:٧).

٨ - **سَقر:** يقول تعالى: ﴿...ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (القمر: ٤٨).

الأمر الثامن: أنواع النار.

ليس للنار نوع واحد، وإنما هي أنواع متعددة، نذكر منها:

النوع الأول: نار الدنيا:

كأخذ اموال اليتامى ظلما في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا...﴾ (النساء: ١٠).

النوع الثاني: نار الله (عذاب معنوي):

وهي نار حجب البعد عن الله.

يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥).

النوع الثالث: نار الآخرة (عذاب مادي)

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ (نار الدنيا) وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ (نار الله المعنوية أو نار الحجب) يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (نار الآخرة)﴾ (البقرة: ١٧٤).

المحطة التاسعة: الفرق بين القبر الفقهي (الترابي) والقبر البرزخي (المثالي).

بعد موت الإنسان، يفتح باب من الجنة على القبر المثالي، ويفتح باب من النار على القبر المثالي أيضاً.

وإن الفرق بين القبرين (الترابي والمثالي) هو ذاته الفرق بين عالم الرؤيا والحقيقة. ونكتفي في بيانه بما روي عن ﴿ابي الحسن عليه السلام قال: ان الاحلام لم تكن في ما مضى في اول الخلق وانما حدثت فقلت: وما العلة في ذلك؟ قال: ان الله عز ذكره بعث رسولا إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته، فقالوا: ان فعلنا ذلك فمالنا ما انت بأكثرنا مالا ولا بأعزنا عشيرة، فقال: ان اطعتموني ادخلكم الله الجنة وان عصيتموني ادخلكم الله النار، فقالوا: وما الجنة والنار؟ فوصف لهم ذلك، فقالوا: ومتى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متم، فقالوا: لقد رأينا امواتنا صاروا عظاما ورفاتا فازدادوا له تكذيبا وبه استخفافا فأحدث الله عز وجل فيهم الاحلام فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك، فقال: ان الله عز ذكره اراد ان يحتج عليكم بهذا. هكذا تكون ارواحكم إذا متم وان بليت تصير الارواح إلى عقاب حتى تبعث الابدان﴾[1].

المحطة العاشرة: بعض الروايات حول البرزخ.

﴿عن ابي بصير قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: ان الارواح في صفة الاجساد قي شجرة في الجنة تعارف وتساءل فإذا دمت الروح على

---

(١) بحار الأنوار: ج٦، ص٢٤٣.

الارواح يقول: دعوها فإنها افلتت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل فلان وفلان؟ فإن قالت لهم: تركته حيا ارتجوه، وان قالت لهم: قد هلك قالوا: قد هوى هوى﴾[1].

وقد نصت الروايات ان الاطفال الذين يموتون اثناء فترة الحمل (السقط) أو حين الولادة فانهم يبقون في البرزخ تحت رعاية فاطمة الزهراء عليها السلام.

﴿عن ابي سليمان الديلمي، عن ابي بصير، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: ان اطفال شيعتنا من المؤمنين تربيهم فاطمة عليها السلام﴾[2].

المحطة الحادية عشر: ما يهون العذاب في القبر والبرزخ.

ما يهون العذاب في القبر والبرزخ أمور عديدة نذكر منها:

١ - الولد الصالح الذي يدعو للمتوفى.

٢ - الصدقة الجارية.

٣ - تعلم أو حفظ القرآن الكريم.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث: علم يُنتَفع به، أو صدقة تُجرى له، أو ولد صالح يدعو له)[3].

وروي ﴿عن الصادق عليه السلام، عن ابائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مر عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه، ثم مر به قابل

---

(١) الكافي: ج٣، ص٢٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٦، ص٢٢٩.

(٣) روضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ١١.

فإذا هو هو ليس يعذب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام اول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب؟ فأوحى الله ﷻ اليه: يا روح الله ادرك له ولد صالح فأصلح طريقا وآوى يتيما فغفرت له بما عمل ابنه»[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦، ص٢٢٠.

القسم الخامس: أشراط الساعة

بعد أن انتهينا من عالم البرزخ وسؤال الإنسان في البرزخ، وتحديد مصيره على أثر جوابه ، وعلى ذلك الأثر أما أن تفتح على القبر البرزخي باب من الجنة، ويصبح القبر روضة من رياض الجنة ، أو تفتح باب من النار على ذلك القبر ، ويتحول إلى حفرة من حفر النيران، والعياذ بالله.

بعد هذه المرحلة البرزخية المهمة، اختلف العلماء في تحديد مصير الإنسان،

فمنهم من قال: إن الإنسان ينتقل من عالم البرزخ مباشرة إلى مرحلة النفخ في الصور.

والبعض الآخر قال: إن الإنسان ينتقل من عالم البرزخ إلى مرحلة أخرى تسمى: أشراط الساعة، وهي تسبق مرحلة الصور.

وحتى تتضح الصورة نذكر المحطات التالي:

المحطة الأولى: ما معنى أشراط الساعة؟

الأشراط : هي العلامات أو الأحداث التي تسبق قيام الساعة.

المحطة الثانية: أقسام أشراط الساعة.

انقسم العلماء إلى ثلاثة أقسام في تحديد أو بيان أو تقسيم أشراط الساعة:

القسم الأول:

أصحاب هذا الرأي يجمعون كل الأشراط (العلامات) مباشرة من دون تبويب أو فهرسة، ومنهم الشيخ فاضل الصفار يحث يقول: ﴿تواترت النصوص في وقوع جملة من الحوادث الكونية العجيبة تسبق يوم القيامة وتعد علامة عليه، ومنذرة به... منها: تكور الشمس - انكدار النجوم - تسيير الجبال - ارتجاج الأرض - تفجر البحار﴾[١].

القسم الثاني:

أصحاب هذا الرأي قسموا الأشراط (العلامات) تقسيما ثنائياً، ومنهم الشيخ جعفر السبحاني حيث يقول: ﴿تطلق أشراط الساعة ويراد منها علائم القيامة، ثم ان أشراط الساعة على قسمين:

أ - الحوادث التي تتحقق قبل القيامة، وأهمها تقويض أركان النظام السائد في الكون.

ب - الحوادث التي ترافق اختلال النظام وانهياره، ويعبر عنها بمشاهد يوم القيامة﴾[٢].

القسم الثالث:

أصحاب هذه الرأي قسموا الأشراط (العلامات) تقسيماً ثلاثياً، ومنهم الشيخ ناصر مكارم الشيرازي حيث يقول: ﴿وهذه العلامات عبارة عن حوادث مهمة ورهيبة تحدث قبل يوم القيامة، تنذر كل منها بنهاية هذا العالم أو هي بداية لقيام الساعة... هذه الحوادث ليست

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ج٧، ص٢١٧.

(٢) انظر : مفاهيم القرآن: ج٨، ص١٨٧.

متشابهة، بل هناك فوارق واختلافات بينها، وبنظرة عامة يمكن تقسيم هذه الحوادث إلى ثلاثة أقسام وهي:

أ - الحوادث المهمة التي تتحقق قبل نهاية هذا العالم.

ب - الحوادث المرعبة التي تحدث على أعتاب نهاية هذا العالم.

ج - الحوادث الرهيبة التي تحصل أيضاً عند بداية البعث والعودة إلى حياة جديدة»[1].

ونحن في هذا الكتاب سنبين التقسيم الثنائي للأشراط (العلامات).

أقسام الأشراط:

القسم الأول: الحوادث التي تتحقق قبل قيام الساعة (القيامة).

وهي عديدة، نذكر منها التالي:

الأول: مبعث النبي ﷺ.

يقول تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا...﴾ (محمد:١٨).

من أهم الحوادث المشار إليها في هذه الآية هو مبعث النبي ﷺ.

وهنا قد يُثار سؤال مفاده: إن بعث النبي ﷺ مر عليه أكثر من ألف سنة ولم تأت القيامة بعد؟

والجواب: إذا درسنا الحوادث ما قبل مبعث النبي ﷺ والحوادث التي جاءت بعد بعثة النبي ﷺ ، وقسنا ما بعد على ما قبل، نجد أن الحوادث التي حدثت بعد بعثة النبي ﷺ تكون أقرب إلى القيامة، وبهذا الاعتبار صار مبعث النبي ﷺ من أشراط القيامة.

---

(١) انظر : نفحات القرآن: ج٦، ص٩.

الثاني: اندكاك (انكسار) سد ذي القرنين.

يقول تعالى: ﴿...فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: ٩٨).

في الآية الكريمة علامة أخرى على أشراط الساعة ، وهي اندكاك سد ذي القرنين، الذي بناه ذو القرنين ليحمي الناس الذين استنجدوا به للخلاص من الظالمين، وهي من علامات قرب يوم القيامة.

الثالث: ظاهرة يأجوج ومأجوج.

يقول تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦).

يأجوج ومأجوج عبارة عن مجموعة همجية أميّة أشبه بالخوارج الذين جاؤوا باسم الدين الاسلامي، وهي من علامات قرب يوم القيامة.

الرابع: الدخان.

يقول تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الدخان:١٠).

بعض العلماء طبق هذه الآية في زمن النبي ﷺ على أهل مكة، ولكن البعض الآخر قال: إن هذا الدخان سيشمل عموم الأرض، ويراه جميع الناس بحيث يخيفهم ويرعبهم، ولا ينطبق على فترة أو مرحلة معينة.

الخامس: خروج الدابة.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ...﴾ (النمل: ٨٢).

قد يتبادر إلى الاذهان سؤال وهو : هل إن مفردة الدابة في القرآن الكريم تقتصر على الحيوانات فقط ، أم تشمل جميع ما يدب على وجه الأرض؟

الجواب: نجد الجواب في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور: ٤٥).

فمن خلال الآية يتضح أن مفردة الدابة تشمل جميع ما يدب على وجه الأرض، سواء كان حيواناً ام إنساناً، ولا تقتصر على الحيوانات فقط.

وهنا سؤال آخر: ما المقصود من (دَابَّةُ الْأَرْضِ) في الآية الكريمة؟

الجواب: روي ﴿عن المفضل، قال: ... قال ابو عبد الله عليه السلام: (قال رجل لعمار بن ياسر: يا ابا اليقظان، اية في كتاب الله قد افسدت قلبي وشككتني. قال عمار: وأي اية هي؟ قال: قال: (وإذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) (الأنعام: ١٥٨) فأي دابة هي؟ قال عمار: والله ما اجلس، ولا اكل، ولا اشرب حتى أريكها. فجاء عمار مع الرجل إلى امير المؤمنين عليه السلام ، وهو يأكل تمرا وزبدا، فقال: يا ابا اليقظان، هلمّ فجلس عمار، واقبل يأكل معه، فتعجب الرجل منه، فلما قام، قال له الرجل: سبحان الله - يا ابا اليقظان - حلفت انك لا تأكل، ولا

تشرب، ولا تجلس حتى ترينيها، قال عمال: قد اريتكها - ان كنت تعقل﴾[1].

و﴿عن ابي بصير، عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: (انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى امير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد، وقد جمع رملا ووضع رأسه عليه، فحركه برجله، ثم قال له: قم، يا دابة الأرض، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، أيسمي بعضنا بعضا بهذا الاسم؟ فقال: لا والله، ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكرها الله تعالى في كتابه (وإذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون). ثم قال: يا علي، إذا كان اخر الزمان، اخرجك الله في احسن صورة ومعك مِيسَم تسم به اعدائك﴾[2].

السادس: رجوع بعض آيات الله.

يقول تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا...﴾ (الأنعام: ١٥٨).

عند التدبر في الآية الكريمة نجدها تذكر (آيات ربك) والسؤال هنا : ما هي هذه الآيات التي وردت في الآية؟

الجواب: بعد البحث في القرآن الكريم وجدنا أن هذه الآيات تنقسم إلى قسمين:

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٦، ص٣٧.

(٢) نفس المصدر السابق، ص٣٦.

١ - آيات تدوينية: وتشمل الكتب السماوية من التوراة والزبور والإنجيل والقرآن الكريم (الذي يهيمن على كل الكتب السماوية) قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...﴾ (المائدة: ٤٨).

٢ - آيات تكوينية: وهي على قسمين:

أ - آيات تكوينية صامتة: وتشمل:

١ - آيات أنفسية.

٢ - آيات آفاقية.

يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ...﴾ (فصلت:٥٣).

ب - آيات تكوينية ناطقة: وتشمل:

(الأنبياء - الأئمة - الحجج الإلهيين).

روي ﴿... عن ابي عبد الله عليه السلام، انه قال: في قول الله عز وجل: (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل). فقال عليه السلام: (الآيات الائمة، والآية المنتظرة القائم عليه السلام، فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل قيامه بالسيف، وان امنت بمن تقدم من ابائه عليهم السلام)﴾[1].

من خلال الرواية الشريفة أعلاه يتضح أن الإنسان الذي لم يكن مؤمناً بتلك الآيات من قبل، لا يمكنه الإيمان بها بعد ذلك ، ويكون في هذه الحالة من الخاسرين.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٣، ص١٢١ – ١٢٢.

التفاتة: الخسران في ثقافة القرآن الكريم:

للخسران ثقافة خاصة في القرآن الكريم، ويمكن بيان تلك الثقافة عموماً عبر النقاط التالية:

النقطة الأولى: إن الخاسر هو من ضيّع ماله وأهله وعمره في غير مرضاة الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿...قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ (الزمر: ١٥).

النقطة الثانية: لفي خسر: وهم الذين ليسوا من أهل الإيمان.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ (العصر: ٢ - ٣).

فمن خلال الاستثناء الوارد في الآية فهمنا أنهم ليسوا من أهل الإيمان.

النقطة الثالثة: الخسران المبين: الذين يكون إيمانهم غير ثابت وإنما هو متزلزل.

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١).

النقطة الرابعة: الأخسر: هو الذي خسر الدنيا والآخرة.

يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٣ - ١٠٤).

التفاتة أخرى:

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً...﴾ (المؤمنون: ٥٠).

يقول تعالى: ﴿...وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٩١).

لو أمعنّا النظر في الآيتين الكريمتين، لوجدنا أنهما تذكران النبي عيسى عليه السلام وأمه السيدة مريم عليها السلام على أنهما آيتان من آيات الله تعالى، وفي الحقيقة أن النبي عيسى عليه السلام هو من الآيات التكوينية الناطقة ، والتي تشمل الأنبياء كما ذكرنا سابقاً، ولكن الآية تبين أن السيدة مريم عليها السلام هي أيضاً من الآيات ، وهي ليست من الأنبياء ولا من الأئمة، فكيف نفسر هذا؟

في تفسير القرطبي نجده يقول في تفسير الآية الكريمة (... ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك...) (آل عمران: ٤٢)، يقول ﴿قوله تعالى: ان الله اصطفاك أي اختارك، وطهرك أي من الكفر (عن مجاهد والحسن) من سائر الادناس من الحيض والنفاس وغيرهما، واصطفاك لولادة عيسى... والكمال المطلق لله تعالى خاصة. ولا شك ان أكمل نوع الإنسان الأنبياء ثم يليهم الأولياء من الصديقين والشهداء والصالحين. وإذا تقرر هذا فقد قيل: إن الكمال المذكور في الحديث يعني به النبوة ، فيلزم عليه أن تكون مريم عليها السلام وآسية نبيتين، وقد قيل ذلك. والصحيح ان مريم نبيه...﴾[1].

---

(١) تفسير القرطبي.

فمن خلال كلام القرطبي يتضح أن السيدة مريم من الأنبياء، والحال أن القرآن الكريم يثبت أن الأنبياء من الرجال فقط، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ...﴾ (يوسف: ١٠٩)

ومن هنا نستنتج حقيقة مهمة، وهي: إن الاصطفاء لا يتوقف عند حدود النبوة والإمامة، وإنما يتعدى ذلك إلى (اصطفاء نبوة واصطفاء إمامة واصطفاء حُجّية)

ومن هنا نخرج بنتيجة مهمة، وهي أن مريم عليها السلام، هي من الحجج الإلهيين، وهذا ما قصدنا به أن من الآيات التكوينية الناطقة ، تشمل (الحجج الإلهيين).

وإذا كان النبي عيسى عليه السلام رغم كونه من الآيات، إلا أنه يصلي خلف الامام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه)، وهو الآية المنتظرة كما عبرت عنه الرواية سابقاً، فإذا كان المأموم من الآيات، فكيف بأمامه؟

وإذا كانت السيدة مريم من الحجج، فكيف بمن هي أفضل من السيدة مريم بل وسيدتها وهي مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام؟!

ففي الحديث عن الامام الحسن العسكري عليه السلام يقول: (نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا) وفي لفظ (وامنا فاطمة حجة الله علينا) ، فعلى الإنسان أن يتدبر في مثل هذه الأمور جيداً.

بقي أن نعرف ما معنى الرجعة أو الرجوع ومتى يكون ذلك؟

وهذا سنعرفه من خلال تسليط الضوء على ثقافة الرجعة.

استطراد: ثقافة الرجعة في القرآن الكريم.

للرجعة أهمية كبيرة في عقيدة الشيعة الإمامية، ولها العديد من الموارد والأمور المهمة، ولكننا سوف نسلط الضوء على شيء مختصر من هذه الثقافة الطويلة.

ثقافة الرجعة:

ولها عدة فروع نبين منها:

الفرع الأول: ما معنى الرجعة؟

الرجعة: في الاصطلاح عبارة عن عودة بعض الأموات إلى الدنيا بأرواحهم وأبدانهم ورجوعهم أحياءً بأذن الله سبحانه[1].

الفرع الثاني: لمن تكون الرجعة؟

الرجعة تكون لمن محض الإيمان محضاً ولمن محض الكفر محضاً، وعلى رأس من محض الإيمان هم النبي المصطفى وآله عليهم السلام، وعلى رأس من محض الكفر محضاً هم أعداؤهم.

روي عن ﴿... عن المفضل، عن ابي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: (ويوم نحشر من كل امة فوجا) (النمل: ٨٣)، قال: (ليس احد من المؤمنين قتل إلا ويرجع حتى يموت، ولا يرجع إلا من محض الإيمان محضا، ومن محض الكفر محضا)...﴾[2].

و ﴿... عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: ما يقول الناس في هذه الآية: (ويوم نحشر من كل امة فوجا)؟ قلت: يقولون: انها في القيامة، قال: (ليس كما يقولون، ان ذلك في الرجعة أيحشر الله في القيامة من كل

---

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية مج٧، ص٣٤٢.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج٦، ص٣٧.

امة فوجا ويدع الباقين؟! انما اية يوم القيامة قوله (وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) (الكهف: ٤٧))﴾[1].

الفرع الثالث: هل يمكن القبول بعقيدة الرجعة؟

الجواب: نعم، لأنها لا تتعارض مع أي ثابت من ثوابت العقل أو الدين، بل إن الاعتقاد بها ضرورة، لأصالة الحق في الأرض، بل وفي الكون أيضاً، وعدم الاعتقاد بها يشكل تشكيكاً في العدل الإلهي، وذلك من خلال حاكمية الظلم في الأرض، من آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، ولذلك يجب أن تكون هناك رجعة، لكي يسود الحق وينتهي الظلم وتعود الأصالة للحق في الحكم.

التفاتة: فلسفة اظهار الحق:

بالنظر إلى ظهور الحق على الأرض، هناك فلسفات عديدة، نذكر منها التالي:

أولاً: الفلاسفة المتشائمون:

هؤلاء يقولون: إن البشر قد جُبل على الشر، ولا يمكن إصلاح البشر، لأن المصلحين هم من البشر أنفسهم.

ولكن يوجه السؤال إلى هؤلاء الفلاسفة: بأن هناك مصلحين من البشر، وصلوا إلى درجة الكمال الفكري، فماذا عنهم؟

وقد يكون جوابهم: إن هؤلاء يمثلون نوادر ، وليس ظاهرة ، والنوادر لا يؤسس عليها حكم، وهؤلاء لكي يتخلصوا من إصلاح البشر الذين من حولهم والذين هم قد جُبلوا على الشر، فإن هؤلاء

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٦، ص٣٦ – ٣٧.

المصلحين الذين وصلوا إلى درجة الكمال ليس أمامهم غير طريق واحد، وهو طريق الانتحار، والطريف أن أكثر فلاسفة هذا الرأي قد انتحروا!

٢ - **الفلاسفة الاقتصاديون (الماديين):** هؤلاء الفلاسفة قالوا: إن الإنسان لم يُجبل لا على الخير ولا على الشر، وإنما يسعى خلف مصالحه، ولهذا فإن شر الإنسان وخيره مرتبط بوضعه الاقتصادي، فإن تحسن وضعه الاقتصادي كان إنساناً جيداً، وان ساء وضعه الاقتصادي أصبح إنساناً شريراً.

٣ - **النظرية الدينية:** أما النظرية الدينية فقد قالت: إن الإنسان مفطور على المدنية والاجتماعية والتعارف والأخلاق.

ولكن هناك العديد من العوامل التي تؤثر على سلوك الإنسان، منها العوامل الوراثية والبيئية التي يعيش ضمنها الإنسان ، وغيرها من العوامل الأخرى ، وهذا ولّد صراعاً بين الخير والشر، ولكن العاقبة في النهاية ستكون للخير (الحق). وهذا ما أكدته العديد من الآيات القرآنية الشريفة في إثبات أصالة الحق.

إثبات أصالة الحق في القرآن الكريم:

يمكن إثبات ذلك من خلال عدة آيات، نذكر منها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿...كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ...﴾ (الرعد: ١٧).

من خلال الآية الكريمة يتضح لنا أمر مهم، وهو: أهمية إثبات الحق، واستعمل الحق تعالى لإثبات هذه الأحقية مثال الماء والزبد،

فالأصل هو الماء، أما الزبد فيذهب ويتلاشى، حتى وإن كان يغطي الماء، لكنه سرعان ما يتلاشى والذي يبقى هو الماء، كذلك الحال مع الحق والباطل، فالذي يبقى هو الحق، لأنه الأصل، أما الباطل فيتلاشى، وإن استمر فترة طويلة لكنه يزول.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء﴾ (إبراهيم: ٢٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (إبراهيم: ٢٦).

هذا مثال آخر على أصالة وبقاء الحق، والمثل هنا من خلال الشجرة الطيبة، التي تمثل الحق، والشجرة الخبيثة التي تمثل الباطل، فالشجرة الطيبة عبّر عنها القرآن الكريم بأنها الأصل، فقال (أصلها ثابت)، أما الشجرة الخبيثة فقال (اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) أي حتى وإن طال بقاؤها، ولكن سيأتي يوم وتُقتلع من الأرض، ويبقى الحق هو الظاهر والحاكم.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (سبأ:٤٩).

هاتان الآيتان أيضاً تتحدثان عن أصالة الحق وبقائه، وعن زوال الباطل وذهابه.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: ١٧).

فالظلم وإن طال، وإن فرح أهل الباطل بضوئه، ولكن الله سرعان ما يطفئ ضوء الظلم بنوره، ونور الله تعالى هو الباقي ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢).

الفرع الرابع: أهداف الرجعة.

يمكن أن نتوفر على عدة أهداف للرجعة، نذكر منها التالي:

١ - إظهار نعمة الله تعالى والشكر عليها.

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٦).

٢ - إظهار الحق وحاكميته.

يقول تعالى: ﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

٣ - إظهار قدرة الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٢ - ٧٣).

الفرع الخامس: آيات الرجعة في القرآن الكريم.

إن آيات الرجعة في القرآن الكريم تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول:

آيات تحدثت عن الرجعات السابقة التي حدثت، أما لأفراد أو جماعات، ونذكر منها الآيات التالية:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ، فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٢ - ٧٣).

إن الآية تتحدث عن قصة بني إسرائيل، عندما قتلوا رجلاً منهم، وأرادوا معرفة من القاتل، فردّ الله تعالى المقتول إلى الحياة عن طريق ضربه ببعض(ذيل) البقرة، فعاد وأخبر بمن قتله. وهذا دليل على أن المقتول قد مات ثم بعد ذلك أعاده (ارجعه) الله إلى الحياة.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

إن الآية تتحدث عن مجموعة من الخلق أماتهم الله تعالى، ثم أحياهم، ولم يكن موتهم وإعادتهم لأمر عبثي، فحاشى لله، فهو منزه عن العبثية، وإنما كان لأمر مهم، وهو إظهار فضل الله تعالى على العباد، وهو أحد أهداف الرجعة كما بيناها سابقاً.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾

(الأنبياء: ٨٣ - ٨٤).

روي ﴿... عن ابي بصير، عن ابي عبد الله عليه السلام، في قول الله عز وجل: (وآتيناه أهله ومثلهم معهم)، قلت: ولده كيف اوتي مثلهم معهم؟ قال: (احيا له من ولده الذين كانوا ماتوا قبل البلية، واحيا له أهله الذين ماتوا قبل ذلك بآجالهم، مثل الذين هلكوا يومئذ)﴾[1].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ...﴾ (البقرة: ٢٥٩).

إن الآية تتحدث عن عزير عليه السلام عندما مرّ على قرية، ووجدها قد ماتت، فتعجب كيف يحيي الله هذه القرية بعد أن ماتت، فأماته الله مائة عام ثم أعاده إلى الحياة من جديد، لكي يثبت له أن الله تعالى قادر على يحييه بعد موته، وبما أنه قادر على ارجاعه للحياة فهو قادر على إرجاع تلك القرية إلى الحياة مرة أخرى بعد موتها.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ، ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥ - ٥٦).

إن الآية دليل آخر على الرجعة التي حدثت لأقوام سابقين ، وهي تتحدث عن بني إسرائيل عندما طلبوا من النبي موسى عليه السلام أن يريهم الله، فأماتهم الله تعالى ثم أعادهم للحياة، وأراد الله تعالى إخبارهم من خلال هذا أنهم لا يستطيعون رؤيته جل وعلا، ولكن يمكنهم أن

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٥، ص٢٤٠.

يروا الله تعالى من خلال قدرته على إماتتهم ثم إعادتهم للحياة مرة أخرى، وهو لبيان قدرة الله تعالى، وكذلك كتوجيه لبني إسرائيل على وجوب شكر الله تعالى على نعمته عليهم من خلال اعادتهم للحياة بعد موتهم.

القسم الثاني:

الآيات التي تتحدث عن رجوع النبي المصطفى ﷺ وأهل بيته الاطهار عليهم السلام، ونذكر منها الآيات التالية:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١).

من خلال الآية الكريمة نجد أن فيها وعداً من الله تعالى إلى رسله بالنصر، ولكن الوعد بالنصر يكون في الحياة الدنيا قبل الآخرة، وذلك لا يتحقق إلا من خلال الرجعة ، وهذا ما أكدته الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

«...عن جميل، عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، قال: (ذلك والله في الرجعة، اما علمت ان أنبياء كثيرة لم ينصروا في الدنيا وقتلوا، وائمة من بعدهم قوتلوا ولم ينصروا، فذلك في الرجعة)»[1].

وكذلك نجد أن الحق تعالى قد وعد -بالإضافة إلى نصر الرسل- بنصر المؤمنين، والمؤمنون في هذه الآية بأعلى مصاديقهم هم أهل

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٧، ص٣٠.

الإيمان الكامل كأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام حينما عبّر الرسول صلى الله عليه وآله عنه بقوله (برز الإيمان كله...) وكان ذلك في معركة الأحزاب.

وكمولاتنا السيدة فاطمة عليها السلام التي من أسمائها المنصورة، ومن الروايات الثابتة نجد أن هناك ترابطاً بين اسم الزهراء عليها السلام المنصورة وبين الرجعة وفرح المؤمنين بالنصر الإلهي في ذلك اليوم.

﴿... عن سدير الصيرفي عن الصادق جعفر بن محمد، عن ابيه، عن جده عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق الله نور فاطمة عليها السلام قبل ان تخلق الأرض والسماء. فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي انسية؟ فقال صلى الله عليه وآله: فاطمة حوراء انسية، قال: يا نبي الله وكيف هي حوراء انسية؟ قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل ان يخلق ادم اذ كانت الارواح فلما خلق الله عز وجل ادم عرضت على ادم. قيل: يا نبي الله واين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقة تحت ساق العرش، قالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟ قال: التسبيح، والتهليل، والتحميد. فلما خلق الله عز وجل ادم واخرجني من صلبه احب الله عز وجل ان يخرجها من صلبي جعلها تفاحة في الجنة واتاني بها جبرائيل عليه السلام فقال لي: السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا محمد، قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرائيل. فقال: يا محمد ان ربك يقرئك السلام. قلت: منه السلام واليه يعود السلام. قال: يا محمد ان هذه تفاحة اهداها الله عز وجل اليك من الجنة فأخذتها وضممتها إلى صدري. قال: يا محمد يقول الله جل جلاله: كلها. ففلقتها فرأيت نورا ساطعا ففزعت منه. فقال: يا محمد مالك لا تأكل؟ كلها ولا تخف، فان ذلك نور المنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة، قلت: حبيبي جبرائيل، ولم سميت في السماء

" المنصورة " وفي الأرض " فاطمة "؟ قال: سميت في الأرض " فاطمة " لانها فطمت شيعتها من النار وفطم اعدائها عن حبها، وهي في السماء " المنصورة " وذلك قول الله عز وجل (يومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله ينصر من يشاء) (الروم: ٣ - ٤)، يعني نصر فاطمة لمحبيها﴾[(١)].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨).

روي أنه ﴿قال الامام العسكري ابو محمد عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لكفار قريش واليهود: (كيف تكفرون بالله)، الذي دلكم على طريق الهدى وجنبكم ان اطعتموه سبيل الردى (وكنتم امواتا)، في اصلاب ابائكم، وارحام امهاتكم (فأحياكم)، اخرجكم إحياء. (ثم يميتكم)، في هذه الدنيا ويقبركم (ثم يحيكم)، في القبور، وينعم فيها المؤمنين بنبوة محمد وولاية علي عليه السلام، ويعذب الكافرين فيها (ثم اليه ترجعون) في الآخرة بأن تموتوا في القبر بعد، ثم تحيوا للبعث يوم القيامة ترجعون إلى ما قد وعدكم من الثواب على الطاعات ان كنتم فاعليها، ومن العقاب على المعاصي ان كنتم مقارفيها﴾[(٢)].

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا...﴾ (النحل: ٣٨).

روي ﴿عن علي بن ابراهيم، في قوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا...) قال: حدثني

---

(١) معاني الاخبار: ص٣٩٦.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج١، ص١٦١.

أبي عن بعض رجاله، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: (ما تقول الناس فيها)؟ قال: يقولون نزلت في الكفار.

فقال: (ان الكفار لا يحلفون بالله، وانما نزلت في قوم من امة محمد صلى الله عليه وآله، قيل لهم: ترجعون بعد الموت قبل القيامة، فحلفوا انهم لا يرجعون فرد الله عليهم فقال: (ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) (النحل: ٣٩)، يعني في الرجعة، يردهم فيقتلهم ويشفي صدور المؤمنين منهم)﴾[1].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (السجدة: ٢١).

﴿عن علي بن ابراهيم، واما قوله: (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر)، قال: العذاب الادنى عذاب الرجعة بالسيف ومعنى قوله: (لعلهم يرجعون) يعني يرجعون في الرجعة حتى يعذبوا﴾[2].

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...﴾ (النور: ٥٥).

﴿روى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام انه قرأ الآية وقال: هم والله شيعتنا أهل البيت. يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا، وهو مهدي هذه الامة، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص٤٤٦ – ٤٤٧.

(٢) تفسير القمي: ج٢، ص١٧٠.

(لولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم، حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي، يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا)﴾[1].

﴿وروي عن ابي جعفر عليه السلام وابي عبد الله عليه السلام فعلى هذا يكون المراد بـ(الذين آمنوا وعملوا الصالحات): النبي وأهل بيته، صلوات الرحمن عليهم. وتضمنت البشارة لهم بالاستخلاف، والتمكن في البلاد، وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي عليه السلام منهم. ويكون المراد بقوله (كما استخلف الذين من قبلهم) هو ان جعل الصالح للخلاف خليفة مثل ادم، وداود، وسليمان عليه السلام. ويدل ذلك قوله: (اني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة: ٣٠). و(يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض) (ص: ٢٦)، و(فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وأتيناه ملكا عظيما) (النساء: ٥٤)...﴾[2].

التفاتة: الخلافة الإلهية في ثقافة القرآن الكريم

من خلال القرآن الكريم والروايات الشريفة ، نجد أن الخلافة لا تتوقف عن حدود النبوة فقط، وإنما تتعدى ذلك إلى مقام الإمامة أيضاً، وقد وردت الخلافة في القرآن الكريم بصيغتين:

الصيغة الأولى الخلافة الإلهية الاصطفائية

وتأتي بصيغة المفرد، يقول تعالى: ﴿...إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (البقرة: ١٢٤) وقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً...﴾ (ص:٢٦).

---

(١) تفسير مجمع البيان: ج٧، ص٢٦٧.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج٧، ص٢٦٧.

الصيغة الثانية: خلافة قوم عن قوم.

إما مؤمن عن مؤمن، أو كافر عن كافر، وتأتي بصيغة الجمع، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس: ١٤).

بعد ان بينا مختصر في ثقافة الرجعة نعود لنكمل باقي محطات أشراط الساعة.

القسم الثاني: الحوادث التي تتحقق قبل قيام أو اثناء قيام الساعة.

ونذكرها في عدة نقاط:

النقطة الأولى: الحوادث التي تحدث في السماء:

يقول تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ﴾ (الانفطار: ١).

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّت السَّمَاء...﴾ (الرحمن: ٣٧).

يقول تعالى: ﴿وَفُتِحَت السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (النبأ: ١٩).

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ﴾ (المرسلات: ٩).

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاء كَالْمُهْلِ﴾ (المعارج: ٨).

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ﴾ (التكوير: ١١).

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

في الآية الكريمة اشارة إلى ان النهايات هي عبارة عن رجوع للبدايات وهو وعد من الله تعالى، واشارة إلى رجوع كل المخلوقات إلى الفناء كما كانت.

النقطة الثانية: الحوادث التي تحدث على النجوم والشمس والقمر:

أ - النجوم:

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (المرسلات: ٨).

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ [١]﴾ (التكوير: ٢).

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ [٢]﴾ (الانفطار: ٢).

ب - الشمس:

يقول تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ [٣]﴾ (التكوير: ١).

يقول تعال: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة: ٩).

ج - القمر:

يقول تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ (القيامة: ٨).

يقول تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر: ١).

وهنا سؤال: إذا كانت الشمس تكوّر ويذهب نورها، وينشقّ القمر أيضاً ، فبأي شيء ترى الخلائق يوم القيامة، وهي تحتاج إلى نور كي ترى به؟

الجواب: نجده في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ

---

(١) انكدرت: اصبحت ظلماء (ذهب نورها).

(٢) انتثرت: ذهبت القوة الجاذبية فيما بينها.

(٣) كورت: لفت كما تلف العمامة.

فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد: ١٢ - ١٣).

إذن، من خلال الآية الكريمة نعرف أن الخلائق في يوم القيامة ترى من خلال نور المؤمنين والمؤمنات.

ولكن هل المقصود هنا كل المؤمنين والمؤمنات؟

الجواب : أن كل المؤمنين والمؤمنات ممن سيصلون إلى مراحل عالية من الإيمان والتكامل، سيكونون بحيث يسطع نورهم بين أيديهم...

النقطة الثالثة: الحوادث التي تحدث على الأرض:

يقول تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة: ١).

من ضمن الحوادث التي تجري على الأرض هي الزلزلة، ولكن هل هناك فرق بين زلزال الدنيا وزلزال الآخرة الذي هو من ضمن علامات قيام الساعة؟

الجواب: نعم، وسنوضح الفرق من خلال نقطتين:

الأولى: زلزال عالم الدنيا يصيب بقعة جغرافية محددة (معينة)، أما زلزال الآخرة فهو يصيب الأرض بأكملها طولاً وعرضاً، بالإضافة إلى أن زلزال الدنيا لا يشعر به إلا سكان المنطقة التي يصيبها الزلزال، أما زلزال الآخرة فيشعر به كل أهل الأرض.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ {١/٢٢} يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج: ١ - ٢).

الثانية: إن زلزال عالم الدنيا يحدث نتيجة تأثير أمر في أمر، أو قوة في قوة، أما زلزال الآخرة، فهو يحدث من ذاته، وهذا دليل على أن الأرض لا أزلية ولا أبدية ، وإنما لها عمر محدد، وعندما تصل إلى نهاية هذا العمر قبل القيامة تتحرك بأهلها.

يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (الفجر: ٢١).

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (الانشقاق: ٣).

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (ابراهيم: ٤٨).

﴿... عن زرارة، عن ابي جعفر عليه السلام، قال سأله الأبرش الكلبي عن قول الله عز وجل: (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال: (تبدل خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب)، فقال الابرش: فقلت ان الناس يومئذ لفي شغل عن الاكل ! فقال ابو جعفر عليه السلام: (هم في النار لا يشتغلون عن اكل الضريع وشرب الحميم وهم في العذاب، فكيف يشتغلون عنه في الحساب؟)﴾[1].

النقطة الرابعة: الحوادث التي تحدث على البحار:

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار: ٣).

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: ٦).

النقطة الخامسة: الحوادث التي تجري على الجبال:

الحوادث التي تجري على الجبال لها ثمان مراحل وهي:

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٤، ص٣٤٤.

١ - **مرحلة الرجفة:** يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ...﴾ (المزمل: ١٤).
٢- **مرحلة القلع:** يقول تعالى:﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ...﴾ (الحاقة:١٤).
٣ - **مرحلة التسيير:** يقول تعالى: ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ (الطور:١٠).
٤ - **مرحلة الدك:** يقول تعالى: ﴿...فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (الحاقة: ١٤).
٥ - **مرحلة التراب:** يقول تعالى: ﴿...وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ (المزمل: ١٤).
٦ - **مرحلة الغبار المتطاير:** يقول تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ، فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثًّا﴾ (الواقعة: ٥ - ٦).
٧ - **مرحلة الصوف المنتثر:** يقول تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ (القارعة: ٥).
٨ - **مرحلة السراب:** يقول تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (النبأ:٢٠).

التفاتة:

لو تتبعنا الآيات في سورة التكوير، من قوله تعالى: (إذا الشمس كورت) إلى قوله تعالى: (وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت) وأمعنّا النظر فيها، نجدها تربط كل ما يحدث في السماء والأرض من تغيرات بالإنسان، بل وتجعل محور هذه التغيرات هو الإنسان، حيث يجتمع الناس في يوم القيامة، ويسأل المظلوم عن سبب ظلمه، والمقتول عن سبب قتله، وهناك أيضاً تسأل المؤؤدة عن سبب وأدها، ونحن

كما نعلم أن للقران ظاهراً وباطناً، فظاهر الآية يتكلم عن وأد البنات في زمن الجاهلية، أما باطنها فيتحدث عن ولاية أهل البيت عليهم السلام وسبب قطعها كما في الروايات الواردة عنهم عليهم السلام، ونذكر من هذه الروايات التالي:

١ - ﴿... روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلام: (وإذا المودة سألت، بأي ذنب قتلت) (التكوير: ٨ - ٩)، بفتح الميم والواو والدال، وكذلك عن ابن عباس رحمه الله، هي المودة في القربى، وان قاطعها يسأل: بأي ذنب قطعتها﴾[١].

٢ - ﴿... عن ايمن بن محرز، عن جابر، عن ابي جعفر عليه السلام في قوله: (وإذا المودة سألت، بأي ذنب قتلت)، قال: (من قتل في مودتنا. والدليل على ذلك قوله: (... قل لا اسألكم عليه اجرا إلا المودة في القربى...) (الشورى: ٢٣)﴾[٢].

٣ - ﴿... عن علي بن قاسم، قال: سألت ابا جعفر عليه السلام، عن قوله تعالى: (وإذا المودة سألت، بأي ذنب قتلت)، قال: (شيعة آل محمد تسأل: بأي ذنب قتلت؟)﴾[٣].

٤ - ﴿عن ابو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه في كامل الزيارات، قال: حدثني ابي، عن سعد بن عبد الله،...، عن ابي عبد

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٨، ص٢٢٠.
(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج٨، ص٢٢٢.
(٣) نفس المصدر السابق.

الله عليه السلام ، في قول الله عز وجل: (وإذا الموودة سألت، بأي ذنب قتلت)، قال: (نزلت في الحسين بن علي عليه السلام)»[1].

(١)البرهان في تفسير القرآن: ج٨، ص٢٢٢.

القسم السادس: النفخ بالصور

بعد أن انتهينا من أشراط الساعة، وبيّنّا ما هي الحوادث التي تقع قبل قيام الساعة ، والحوادث التي تقع قبل أو أثناء قيام الساعة، وبعد الانتهاء منها، نأتي على مرحلة جديدة من مراحل المعاد، وهي مرحلة النفخ بالصور.

وهذه المرحلة -بنفختيها- تعتبر المرحلة النهائية لعالم الدنيا، وأول مرحلة من مراحل القيامة، حيث يأمر الله تعالى الملك إسرافيل عليه السلام بالنفخ بالصور.

المحطة الأولى: ما معنى الصور؟

يقول تعالى: ﴿...وَنُفِخَ فِي الصُّورِ...﴾ (الكهف: ٩٩).

عن العلامة الطبرسي في تفسيره قال: ﴿واختلف في الصور، فقيل: هو قرن ينفخ فيه، عن ابن عباس، وابن عمر. وقيل: هو جمع صورة، فان الله سبحانه يصور الخلق في القبور، كما صورهم في ارحام الامهات، ثم ينفخ فيهم الارواح، كما نفخ وهم في ارحام امهاتهم، عن الحسن وابي عبيدة. وقيل انه ينفخ إسرافيل في الصور...﴾[1].

المحطة الثانية: روايات في وصف الصور.

(يجب الاعتراف في البداية بأن معلوماتنا بشأن هذا الموضوع هي كمعلوماتنا بشأن الكثير من المسائل المتعلقة بيوم القيامة ، فهي معلومات عامة لا أكثر ، إذ نجهل الكثير من تفاصيل ذلك اليوم....

---

(١) تفسير مجمع البيان: ج٦، ص٣٩١.

والتدقيق في الروايات الواردة في المصادر الإسلامية بشأن تفسير كلمة (الصور) تبين عكس ما يتصور البعض من أن (الصور) هو (زمارة) أو (مزمار) أو (بوق) اعتيادي .

وقد جاء في رواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال : " إن الصور قرن عظيم له رأس واحد وطرفان ، وبين الطرف الأسفل الذي يلي الأرض إلى الطرف الأعلى الذي يلي السماء مثل تخوم الأرضين إلى فوق السماء السابعة ، فيه أثقاب بعدد أرواح الخلائق " .

وفي حديث ورد عن رسول الله ، جاء فيه : " الصور قرن من نور فيه أثقاب على عدد أرواح العباد ".

طرح مسألة النور هنا...يوضح أن الصيحة العظيمة ليست من قبيل الأمواج الصوتية الاعتيادية ، وإنما هي صيحة أعظم وأعظم ، وتكون أمواجها ذات سرعة فائقة وغير طبيعية حتى أنها أسرع من الضوء الذي يجتاز السماء والأرض بفترة زمنية قصيرة جدا ، ففي المرة الأولى تكون مميتة ، في المرة الثانية تكون باعثة للأموات .)[1]

المحطة الثالثة: آراء العلماء حول عدد نفخات الصور.

انقسم العلماء فيما يتعلق بعدد نفخات الصور، فالمشهور بين العلماء أن هناك نفختين، وهو ما ذهب اليه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي حيث يقول: ﴿لقد أشارت الكثير من الآيات القرآنية إلى النفخ في الصور، ويستفاد مما ورد فيها أن هناك نفختين بالصور:

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ١٥ - ص ١٥٢ - ١٥٣.

الأولى: وتقع في نهاية العالم وهي التي تسبب موت جميع الخلائق.. وتسمى بنفخة الموت.

الثانية: فتقع قبيل يوم القيامة، وتعمل على إحياء جميع الأموات.. وتسمى نفخة الحياة.﴾[1].

وهناك من العلماء من قال بوجود ثلاث نفخات، وهو ما نقله الشيخ محمد نبي التوسيركاني حيث ذكر: ﴿فروى الديلمي في إرشاد القلوب...يعني لإسرافيل ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الموت ونفخة البعث...﴾[2].

وهناك من العلماء من قال بوجود أربع نفخات، وهو ما ذهب اليه الشيخ جعفر السبحاني حيث يقول: ﴿... النفخ له مرحلتان:

المرحلة الأولى: مرحلة الإماتة، وهي قبيل يوم القيامة، يسفر عن هذا النفخ الصعق والفزع اللذين كُنّي بهما عن الموت.

المرحلة الثانية: مرحلة الإحياء وإحضار الناس إلى الحشر﴾[3].

وسنبين في هذا الكتاب أنواع النفخات الاربعة.

المحطة الرابعة: أنواع النفخات الاربعة.

أولاً: نفخة الفزع:

وهي ما يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل:٨٧).

(١) انظر : نفحات القرآن: ج٦، ص٢٩.

(٢) انظر : لئالي الاخبار: ج٥، ص٥٤.

(٣) انظر : مفاهيم القرآن: ج٨، ص٢٠٧.

من خلال الآية الكريمة نلاحظ أن الفزع لا يصيب كل من في السماوات والأرض، وإنما هناك استثناء (إلا من شاء الله)

والسؤال هنا: من هم هؤلاء المستثنون من الفزع؟

عند البحث في القرآن الكريم نجد الجواب في قوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (النمل: ٨٩).

وروي ﴿... عن عمر بن ابي شيبة، عن ابي جعفر عليه السلام قال: ... قال: وبكى ابو جعفر عليه السلام حتى إذا سكت، قال: جعلني الله فداك - يا ابا جعفر - واين رسول الله صلى الله عليه وآله، وامير المؤمنين عليه السلام، وشيعته؟ فقال ابو جعفر عليه السلام: (رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي عليه السلام، وشيعته على كثبان من المسك الاذفر، على منابر من نور، يحزن الناس ولا يحزنون، ويفزع الناس ولا يفزعون)، ثم تلا هذه الآية (من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون). (فالحسنة ولاية علي عليه السلام). ثم قال: (ولا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) (الأنبياء: ١٠٣)﴾[1].

أقول: الرواية طويلة نقلنا منها موضع الحاجة.

إذن، من خلال الآية الكريمة والرواية الشريفة، نستنتج أن الآمنين من الفزع هم المحسنون، وأعلى مصاديق المحسنين هم النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٦، ص٤٥.

التفاتة:

إن الله تعالى يجازي الناس يوم القيامة على حسب أعمالهم، ولكن نلاحظ في مواطن عديدة من القرآن الكريم أن الله تعالى يستثني بعض الخواص من العباد من هذه القاعدة (الجزاء وفق العمل)، وبهذا يكون هؤلاء -ليسوا فقط مستثنين من الفزع- وإنما حتى في مراحل يوم القيامة، وهؤلاء المستثنون هم:

١ - المحسنون: وقد بينا ذلك سابقاً.

٢ - المخلَصون: يقول تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ، أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصافات: ٤٠ - ٤١).

٣ - المستثنون من الإحضار: يقول تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ، إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات: ١٢٧ - ١٢٨).

و الطريف أنه وحتى إبليس استثنى هؤلاء الخواص من العباد من إغوائه، بل واعترف بعدم القدرة عليهم[1] كما يقول تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢ - ٨٣).

ثانياً: نفخة الصعق:

وهي ما يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ...﴾ (الزمر: ٦٨).

---

(١) أين اعترافه ذاك؟ ﴿الأسدي﴾

وهنا سؤال: هل تشمل هذه الصعقة أو النفخة كل الجن والانس؟ وهل تشمل أهل الأرض فقط أم تشمل الأرض والسماء؟ وكم هي المدة بين نفخة وأخرى؟

الجواب: نكتفي بما روي ﴿... عن سلام بن المستنير، عن ثوير بن ابي فاخته، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: (ما شاء الله). فقيل له، فاخبرني يا بن رسول الله، كيف ينفخ فيه؟ فقال: (اما النفخة الأولى، فان الله يأمر اسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه الصور، وللصور رأس واحد وطرفان، وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض، فإذا رأت الملائكة اسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور، قالوا: قد اذن الله في موت أهل الأرض، وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط اسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فإذا رآه أهل الأرض، قالوا: قد اذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماء، فلا يبقى ذو روح في السماوات إلا صعق ومات إلا اسرافيل). قال: (فيقول الله لإسرافيل مت، فيموت اسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر الله السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير وهو قوله تعالى: (يوم تمور السماء مورا، وتسير الجبال سيرا) (الطور: ٩ - ١٠)، يعني تبسط و(تبدل الأرض غير الأرض) (ابراهيم: ٤٨)، يعني بأرض لم تكتسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها جبال ولا نبات، كما دحاها اول مرة، ويعيد عرشه على الماء كما كان اول مرة مستقلا بعظمته وقدرته - قال - : فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت من قِبله جهوري يُسمع اقطار السماوات

والأرضين: لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه احد، فعند ذلك يجيب الجبار ﷻ مجيبا لنفسه: لله الواحد القهار، وانا قهرت الخلائق كلهم وامتهم، اني انا الله لا إله إلا انا وحدي، لا شريك لي ولا نذير وانا خلقت خلقي بيدي وانا امتهم بمشيئتي، وانا احيهم بقدرتي، قال: فينفخ الجبار نفخة في الصور، فيخرج الصوت من احد الطرفين الذي يلي السماوات فلا يبقى احد في السماوات إلا حيي وقام كما كان، ويعود حملة العرش، وتعرض الجنة والنار، وتحشر الخلائق للحساب). قال: فرأيت علي بن الحسين عليه السلام يبكي عند ذلك بكاء شديدا﴾[1].

فمن خلال الرواية الشريفة نلاحظ أن نفخة الصعق تشمل كل المخلوقات من الجن والانس.

ثالثاً: نفخة الإحياء:

وهي ما يشير إليها قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر:٦٨).

رابعاً: نفخة الإحضار:

وهي ما يشير إليها قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس: ٥٣).

وهنا سؤال: كيف يكون احضار الناس في يوم القيامة؟

الجواب: إن إحضار الناس في يوم القيامة يكون على قسمين وهما:

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٦، ص٥٦٠ – ٥٦١.

القسم الأول:

من يحشرون على شكل وفود بكل احترام وتقدير، وهم المتقون، أي الذين تحكّموا بغرائزهم وشهواتهم بعقولهم، فلم يقعوا في مصائد الشيطان.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم: ٨٥).

القسم الثاني:

من يحشرون مع الشياطين (والعياذ بالله)، وهم من غلبت شهواتُهم عقولَهم.

يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (مريم: ٦٨)..[1]

---

(١) **التفاتات: التفاتة (١)**: هل من الممكن أن يكون الإنسان شبيه الشيطان حتى يحشر معه؟
الجواب: نعم، فكما ورد في خطبة الرسول الأكرم ﷺ حول شهر رمضان أن الشياطين مغلولة في هذا الشهر، ولكن بالرغم من أنها مغلولة، لكنها تبقى على عملها ، حيث توسوس محاولة إثارة انتباه الناس. فإذا كان الإنسان مؤمناً فهو لا يلتفت إلى وسوسة الشيطان، ولا يؤثر عليه نداؤها.
أما إذا كان من أبناء الدنيا، فإنه يبقى ينظر إليها، فتبدأ هي بإغوائه ، حتى ينتبه لها شيئاً فشيئاً، ومن ثم يقوم بفك الأغلال عنها، وهنا يكون هو والشيطان من سنخ واحد، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (ابراهيم: ٢٢)
التفاتة (٢): قد يكون هناك من يحشرُون مع الحيوانات ، وهم الذين تغلب عليهم الشهوانيات (شهوة المال - شهوة البطن - وغيرها). **وقد يكون هناك** من يُحشرون مع الوحوش، وهم من غلب عليم طبع السبُعيات (الظلم - البطش - الشدة) يقول تعالى: (وإذا الوحوش حشرت) (التكوير: ٥). وهذا ربما يرجع إلى أن أعمالهم في الدنيا كانت بهذا النحو من التجسم.⇦

المحطة الخامسة: تسميات أخرى للصور وردت في القرآن الكريم.

التسمية الأولى: الصيحة (نفخة اماتة): يقول تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (يس: ٤٩).

التسمية الثانية: الصاخة: يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ (عبس:٣٣).

التفاتة:

قد أشار القرآن الكريم إلى ردة فعل الإنسان اتجاه نفخ الصور واتجاه عذاب يوم القيامة في موردين وهما:

المورد الأول: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(عبس:٣٣ -٣٧)

فمن خلال الآية نجد أن الإنسان عندما يسمع نفخة الصور، فإن أول من يفر منه الإنسان هو أخوه، وآخر من يفر منهم هم أبناؤه لأنهم الأقرب إلى قلبه.

المورد الثاني: يقول تعالى: ﴿...يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾

⇦**التفاتة (٣): كيفية استلام الكتب:** بعد أن قسم القرآن الكريم حالة إحضار الناس يوم القيامة، نجده يبين كيفية استلام الكتب وحالة الجزاء والعقاب إلى أربعة اقسام وهي:

القسم الأول: أصحاب المعارف العقلية، فأولئك هم (السابقون السابقون) (الواقعة: ١٠).

القسم الثاني: أصحاب الطاعة والعمل الصالح، وهم أصحاب اليمين.

القسم الثالث: أصحاب الشهوات، ومن على شاكلتهم، وهم أصحاب الشمال.

القسم الرابع: أصحاب النفاق وغيرهم، فهؤلاء يستلمون كتبهم من وراء ظهورهم.

(المعارج: ١١ - ١٣).

أما عند رؤية الإنسان للعذاب فأول من يفر منهم الإنسان هم أبناؤه، بل ويقدمهم كفدية لجهنم، ليتخلص من عذاب يوم القيامة.

التسمية الثالثة: الزجرة: يقول تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ[1]﴾ (النازعات: ١٣ - ١٤).

التسمية الرابعة: النقر: يقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (المدثر:٨).

التسمية الخامسة: الراجفة والرادفة: يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ[2] تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ (النازعات: ٦ - ٧).

---

(١) الساهرة: أي يضحون كلهم على الأرض كأنهم موتى.

(٢) الراجفة: صيحة عظيمة.

القسم السابع: يوم القيامة

بعد أن انتهينا من بيان كل المراحل التي يمر بها الإنسان الميت، بدءاً من موته وإقباره، مروراً بمرحلة البرزخ وما يجري فيها على الإنسان، ثم بيّنا بعدها أشراط الساعة، ووضّحنا ما معنى الأشراط، وما هي هذه الأشراط، ثم انتقلنا منها إلى النفخ في الصور، وبيّناها أيضاً، الآن وصلنا إلى يوم القيامة. ونذكر أيضاً عدة محطات:

المحطة الأولى: ما هو المقصود بيوم القيامة؟

الجواب: يوم القيامة هو اسم من أسماء ذلك العالم (عالم الآخرة).

وعند البحث والتأمل في القرآن الكريم، وجدناه مرة يذكر اسماً من أسماء يوم القيامة كمعرف لذلك اليوم، ولكن من دون ذكر كلمة (يوم)، مثلاً:

١ - يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ (النازعات: ٣٤).

٢ - يقول تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (الواقعة: ١).

٣ - يقول تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ (القمر: ١).

٤ - يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (الغاشية: ١).

٥ - يقول تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (القارعة: ٣).

ومرة أخرى يذكر اسماً من أسماء يوم القيامة مع ذكر كلمة (يوم) مع ذلك الاسم، مثلاً:

١ - يقول تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ...﴾ (غافر: ١٨).

٢ - يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (ق: ٤٢).

٣ - يقول تعالى: ﴿...ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ (هود: ١٠٣).

وغيرها الكثير من الآيات .

استطراد: اليوم في ثقافة القرآن الكريم:

اليوم في ثقافة القرآن الكريم يأتي بعدة موارد منها:

المورد الأول: اليوم الإيجاري، (من بياض النهار إلى غروب الشمس).

يقول تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٧).

المورد الثاني: اليوم الصومي، (من طلوع الفجر إلى غروب الشمس).

يقول تعالى: ﴿...وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ...﴾ (البقرة:١٨٧).

المورد الثالث: مجموع ساعات الليل والنهار.

يقول تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ...﴾ (الحج: ٢٨).

المورد الرابع: مقطع خاص من الزمن (يدل على مرحلة زمنية معينة أو مراحل زمنية متعددة).

يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (هود:٧).

والمقصود من (في ستة أيام) يعني ست مراحل، ولعله في كل مرحلة من هذه المراحل آلاف السنين والله العالم.

ويقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٩).

ونجد من خلال الآيات المتقدمة أن الموارد الثلاثة الأولى ليست هي المقصودة بيوم القيامة لأن كلاً منها دلّ على شيء معين ينفي حدوثهُ مع ما يجري في ذلك اليوم من ظواهر، فمنها ما أشارت إلى اليوم الاعتيادي ومنها ما أشارت إلى أيام الصيام ومنها إلى أيام الحج بخلاف المورد الرابع فإنه كما يدلُ على مقطع زمني خاص ومرحلة معينة وهو ما دلت عليه الآية المذكورة في خلق السماوات والأرض في ستة أيام فإن المورد الرابع يمكن أن ينطبق على يوم القيامة أيضاً باعتبار أنه مقطع زمني خاص ومرحلة من مراحل البشرية.

المحطة الثانية: تسميات أخرى ليوم القيامة في القرآن الكريم.

عبّر القرآن الكريم عن يوم القيامة بأسماء مختلفة وكثيرة، وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على أهمية ذلك اليوم، بالإضافة إلى ان لكل تسمية من هذه التسميات تفاصيل كثيرة ومتعددة نذكر منها:

التسمية الأولى: يوم التناد: وفي سبب التسمية هذا جاء:

أ - مناداة المؤمن: يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾ (الحاقة: ١٩).

ب - مناداة الكافر: يقول تعالى: ﴿...وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ: ٤٠).

ج - مناداة الله تعالى للمشركين: يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ...﴾ (القصص: ٧٤).

د - مناداة أهل الجنة لأهل النار: يقول تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ (المدثر: ٤٢).

هـ - مناداة أهل النار لأهل الجنة: يقول تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ...﴾ (الأعراف:٥٠).

و - مناداة الملائكة لأهل الجنة: يقول تعالى: ﴿...وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣).

ع - نداء المنافقين للمؤمنين: يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ...﴾ (الحديد: ١٣).

التسمية الثانية: يوم الجمع ويوم الفصل:

يقول تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (المرسلات:٣٨).

وهنا سؤال: كيف نوفّق بين كون يوم القيامة هو يوم الجمع وبين كونه يوم الفصل؟

الجواب: يوم الفصل: يعني يفصل في ذلك اليوم بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين الخير والشر، لأنه في الدنيا قد يختلط الحق والباطل والخير والشر، ولذلك سمي يوم الفصل.

أما يوم الجمع: أي يوم تجتمع فيه الخلائق، وتقف بين يدي رب العالمين للحساب.

هذا بالإضافة إلى أن الذي فرق بين الناس في الدنيا أمران هما:

الأول: الفاصل الزمني (الحقب الزمنية المتعددة).

الثاني: الفاصل المكاني.

أما في يوم القيامة، فتلغى كل هذه الأمور، ويجتمع الأولون بالآخرين في مكان واحد وزمان واحد.

وبعد كل هذا نستنتج: أن يوم القيامة هو عبارة عن حقبة زمنية معينة، لها العديد من المراحل التي يمر بها كل إنسان، حتى يصل إلى المرحلة النهائية : إما عقاب أو ثواب.

الشفاعة

ولها عدة محطات نذكر منها:

المحطة الأولى: ما معنى الشفاعة؟

الشفاعة يمكن تعريفها على أنها حكاية عن كائن قوي يسند كائناً ضعيفاً، ومتى ما أسنده أصبح شفيعاً له.

المحطة الثانية: أقسام الشفاعة.

وهي على قسمين هما:

القسم الأول: شفاعة تكوينية: وهي التي يقوم عليها الكون، فنحن الذين نعيش على الأرض بكل الأصناف، من بشر وحيوانات ونباتات، كل منا يمدّ الآخر بما يبقيه على قيد الحياة، فمثلاً النباتات تمد الإنسان بالغذاء، وهي بهذا تسنده، وكل جزء في الكون له علاقة

ترابطية مع الأجزاء الأخرى، وهذا الترابط يجعل كل واحد منها يشفع للآخر في البقاء والاستمرار.

القسم الثاني: شفاعة تشريعية: تشمل شفاعة الأنبياء، وعلى رأسهم شفاعة النبي الخاتم محمد ﷺ وأهل بيته الاطهار عليهم السلام.

المحطة الثالثة: فلسفة (اهداف) الشفاعة.

يمكن أن نجد عدة أهداف للشفاعة نذكر منها:

١ - تعطي الامل.

٢ - تقوي العلاقة بين الإنسان وأولياء الله تعالى.

٣ - تبين فضل الشافع.

المحطة الرابعة: آيات الشفاعة في القرآن الكريم.

وردت الشفاعة في القرآن الكريم في عدة مواطن، وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: آيات تنفي وجود الشفاعة.

آيات هذا القسم لا تنفي مطلق الشفاعة، وإنما تنفي الشفاعة عن أقوام أو أشخاص معينين كما سنبين عبر النقاط التالية:

النقطة الأولى: آيات تنفي الشفاعة عن الكافرين.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤).

نلاحظ من خلال قراءة الآية أنها نفت الشفاعة عن أقوام معينين، وهم الكافرون، وليس في الآية ما يدل على نفي عموم الشفاعة.

النقطة الثانية: آيات تنفي الشفاعة عن اليهود.

يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ...﴾ (البقرة: ٤٧ - ٤٨).

إن الآية الكريمة أيضاً تنفي وجود الشفاعة، ولكن ليس عموم الشفاعة، وإنما عن بني إسرائيل على وجه الخصوص.

وقد يسأل سائل: لماذا نفى الله الشفاعة عن بني إسرائيل على وجه التحديد دون غيرهم؟

الجواب: السبب يعود إلى اعتقادهم بأنهم هم أبناء الله تعالى، وهم شعب الله المختار من بين بقية الأقوام والشعوب الأخرى، وأن الله تعالى لن يعذبهم ولن يدخلهم النار، فردّ الله تعالى ادعاءهم هذا من خلال قوله جل جلاله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء...﴾ (المائدة: ١٨).

قال الشيخ الطبرسي: قوله : (ولا يقبل منها شفاعة) قال المفسرون : حكم هذه الآية مختص باليهود ، لأنهم قالوا : نحن أولاد الأنبياء ، وآباؤنا يشفعون لنا . فأيأسهم الله عن ذلك ، فخرج الكلام مخرج العموم ، والمراد به الخصوص .[1]

---

(١) تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي - ج ١ - ص ٢٠١

النقطة الثالثة: آيات تنفي الشفاعة عن الاصنام.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى ... وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام: ٩٤).

النقطة الرابعة: آيات تنفي الشفاعة لغير الله.

يقول تعالى: ﴿...مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة: ٤).

يقول تعالى: (وقل لله الشفاعة جميعا) (الزمر: ٤٤).

من خلال قراءة الآية، نجدها تحصر الشفاعة لله تعالى فقط، وإذا كانت الشفاعة منحصرة في الله تعالى فقط، فكيف يشفع الأنبياء وعلى رأسهم شفاعة النبي المصطفى وآله الطاهرين (عليه وآله افضل السلام)؟

الجواب: الشفاعة في الأصالة تكون لله تعالى وحده، أما شفاعة الأنبياء والأوصياء والأئمة فإنما هي في الحقيقة امتداد لشفاعة الله تعالى ، حيث تكون شفاعتهم بأذن الله ﴿...مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه...﴾ (البقرة: ٢٥٥).

والحال في هذه الآية مشابهة لآيات أخرى تثبت أموراً على أنها منحصرة في الله تعالى، ولكن نجدها في موضع آخر تكون نسبتها لغير الله كما في قوله تعالى ﴿...فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠)، حيث نجد أن الآية قد حصرت العزة كلها لله تعالى، ولكن في قوله تعالى ﴿...وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ (المنافقون: ٨) نجدها قد نسبت العزة لله ولكن أيضاً نسبت العزة للرسول ﷺ وللمؤمنين.

والواقع أن من غير المعقول أن يكون هناك تناقض في آيات القرآن الكريم ، ولكن الأمر كما وضّحناه في آية الشفاعة، حيث إن العزة بالأصالة تكون لله تعالى، وأما عزة الرسول ﷺ والمؤمنين فتكون امتداداً لعزة الله تعالى، وغيرها من الآيات التي تثبت هذه الحقيقة.

النقطة الخامسة: آيات تثبت الشفاعة في الدنيا.

يقول تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا...﴾ (النساء:٨٥).

و الشفاعة في الدنيا تكون على نحو الأعمال الصالحة، كالإصلاح بين الناس وغيرها من الأعمال الصالحة.

القسم الثاني: الآيات التي تثبت الشفاعة لغير الله بأذن الله.

وله عدة أنواع منها:

النوع الأول: الشفاعة العهدية.

يقول تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم:٨٧).

إن الشفاعة هنا جاءت مع وجود عهد بين الله تعالى وبين من يشفع، أي إن أصحاب هذا النوع من الشفاعة يملكون عهداً بينهم وبين الله تعالى، بأنهم يشفعون فيُشفّعون، أي إن شفاعتهم تكون مقبولة، كما نقرأ في زيارة الجامعة الكبيرة الواردة عن الإمام الهادي عليه السلام (... والشفاعة المقبولة...).

ولكن هنا يأتي تساؤل: هل هناك شفاعة مقبولة وشفاعة غير مقبولة (مردودة)؟

الجواب: نعم، الشفاعة على قسمين: مقبولة ومردودة. كما ذكرها محمد حسين قراملكي في كتابه موسوعة أجوبة الشبهات حيث يقول ﴿تنقسم الشفاعة إلى مقبولة ومردودة:

١ - شفاعة تطال المشفوع المؤهل، ولديه علة القابلية لإعطاء الشفاعة، وتعبر عنها بالشفاعة الصحيحة والعادلة.

٢ - شفاعة المشفوع المفتقر إلى علة القابلية ونتيجتها عدم شموله بالشفاعة ويعبر عنها بالشفاعة المردودة وغير العادلة.

ويتابع صاحب الكتاب قائلاً: من الواضح أن شفاعة الشفعاء من الله والأنبياء والائمة تجري وتسري على القسم الأول، بينما القسم الثاني لا تشمله شفاعة أي شافع لا الله ولا المعصومين، لأنه يفتقر إلى الأرضية وعلة القابلية وعلة الفاعلية﴾[1].

ولكي نفهم معنى الشفاعة العهدية علينا أن نسلط الضوء أولاً على ثقافة العهد في القرآن الكريم.

ثقافة العهد في القرآن الكريم:

العهد في القرآن الكريم ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول: عهد من الإنسان إلى الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (التوبة: ٧٥).

القسم الثاني: عهد من الإنسان إلى الإنسان.

يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ ... وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٤).

---

(١) أجوبة الشبهات الكلامية: ج٥، ص٣٠٦.

القسم الثالث: عهد من الله إلى الإنسان.

وهو أهم العهود وهو على قسمين:

الأول: عهد إلهي لكل الناس.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ...﴾ (يس:٦٠).

الثاني: عهد إلهي خاص (يشمل أصحاب الاصطفاء الإلهي والاجتباء).

يقول تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤).

فعبّر القرآن الكريم عن الإمامة بـ (عهدي)، وأصحاب هذا العهد -أي الإمامة- لهم حق الشفاعة، وتكون شفاعتهم مقبولة، وأعلى مصاديق أصحاب هذا القسم هم النبي الخاتم محمد ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام.

لذلك فهم يشفعون فُيشفّعون، وهو من أعظم العهود كما بيّنا سابقاً، فلذلك على الإنسان الالتزام بهذا العهد ووجوب طاعة أصحابه.

ونجد أن الله تعالى قد حذّر من نقض هذا العهد في موارد عديدة من القرآن الكريم منها ﴿وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً...﴾ (النحل:٩٥) وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات:٢٤).

﴿... عن ابي هارون، عن ابي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في قول الله‌ﷻ: (وقفوهم انهم مسئولون)، قال: (عن ولاية علي، ما صنعوا في امره وقد اعلمهم الله ﷻ انه الخليفة من بعد رسوله)﴾[1].

النوع الثاني: الشفاعة الحقية

يقول تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٦).

إن الآية الكريمة نفت الشفاعة، ولكنها استثنت: من يشهد بالحق، حيث قالت الآية (إلا من شهد بالحق)، فمن هو الذي يشهد بالحق وبماذا يشهد؟

الجواب: إن من شروط الشهادة في الدنيا أن يكون الشاهد عادلاً وعلى علم بما يشهد عليه، فكيف إذن بمن يشهد يوم القيامة، فمن الأولى أن يكون الذي يشهد يوم القيامة شاهداً عادلاً ذا إيمان كامل مطلعاً على أعمال الخلائق، فيشهد عليها.

فمن غير المعقول أن يشهد الإنسان صاحب الإيمان الاعتيادي (لأننا كما نعلم أن الإيمان درجات) على نفسه، بالإضافة إلى أن المؤمن ذا الإيمان الاعتيادي لا يمتلك قابلية الاطلاع على أعمال الخلائق، إضافة إلى أن الإنسان قد ينسى أعماله، والدليل قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المجادلة: ٦)، فكيف يشهد على أعمال الخلائق.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٦، ص٤١٢.

ومن خلال كل ما ذكرناه نستنتج: أن من يشهد على أعمال الخلائق يجب أن يكون كامل الإيمان مطلعاً على أعمال الخلائق، فيشهد عليها.

وأعلى مصاديق ذلك هو النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الكرام الطيبون عليهم السلام والدليل هو قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾ (التوبة: ١٠٥) التي فُسرت بهم عليهم السلام.

فقد روي ﴿... عن سماعة، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (مالكم تسوءون رسول الله ﷺ؟) فقال له رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: (اما تعلمون ان أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤوا رسول الله ﷺ وسروه)﴾[1].

و ﴿عن عبد الله بن ابان الزيات - وكان مكينا عند الرضا عليه السلام - قال: قلت للرضا عليه السلام: ادع الله لي ولأهل بيتي. فقال: (اولست افعل، والله ان أعمالكم لتعرض عليّ في كل يوم وليلة). قال: استعظمت ذلك، فقال لي: (اما تقرأ كتاب الله عز وجل (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) - قال - هو والله علي بن ابي طالب عليه السلام﴾[2].

النوع الثالث: الشفاعة الإذنية.

يقول تعالى: ﴿...مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ...﴾ (البقرة:٢٥٥).

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٣، ص٤٨٨ – ٤٨٩.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج٣، ص٤٨٩.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (طه:١٠٩).

وهنا سؤال: من هو الذي يأذن له الرحمن بالشفاعة؟

الجواب: الذي يأذن له الرحمن بالشفاعة فيشفع ويُشفّع لابد أن يكون أقرب الناس إلى الله تعالى، بحيث يكون من المقربين ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة: ١٠ - ١١)

وأعلى درجات المقربين إلى الله تعالى هم النبي الأكرم محمد ﷺ واله الطيبون الطاهرون عليهم السلام.

النوع الرابع: الشفاعة المرضية.

يقول تعالى: ﴿...وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى...﴾ (الأنبياء: ٢٨).

وهنا سؤال : من هو الذي يرتضيه الله تعالى ليكون شافعاً للناس يوم القيامة؟

الجواب: الجواب على السؤال نجده في قوله تعالى: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

فمن خلال الآية الكريمة نستنتج أن من رضي الله تعالى عن دينه هو الذي له حق الشفاعة.

وقد قبل الله تعالى دين الناس ورضي لهم الإسلام ديناً في يوم تنصيب الإمام علي عليه السلام للولاية، وجعله الخليفة بعد رسول الله ﷺ في يوم الغدير.

وقد أوردنا سابقا في هذا الكتاب أن هذه الآية من الآيات التي اتفق الخاص والعام على أنها نزلت في يوم الغدير عند تنصيب الإمام علي عليه السلام للإمامة.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ...﴾ (النور:٥٥)

من الآية الكريمة يتضح أمر مهم، وهو: إن الدين الذي يحكم الأرض في الرجعة هو ذاته الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده في يوم الغدير. إذن فالحكم في الدنيا (في الظهور والرجعة) يكون لآل محمد عليهم السلام والشفاعة في الآخرة تكون لهم عليهم السلام ايضا.

النوع الخامس: الشفاعة الرحيمية

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ، إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الدخان: ٤١ - ٤٢).

من خلال الآية نستنتج أن من يرحمه الله تعالى يوم القيامة هو الذي يُنصر، ولكن من هو الذي رحمه الله؟

الجواب نجده في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وهو الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله الذي هو تجلٍ ومظهر لرحمة الله تعالى، ورحمة الله تعالى تتجلى لعباده من خلال الشفاعة، لذلك فإن النبي صلى الله عليه وآله وأله الأطهار عليهم السلام هم من رحمهم تعالى وجعلهم شفعاء لخلقه.

وفي ذلك روي ﴿عن محمد بن علي بن الحنفية، انه قال: يا أهل العراق تزعمون ان ارجى اية في كتاب الله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا الآية... وإنا أهل البيت نقول ارجى اية في كتاب الله عز وجل

(ولسوف يعطيك ربك فترضى) (الضحى: ٥) هي والله الشفاعة ليعطينها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول رب رضيت﴾[1].

المحطة الخامسة: لمن تحصل الشفاعة (شروط الشفاعة)؟

باختصار نقول: إن الشفاعة يوم القيامة لا تحصل إلا بإذن من الله تعالى، يقول تعالى: ﴿...مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِه...﴾ (يونس:٣). ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سبأ: ٢٣).

وفي هذا المعنى جاء في تفسير نور الثقلين :

لا يشفع أحد من أنبياء الله ورسله يوم القيامة حتى يأذن الله له الا رسول الله ﷺ، فان الله ﷻ قد اذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة، والشفاعة له وللأئمة صلوات الله عليهم ثم بعد ذلك للأنبياء عليهم السلام. قال : حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي العباس المكبر قال : دخل مولى لا مرأة علي بن الحسين صلوات الله عليهما على أبي جعفر صلوات الله عليه يقال له أبو أيمن فقال له : يا أبا جعفر تغرون الناس وتقولون شفاعة محمد شفاعة محمد ؟ ! فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربد وجهه ثم قال : ويحك يا أبا أيمن أغرك ان عف بطنك وفرجك ؟ أما لو قد رأيت افزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة رسول الله ﷺ ويلك وهل يشفع الا لمن وجبت له ؟ ثم قال : ما من أحد من الأولين والآخرين الا وهو محتاج إلى شفاعة رسول

---

(١) تفسير الصافي: ج٥، ص٣٤١.

الله ﷺ يوم القيامة ، ثم قال أبو جعفر عليه السلام : ان لرسول الله ﷺ الشفاعة في أمته ، ولنا الشفاعة في شيعتنا ، ولشيعتنا شفاعة في أهاليهم، ثم قال : و ان المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر ، وان المؤمن ليشفع حتى لخادمه ، يقول : يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد .(١)

المحطة السادسة: بأي معنى تكون الشفاعة.

الشفاعة بمفهومها العام متفق عليها عند الشيعة وغيرهم، ولكن الاختلاف الموجود إنما هو في التفاصيل، وبعض هذه التفاصيل قد حدث عليها اختلاف بين أتباع أهل البيت عليهم السلام وغيرهم أيضاً.

فهناك من العلماء من قال: إن الشفاعة تعني محو سيئات المذنبين، والبعض الآخر قال: إنها تعني زيادة في الثواب، أما البعض الثالث فقال: إن الشفاعة بصورة عامة لرفع الدرجات وحط السيئات.

يقول الشيخ فاضل الصفار في موسوعته: «الرأي الأول: ذهب إلى أن الشفاعة لا ترفع عقاباً بل تزيد الثواب، وهذا قول المعتزلة والخوارج.

الرأي الثاني: ذهب إلى أن الشفاعة تختص برفع العقاب والعذاب عن المؤمنين المذنبين، وهو قول الأكثر من الفريقين (السنة والشيعة).

الرأي الثالث: ذهب إلى أن الشفاعة عامة تشمل رفع العقاب وزيادة الثواب معاً على حساب ما تقتضيه الحكمة،

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ما من أحد من الأولين والاخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة... ثم يقول

---

(١) تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي - ج ٤ - ص ٣٣٤ - ٣٣٥

صاحب الكتاب معلقاً: والإطلاق يشمل الشفاعة العقابية والشفاعة الثوابية، ولا دليل على التقييد أو التخصيص﴾[1].

أما غير أتباع أهل البيت عليهم السلام فهم يعتقدون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله فقط هو من له حق الشفاعة، أما غيره فلا يعتقدون بشفاعتهم، بعكس أتباع أهل البيت عليهم السلام، فهم يعتقدون بشفاعة كل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وبالتأكيد على رأسهم النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

المحطة السابعة: مراتب الشفاعة[2].

مراتب الشفاعة ثلاثة:

المرتبة الأولى: الشفاعة الاستجابية.

بمعنى أن أولياء الله تعالى يدعون للمذنب، فتتحقق بطلب الشفاعة من الله تعالى والتماسه في ان يعفو عن ذنوب المشفوع له فيستجيب الباري عز وجل للطلب، فيرفع عنه العقاب كرامة للشافع، وعلى هذا الأساس تكون مقصورة على مورد الدعاء والاستجابة للدعاء.

المرتبة الثانية: الشفاعة الوهبية.

وهي بمعنى أن يهب الله تعالى لعباده صلاحية العفو والتجاوز عن العباد المذنبين التابعين لهم حباً وكرامة، وهذه المرتبة أعلى من الأولى؛ لأن الأولى تقتصر على الدعاء فقط.

﴿قال ابو جعفر: حدثني ابي عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري

---

(١) انظر : موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ج٨.

(٢) انظر : المصدر نفسه.

اعلى منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله: يا محمد اخطب، فأخطب بخطبة لم يسمع احد من الأنبياء والرسل بمثلها. ثم ينصب للأوصياء منابر من نور وينصب لوصيي علي بن ابي طالب في اوساطهم منبر من نور فيكون منبره اعلى منابرهم، ثم يقول الله: يا علي اخطب فيخطب بخطبة لم يسمع احد من الاوصياء بمثلها... ثم ينادي المنادي وهو جبرائيل عليه السلام: اين فاطمة بنت محمد؟... يا أهل اجمع لمن الكرم اليوم؟ فيقول محمد وعلي والحسن والحسين (وفاطمة): لله الواحد القهار. فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع ان يقد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطؤا الرؤوس وغضوا الابصار فان فاطمة تسير إلى الجنة. فيأتيها جبرائيل بناقة من نوق الجنة مدبجة الجانبين،... فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت، فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد امرت بك إلى جنتي؟ فتقول: يا رب احببت ان يعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لاحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة.

قال ابو جعفر عليه السلام: والله يا جابر انها في ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي اله في قلوبهم ان يلتفتوا فإذا التفتوا فيقول الله عز وجل: يا احبابي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي، فيقولون: يا رب احببنا ان يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا احبابي ارجعوا وانظروا من احبكم لحب فاطمة، انظروا من اطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من

سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة خذو بيده وأدخلوا الجنة.

قال ابو جعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلا الشاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى (فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم) (الشعراء: ١٠٠ - ١٠١)، فيقولون: (فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين) (الشعراء: ١٠٢).

قال ابو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات منعوا ما طلبوا (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) (الأنعام: ٢٨)﴾[١].

المرتبة الثالثة: الشفاعة التفويضية.

وهي تتحقق بتفويض بعض خواص عباد الله أمر الحساب والعقاب والثواب إلى عباده المكرمين، فيحاكمون المذنبين ويحاسبونهم بحسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية والموازين الربانية، فينظرون مدى حب العباد وطاعتهم وتسليمهم. وهذا لا يعني أنهم يحاسبون الخلائق بصورة مستقلة، بل بأمر وإذن وبقوة وإشراف الله تعالى.

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ص٢٩٨ – ٢٩٩.

القسم الثامن: عرصات يوم القيامة

بعد أن أنهينا الحديث عن أقسام المعاد وعرفنا ما معنى يوم القيامة، وأنه عبارة عن فترة زمنية معينة يطلق عليها القرآن الكريم تسمية يوم القيامة، يأتي الحديث الآن إلى ما بعد يوم القيامة وهي عرصات القيامة ونبدأ من:

العرصة الاولى: الحشر

وهنا عدة خطوات نتابعها بالتسلسل:

الخطوة الاولى: ما معنى الحشر.

لغة: الاصل في (حَشَرَ) في اللغة العربية مأخوذة من (الحشرة) والحشرة هي هوام الارض (كالخنفساء مثلا او العقارب) وغيرها.

اصطلاحا: يطلق الحشر على السنة الجديدة المجدبة (سنة القحط). أي تكون سنة ابتلاء فتهلك الحرث والنسل.

وقد يتساءل البعض: لماذا سمّت العرب السنة الجديدة المجدبة بهذا الاسم (حشر)؟

فنقول: المعروف ان سكان القرى والنواحي يعيشون هم ودوابهم على الماء والزرع، فإذا كانت السنة مجدبة فهذا يعني عدم وجود الأمطار وهذا الامر سيسبب الهلاك لهم ولدوابهم، ولذلك فهم يجتمعون وينتقلون بصورة جماعية إلى الامصار الاخرى التي يكثر فيها المطر، فعبّر العرب عن اجتماعهم وانتقالهم هذا بالحشر.

وهكذا هو حالنا عندما نحشر يوم القيامة، فنحن نترك الدنيا وننتقل جميعا إلى عالم اخر وهو عالم الاخرة. ومن هنا فإنه يمكننا ان نعرّف الحشر بأنه: عبارة عن انتقال بحالة جماعية.

التفاتة:

يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ...﴾ (هود: ١٠٦-١٠٧).

القرآن الكريم في هذه الآية يتحدث عن حال الاشقياء يوم القيامة ويبين انهم في النار، ولكن السؤال هنا: ما معنى قوله تعالى (خالدين فيها ما دامت السماوات والارض) إذ من الطبيعي ان خلودهم في النار سيكون بشكل دائم وليس وقتياً، فعن أي سماوات وعن أي ارض يتكلم القرآن الكريم؟

والجواب: القرآن الكريم في الآية الكريمة يتكلم عن عالم الاخرة وليس عالم الدنيا، وإن المقصود من السماوات والارض في الآية هي سماوات وارض عالم الاخرة وليس عالم الدنيا، لأننا بينا سابقا في -اشراط الساعة- أن سماء عالم الدنيا تزول ﴿وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ﴾ (التكوير: ١١)، ﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ﴾ (الانفطار: ١)، ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ...﴾ (الانبياء: ١٠٤)، وكذلك الحال مع ارض عالم الدنيا ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (الانشقاق: ٢-٤)، بالإضافة إلى وجود دليل قراني اخر على ان الله تعالى يبدل ارض وسماوات عالم الدنيا، وهو

قوله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ...﴾ (ابراهيم: ٤٨).

أما سماوات وارض عالم الاخرة فهي باقية ولن تزول او تتبدل، وهذا ما يوضحه العلامة الطباطبائي قائلا ﴿فللآخرة سماوات وارض كما ان فيها جنة ونار ولهما اهلا، وقد وصف سبحانه وتعالى الجميع بأنها عنده وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾ (النحل: ٩٦) فحكم بأنها باقية غير فانية. وتحديد بقاء الجنة والنار واهلهما بمدة دوام السماوات والارض أنما هو من جهة السماوات والارض مطلقا ومن حيث انهما سماوات وارض مؤبدة غير فانية، وانما تفنى هذه السماوات والارض التي في هذه الدنيا على النظام المشهود، وأما السماوات التي تظل الجنة مثلا والارض التي تقلها وقد اشرقت بنور ربها فهي ثابتة غير زائلة فالعالم لا تخلو منهما قط﴾[1]، وهكذا هو الحال مع الاشقياء فهم خالدين في النار ابدا، وهو تشبيه قراني رائع.

الخطوة الثانية: اشباه ونظائر مفردة (حشر) في القرآن الكريم.

ذكرت اشباه ونظائر مفردة الحشر في القرآن الكريم في موردين:

المورد الاول: الجمع.

١- يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا...﴾ (الانعام: ٢٢).

٢- يقول تعالى: ﴿...وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف:٤٧).

٣- يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير: ٥).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج١١، ص٢٤.

وهنا اختلفت اراء المفسرين في معنى الوحوش، فبعضهم قال الانسان الذي غلبت عليه الحالة السبعية وبعضهم قال الانسان الذي يغلب عليه الطبع التخيلي، والبعض الاخر فهمها على انها الحيوانات ايضا تحشر، والحشر المقصود به في الآيات هو حشر الجمع (أي جمعناهم)

المورد الثاني: السوق[1].

١- يقول تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٢٢-٢٣).

٢- يقول تعالى: ﴿...وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (طه: ١٠٢).

٣- يقول تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم:٨٦).

والحشر المقصود به في الآيتين الاولى والثانية هو بمعنى الجر او السحب بقوة وعنف

وقد يقول البعض: لماذا تسحب الملائكة المجرمين او الظالمين بقوة وعنف؟

فنقول: لأنهم ببساطة لا يريدون ان يدخلوا إلى جهنم، ولذلك تسحبهم الملائكة إلى النار بقوة.

---

(١) السوق: هو الجر او السحب بعنف وقوة.

التفاتتان:

الالتفاتة الأولى:

لو تأملنا جيدا في الآيات اعلاه لوجدناها تتحدث عن حشر المجرمين والظالمين فقط، وهنا يتبادر إلى الاذهان سؤال:

كيف يكون الحشر مختصاً بهؤلاء؟ والحال أن الله تعالى يبين في كاتبه العزيز ان الحشر سيكون لجميع الخلائق ﴿...وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾؟

الجواب: هؤلاء (المجرمون والظالمون) قد تمت محاسبتهم واعطوا القابهم بأنهم مجرمون وظالمون.

بعبارة اخرى: حشرهم هذا يكون بعد محاسبتهم وليس قبلها، ومن هنا يمكن ان نقسم الحشر إلى انواع او مراتب، وهي:

المرتبة الاولى: حشر ما قبل الحساب.

ويعرّف على انه الحشر الذي تجتمع فيه الخلائق قبل محاسبتها ويكون بعد نفخة الصور الثانية (نفخة الاحياء).

المرتبة الثانية: حشر ما بعد الحساب.

ويعرّف على انه الحشر الذي يكون بعد محاسبة الخلائق وعلى اساسه تقسم الناس اما إلى الجنة واما إلى النار كل حسب عمله.

الالتفاتة الثانية:

أخبرنا القرآن الكريم بأن الاشقياء والمجرمين والذين ظلموا، سوف تسحبهم الملائكة وتسوقهم إلى النار بقوة لأنهم لا يريدون الدخول إلى النار، ولكن، لماذا تسوق الملائكة المتقين إلى الجنة ايضا، كما ورد هذا

المعنى في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا...﴾ (الزمر: ٧٣).

والحال أن الأمر الطبيعي هو ان المتقي او المؤمن بصورة عامة هو من يرغب في الذهاب إلى الجنة ولا يحتاج إلى من يسوقه (يسحبه)؟

الجواب: يساقون إلى الجنة لان المؤمنين او المتقين في الحشر يرون نور النبي المصطفى ﷺ ونور اهل بيته الاطهار عليهم السلام **لأنهم** هم الذين يشفعون للناس في ذلك اليوم، ولذلك فان المؤمن او المتقي عندما يرى نور النبي ﷺ ونور اهل بيته الطاهرين عليهم السلام فانه يذهل وينشغل بنورهم عن نور الجنة ونعيمها وملذاتها، ومن هنا اتى معنى سوق الملائكة المتقين إلى الجنة.

الخطوة الثالثة: الاستعمال القرآني لمفردة حشر.

استعمل القرآن الكريم مفردة حشر بكل اشتقاقاتها في محورين:

المحور الاول: الحشر في الدنيا (الحشر الدنيوي).

والحشر الدنيوي ايضا له محوران:

الاول: حشر غير الهي (بشري).

يقول تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ (النازعات: ٢٣).

فالآية الكريمة تتحدث عن فرعون عندما جمع اهل مصر، وكذلك يمكننا ان نستنتج من خلال ما قلناه سابقا بأن الحشر هنا هو حشر الجمع.

الثاني: حشر الهي.

كما في الآيتين التاليتين:

١- يقول تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (النمل: ١٧).

٢- يقول تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: ١٩).

أقول: وقد حشر الله تعالى الطير لداوود عليه السلام، لأنه كان إذا سبح وقرأ الزبور، يسبح معه كل شيء.

﴿عن ابن ابي عمير، عن الصادق عليه السلام، قال: وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى حجر، ولا شجر، ولا جبل، ولا طائر، ولا سبع إلا يجاوبه﴾[1].

وهذا ان دل على شيء فهو يدل على ان الحجة الالهي هو قطب رحى الكون بما فيه من مخلوقات، فإذا سبح سبحت معه وإذا هلل هللت معه.

المحور الثاني: الحشر في الاخرة (الحشر الأخروي).

يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ...﴾ (مريم: ٦٨).

وهذا الحشر هو حشر الهي فقط، وفيه يكون حشر ما قبل الحساب وحشر ما بعد الحساب، اللذان تكلمنا عنهما قبل قليل.

التفاتة:

في الآية المباركة نلاحظ ان رب العزة يخاطب حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى: (فوربك) وهذا على مستوى نهاية الخليقة، وكذلك الحال على مستوى بداية الخليقة كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

(١) البرهان في تفسير القرآن: مج٦، ص٤٧١، ح٦. اقول الرواية طويلة جدا لا يسعنا المجال لذكرها كاملة، من اراد المزيد فليراجع المصدر المذكور.

جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ (البقرة: ٣٠) فعلى ماذا تدل مخاطبة النبي ﷺ من قبل القرآن الكريم؟

الجواب: ان دلت على شيء فهي تدل على حالة استحضار النبي ﷺ هذه في كل الملفات من بداية الخليقة وحتى نهايتها وعلى إنّ الرسول الاعظم ﷺ هو اول من خلق الله تعالى، وما يؤكد كلامنا هذا هو قول الرسول ﷺ ﴿في كتاب ابكار الافكار: للشيخ ملاح الدين بن زين الدين بن احمد الشهير بابن الصلاح الحلبي (قدس): قال جابر بن عبد الله الانصاري (رضي الله عنهما): سألت رسول الله ﷺ عن اول شيء خلقه الله تعالى، قال: هو نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير، وخلق بعده كل شيء...﴾[1].

وكذلك ما يؤكد هذا قول الامام الهادي عليه السلام: (بكم فتح الله وبكم يختم)

﴿عن ابي سعيد والحميري معا عن ابراهيم ابن مهزيار عن اخيه علي عن ابن ابي عمير عن الحسين ابن ابي العلا عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: تكون الارض بغير امام؟ قال: لا، قلت: فيكون امامان في وقت واحد؟ قال: لا، إلا وأحدهما صامت، قلت: فالإمام يعرف الامام الذي من بعده؟ قال: نعم، قلت: القائم امام؟ قال: نعم امام ابن امام، قد اؤتم به [2] من قبل﴾[3].

---

(١) ينابيع المودة لذوي القربى: ج١، ص٥٦، ح٨، (وفي نفس المصدر حديث مشابه له ص٤٥، انظر).

(٢) وفي نسخة: وقد أذنتم به.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٥، ص١٠٧-١٠٨، ح٧.

الخطوة الرابعة: طرق حشر الناس يوم القيامة.

يوضح لنا القرآن الكريم طرقاً أو كيفيات مختلفة لحشر الناس في الاخرة، وهذه الطرق يحددها الانسان نفسه من خلال اعماله في الدنيا، فكيفما كانت اعماله في دنياه فهي التي سترسم مسار حشره في الاخرة، فإن كانت اعماله صالحة سيحشر عزيزا مكرما، وان كانت اعماله طالحة سيحشر مهانا حقيرا.

والطرق هي:

الطريقة الاولى: العمى.

يقول تعالى: ﴿...وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٤).

هناك صنف من الناس يحشرون يوم القيامة عمياناً، وعماهم هذا كان نتيجة عمى بصيرتهم عن تشريعات الله تعالى في الدنيا فمن يكن في الدنيا اعمى البصيرة فإنه يحشر يوم القيامة اعمى البصر والبصيرة، وهذا ما ذهب إليه بعض المفسرين.

اما البعض الاخر فيذهب إلى ان العمى المقصود به في الآية هو عمى البصر.

وسواء كان عمى البصر او البصيرة فإن الإنسان هو الذي يحدد مصيره هذا، فما يزرعه المرء في دنياه يحصده في اخرته، وقد طرح القرآن الكريم العديد من الامثلة لبني البشر للعبرة والموعظة منها على سبيل المثال معاملة الايتام:

فنحن نرى صنفاً من الناس يحترم اليتيم ويطبق قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى: ٩)، فنراه من خلال تعامله مع اليتيم أنه يوقره ويحترمه، وهو بعمله هذا قد رسم مسار حشره كريما عزيزا،

وكذلك نرى في الجهة المقابلة من يضرب القانون الالهي عرض الجدار ويضرب اليتيم ويأكل امواله ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ (الماعون: ٢)، فهذا ايضا قد رسم مسار حشره، وسوف يُدعّ إلى نار جهنم ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ (الطور: ١٣).

الطريقة الثانية: الحشر على الوجه.

يقول تعالى: ﴿...وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا...﴾ (الاسراء: ٩٧).

يوضح لنا القرآن الكريم من خلال الآية الكريمة طريقة اخرى من طرق الحشر، وهو الحشر على الوجه، ولكن الآية توضح طريقة او صورة حشر هذا الصنف من الناس بصورة أكثر دقة، وذلك بأنهم لا يحشرون فقط مكبوبين على وجوههم وانما يحشرون عمياً لا يستطيعون البصر، وبُكماً لا يتكلمون، وصماً لا يسمعون. وهنا كأن الباري ﷻ يريد ان يبين ان هؤلاء انما حُشروا بهذه الصورة لأنهم في الدنيا كانوا متسلّطين على الناس ظالمين لهم، مفرّطين بأموالهم، ومن خلال تلك الاعمال رسموا طريقة حشرهم، بالإضافة إلى ان الله تعالى يبين حال الخزي والمهانة التي يحشرون عليها وهذا يحدث لهم قبل القيامة لان الانسان إذا دخل النار يكون مخزيا ومهانا ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (ال عمران: ١٩٢)، ولكن هؤلاء يذوقون الخزي والعار في الحشر قبل النار، وهذه الطريقة من الحشر تكون أخطر من الطريقة الأولى؛ لان الانسان العاصي يذوق الخزي والعار مرتين: مرة في الحشر ومرة في النار.

الطريقة الثالثة: الحشر مع الشيطان.

يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ...﴾ (مريم: ٦٨).

تخبر هذه الآية الكريمة أن صنفاً من أصناف الناس يحشرون مع الشياطين والعياذ بالله، وهذا الحشر بحد ذاته يمكن ان تكون له دلالات متعددة منها:

١- قد يكون كناية عن البعد عن الله تعالى، لأن من أعظم النعم التي يحصل عليها الانسان في الاخرة هو شعوره بالقرب من الله تعالى والانبياء عليهم السلام والائمة عليهم السلام وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)، وبالتالي فأن الذي يحشر مع الشيطان سيكون بعيدا عن كل هؤلاء ولا يحظى بمقام القرب منهم.

٢- وقد يكون حشر مع الشيطان نتيجة اعماله الشيطانية في الدنيا، فكما نعلم ان هناك صنفاً من الناس يتبع الشيطان، وأن هناك صنفاً من الناس هو يتحول إلى شيطان كما يعبر القرآن الكريم ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ (الانام: ١١٢)، وبالتالي فإن حشره سيكون مع أقرانه، وهنا يتضح معنى ما بيناه سابقا بأن يوم القيامة هو يوم الفصل والجمع، حيث تنفصل فيه الخلائق فتنحشر كل مجموعة مع مجوعتها التي كانت عليها في الدنيا، وهذا النوع او الطريقة من الحشر هي أخطر من الطريقتين السابقتين لما فيها من خوف وهول عظيمين.

الطريقة الرابعة: الحشر على شكل وفد.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (مريم:٨٦).

بعد ان بينت الطرق الثلاثة السابقة كيفية حشر العاصين، تبين هذه الطريقة كيفية حشر المتقين، حيث تبين انهم يحشرون بشكل وفد، والوفد هم القوم الواردون لزيارة او استنجاز حاجة او نحو ذلك، ولا يُسمون وفداً إلا إذا كانوا ركبانا(١).

اما عبارة (الرحمن) الواردة في الآية فهي كناية عن الجنة، وهذا ما يستفيده العلامة الطباطبائي في ميزانه حيث يقول ﴿ربما استفيد من مقابلة قوله في هذه (إلى الرحمن) قوله في الآية التالية (إلى جهنم) ان المراد بحشرهم إلى الرحمن حشرهم إلى الجنة وانما سمي حشرا إلى الرحمن لان الجنة مقام قربه تعالى فالحشر اليها حشر اليه﴾(٢).

ويتضح من قول السيد الطباطبائي ان الحشر يكون بعد الحساب لان الانسان يكون قد عرف مصيره انه إلى الجنة، اما طرق الحشر الثلاثة الاولى فهي تكون قبل الحساب.

العرصة الثانية: الحساب:

الحساب هو العرصة الثانية من عرصات القيامة والتي يمر بها الانسان بعد ان يكمل الحشر، ولعله الحساب من اخطر ما يواجهه الانسان في القيامة لان فيه المصارحة وعرض الاعمال كما يعبر القرآن الكريم ان في ذلك اليوم تبلى السرائر ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (الطارق:٩)، ولعل خوف الانسان يكون ناتجاً من المصير المجهول الذي يواجهه، لاسيما إذا كان يعرف ما قدمته نفسه وما جنته يداه وخاصة

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج١٤، ص١١٠.
(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج١٤، ص١١٠.

ان الانسان يعلم جيدا ان الحكم عادل وهو الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية[1].

والحساب له عدة مواطن نبينها بالتسلسل:

الموطن الأول: معنى الحساب.

الحساب لغة: بمعنى العدّ.

أي يجمع الله تعالى الناس ليحاسبهم، أي ليعدّ عليهم أعمالهم.

ولعل قائلاً يقول: هل ان الله تعالى يجهل اعمال الناس فيعدّها عليهم؟

والجواب: كلا، الامر ليس كذلك؛ فإن الله تعالى يعلم اعمال العباد، وهذا امر لا يختلف عليه اثنان فهو خالقهم ويعلم ما يدور في داخلهم، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦)، ولكنه تعالى يعدّ على الناس أعمالهم ليعلموا ما جنتْه أيديهم، وبذلك يلقي حجته عليهم ولا يستطيع احد أن ينكر ما قدمته يداه.

ومن هنا نستطيع أن نفرق بين الحساب الالهي والحساب البشري، فالحساب البشري يكون لدفع الجهل كالمحاسبة بين الشريكين فيعدّ كل واحد منهما ما له وما عليه ليرتفع الجهل بينهما، اما الحساب الالهي فيكون لإلقاء الحجة على الناس من خلال إعلامهم بأعمالهم[2].

---

(١) انظر موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الالهية: ج٨، ص٨.

(٢) اقول: من الممكن ان يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: هل من الممكن ان ينسى الانسان اعماله؟!

فيجيب على هذا السؤال الشيخ الصفار في موسوعته (الحقائق والدقائق في المعارف الالهية: ج٨، ص١٠) قائلا: «لان ما يمر على الانسان من عوالم غريبة ومهولة قد تنسيه اعماله،⇐

الموطن الثاني: اشباه ونظائر مفردة (الحساب) في القرآن الكريم.

ذكر القرآن مفردة الحساب في العديد من الموارد في القرآن الكريم، وهي:

المورد الاول: الحساب بمعنى الكثير.

وهذا ما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَابًا﴾ (النبأ: ٣٦).

المورد الثاني: الحساب بمعنى الجزاء.

وهذا ما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي...﴾ (الشعراء:١١٣).

والحساب (الجزاء) في الآية اما يكون جزاء ثواب او جزاء عقاب.

المورد الثالث: الحساب بمعنى العقاب.

يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (النبأ: ٢٧).

الآية الكريمة توضح ان هناك صنفاً من الناس كانوا يدّعون انهم لا يحاسبون، كاليهود مثلاً، حيث كانوا يدّعون بأنهم ابناء الله واحباؤه، ولذا فهم لا يُحاسَبون، ولكن القرآن الكريم ردّ عليهم ادعاءهم هذا من وجهين:

الاول: ان الله تعالى منزه عن ان يكون له ولد او تكون له زوجة لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (الجن٣).

⇐بل ان اهوال الحشر سينسي الام ولدها ويجعلها مشغولة بنفسها، قال سبحانه: (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) (الحج: ٢)، فكيف بالأعمال فأنها لسوئها ونقصها اما ينساها الانسان او يتناساها خوفا من مصيرها﴾.

الثاني: طلب القرآن منهم تمني الموت ﴿...فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٩٤)، أي انكم لو كنتم صادقين في دعواكم هذه فتمنوا الموت، ولكن لأنهم يعلمون جيدا كذب وزيف ادّعائهم فلن يتمنوا الموت ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ﴾ (البقرة: ٩٥)،

والطريف ان القرآن ينفي تمنيهم للموت نفيا مؤبدا بقوله تعالى (لن يتمنوه) لأنهم يعلمون جيدا مصير أعمالهم التي اقترفوها.

هذا، وإن هناك صنفاً اخر من الناس أنكروا العقاب لإنكارهم المعاد، وقد بيّنا سابقاً سبب إنكارهم للمعاد في (محطة شبهات المنكرين للمعاد).

المورد الرابع: الحساب بمعنى الحفيظ.

يقول تعالى: ﴿...إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء:٨٦).

المورد الخامس: الحساب بمعنى الشهيد او الشاهد.

يقول تعالى: ﴿...كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾(الاسراء: ١٤).

الشهود على أعمال الانسان يوم القيامة كثيرة ومنها جوارحه ومنها الارض (سنأتي على تفصيلها في الشهود ان شاء الله تعالى) ولكن من جملة ما يشهد على الانسان حسب ما توضحه الآية الكريمة هي نفس الانسان (داخله).

وقد اوردها القرآن الكريم من جملة الشهود، لأنها من أدق ما يشهد على الانسان، فالإنسان عندما يرى نفسه تشهد عليه لا يستطيع انكار ما جنته نفسه، وعندئذ يخضع للحساب.

المورد السادس: الحساب بمعنى العرض على الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿...يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (ابراهيم: ٤١).

المورد السابع: الحساب بمعنى العدد.

يقول تعالى: ﴿...وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ...﴾ (يونس:٥).

المورد الثامن: الحساب بمعنى التقتير والمنّة.

يقول تعالى: ﴿...فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (غافر:٤٠).

الآية الكريمة توضح حال المؤمنين يوم القيامة ,كيف ان رزقهم في الجنة يكون بغير حساب، أي من غير تقتير ولا منّة. ولكن ما هو الرزق الذي يرزقه الله تعالى للمؤمنين والذي يكون بغير حساب؟

الجواب: عندما بحثنا عن موارد الرزق في القرآن وجدنا:

الرزق في ثقافة القرآن الكريم:

الرزق: يعرّف على أنه العطاء.

والرزق في القرآن ينقسم إلى ثلاثة أقسام، هي:

القسم الاول: الرزق الدنيوي.

وهو نوعان:

النوع الاول: رزق دنيوي مادي.

١- يقول تعالى: ﴿...كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً...﴾ (ال عمران:٣٧).

والرزق الذي كان يجده زكريا عليه السلام عند مريم عليها السلام هي فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، والفاكهة هي كناية عن الرزق المادي.

٢- يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾ (البقرة: ١٧٢).

٣- يقول تعالى: ﴿...وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: ٣).

والاكل او الإنفاق دلالات على الرزق المادي.

النوع الثاني: رزق دنيوي معنوي.

يقول تعالى: ﴿...وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا...﴾ (هود: ٨٨).

الآية تتكلم عن لسان حال نبي الله شعيب عليه السلام حيث تصف الآية رزق شعيب عليه السلام بأنه كان رزقا حسنا، وقد اختلف المفسرون في تفسير الرزق الذي رزق به شعيب عليه السلام ، فمنهم من قال: هي النبوة، ومنهم من قال: هو العلم، وبعضهم قال: هي الحكمة، والبعض الاخر قال: هو الفهم.

وعلى كل حال، فكل الذي قيل فيه، ففيه دلالات على الرزق المعنوي.

ولعل البعض يقول: لماذا لا نقول: إن رزق شعيب عليه السلام كان الاكل والشرب؟

فنقول: إن الله تعالى لم يرزق شعيباً الاكل والشرب فقط، وانما رزق كل المخلوقات هذا الرزق، وبالتالي فان الله تعالى عندما رزق شعيباً عليه السلام النبوة او العلم او الحكمة او الفهم ليميزه هو كنبي عن

باقي المخلوقات من جهة، ومن جهة اخرى ليميز نوعية الرزق المادي عن المعنوي.

وبعبارة واضحة: إن الآية في مقام بيان ما تميز به النبي شعيب عليه السلام، ولو كان المقصود من الرزق هو خصوص الأكل والشرب لما كان فيه أي تميز له.

اقول:

إذا كان الله تعالى ميز الانبياء فبعضهم أُعطي العلم كآدم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا...﴾ (البقرة: ٣١) ومن خلال علمه اسجد الله تعالى له الملائكة، وأُعطي سليمان عليه السلام الفهم كقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ...﴾ (الانبياء: ٧٩)، فقد جمع الله تعالى كل تلك الصفات في علي عليه السلام، ولا عجب في الامر كما يؤكد ذلك قول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿من اراد ان ينظر إلى آدم في علمه، والى نوح في فهمه، والى ابراهيم في حلمه، والى يحيى بن زكريا في زهده، وال موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى علي بن ابي طالب﴾[1].

وهذا انما يدل على افضلية الامام علي عليه السلام على سائر الانبياء والائمة.

[1] ميزان الحكمة: ج١، ص١٤١.

القسم الثاني: الرزق الأخروي.

وهو أيضاً نوعان:

النوع الاول: رزق أخروي مادي.

ومما يشير إلى هذا النوع من الرزق هي الآيات التالية:

١- يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَات أَنَّ لَهُمْ جَنَّات تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَة رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥).

فالآية تصف أنواعاً مختلفة من الرزق الأخروي في الجنة، كالأنهار والثمرات والازواج وغيرها من النعم، وكلها تُشير إلى الرزق المادي.

٢- يقول تعالى: ﴿...رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: ٦٢).

والبكرة والعشي الموجودان في الآية كناية عن وقتين مختلفين وليس كناية عن الصباح والمساء.

النوع الثاني: رزق أخروي معنوي.

وما يشير إليه هي الآيات التالية:

١- يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

(الانفال:٣-٤).

٢- يقول تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصافات: ٤١).

فالآية الكريمة تذكر أن للمؤمنين رزقاً معلوماً عند الله تعالى، وهو رزق يختلف بلا شك عن الرزق الدنيوي، سواء كان مادياً أو معنوياً.

القسم الثالث: الرزق الدنيوي الأخروي بقسميه المادي والمعنوي.

وهذا النوع من الرزق اختص الله تعالى به مجموعة معينة من الناس، حيث رزقهم الله تعالى رزقا ماديا معنويا، دنيويا واخروياً، وهؤلاء المجموعة هم اصحاب آيات سورة النور حيث يقول تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ... فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (النور: ٣٥-٣٨).

وهؤلاء هم النبي المصطفى محمد ﷺ واهل بيته الكرام الطيبون الطاهرون عليهم السلام، فهؤلاء اعمالهم كانت أفضل الاعمال، وبالنتيجة فان رزقهم يكون افضل الرزق.

المورد التاسع: الحساب بمعنى الحسبان.

يقول تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن: ٥).

الحسبان بمعنى المنازل، أي إن لكل من الشمس والقمر منازل لا يتعدّانها، ولذلك نحن نرى الكون من حولنا منتظماً ويسير بقوانين منظمة ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس:٤٠).

المورد العاشر: الحساب بمعنى الظنّ.

يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتــــــا...﴾ (ال عمران:١٦٩).

الموطن الثالث: الاستعمال القرآني لمفردة الحساب.

استعمل القرآن الكريم مفردة الحساب في محاور عديدة في القرآن الكريم، هي:

المحور الاول: الظنّ

والظن يقع على قسمين:

القسم الاول: ظنّ قلبي (عقلي – فكري). وإليه تشير الآيات التالية:

١- يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء...﴾ (الكهف:١٠٢).

كما هو واضح، فإن الآية تتحدث عن الكافرين وكيف انهم توهموا وظنوا ان يتخذوا بعض عباد الله اولياء لهم من دون الله تعالى وجعلوا هؤلاء الاولياء واسطة بينهم وبين الله تعالى فنرى ان القرآن الكريم يعيب توهمهم هذا من خلال ذيل الآية المباركة ﴿...إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾.

وهنا قد يسأل البعض قائلاً: ألا نحتاج -نحن المؤمنين- ان نتخذ بعض عباد الله اولياء لنا؟

وإذا كنا نحتاج ذلك، فما هو الفرق بيننا وبين الكافرين حينئذ؟

الجواب: إن الفرق واضح وجلي، إذ لوعدنا إلى الآية الكريمة وأمعنا النظر فيها لوجدنا فيها عبارة (من دوني اولياء)، فالكافرون اتخذوا هؤلاء العباد اولياء لهم من دون الله، وليس بأمر من الله، اما نحن، فقد اتخذنا الاولياء (كأهل البيت عليهم السلام) بأمر الله تعالى وهذا ما اوضحه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ

مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ (المائدة: ٦٧)، حيث نجد في الآية حيثيات متعددة

وهي:

أولاً: صيغة الامر الذي جاءت به الآية المباركة (يا ايها الرسول بلغ).

ثانياً: نزول الامر من الله تعالى وليس من العباد أنفسهم (ما أنزل اليك من ربك).

ثالثاً: جعل أتعاب النبي ﷺ في تبليغه الرسالة مقابل تبليغ هذا الامر (الولاية)، فإذا لم يبلغ النبي ﷺ الامر الذي نزل اليه من ربه ضاعت أتعابه ادراج الرياح (وان لم تفعل فما بلغت رسالته).

وهذه الحيثيات تشير وبصراحة إلى أهمية الأمر الذي بلّغه الرسول الأعظم ﷺ والذي هو ضرورة التولي لأمير المؤمنين عليه السلام.

هذا بالإضافة إلى ان الله تعالى امرنا بإطاعة هؤلاء الاولياء بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ...﴾ (النساء: ٥٩)، ومن هنا يتضح الفرق بيننا وبين الكافرين.

﴿.. عن سعد بن عبد الله القمي – في حديث طويل عن القائم عليه السلام – قال: قلت فأخبرني يا مولاي، عن العلة التي تمنع القوم من اختيار امام لأنفسهم؟ قال (مصلح او مفسد) قلت: مصلح. قال: (فهل يجوز ان تقع خيرتهم على المفسد بعد ان لا يعلم احد ما يخطر ببال غيره من صلاح او فساد؟) قلت: بلى. قال: (فهي العلة التي اوردها لك برهانا).

اخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله تعالى، وانزل الكتب عليهم وأيدهم بالوحي والعصمة، اذ هم اعلام الامم، واهدى إلى الاختيار منهم، مثل موسى وعيسى عليهما السلام هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذا همّا بالاختيار ان تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان انه مؤمن؟ قلت: لا. فقال: هذا موسى كليم الله مع وفور عقله كمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من اعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلا، ممن لا يَشك في ايمانهم واخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين، فقال الله عز وجل: (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) (الاعراف: ١٥٥)، إلى قوله: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) (البقرة: ٥٥)، (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) (النساء: ١٥٣)، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوة واقعا على الأفسد دون الاصلح، وهو يظن انه الاصلح دون الافسد، علمنا ان الاختيار ليس إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور، و ما تكن الضمائر وتنصرف اليه السرائر، وان لا خطر لاختيار المهاجرين والانصار بعد وقوع خيرة الانبياء على ذوي الفساد لمّا ارادوا اهل الصلاح﴾[1].

٢- يقول تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت:٢).

من خلال الآية الكريمة يتضح لنا ان الانسان المؤمن في حالة امتحان واختبار دائم، حيث نجد بعض الناس يعتقدون انهم بمجرد

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٣، ص٢١٩، ح٢.

قول الايمان بأفواههم فقد أصبحوا مؤمنين، وليس عليهم بعد ذلك من امتحان.

وهذا اعتقاد خاطئ، فالمؤمن مبتلى بالامتحانات الالهية.

ولكن يبقى السؤال: لماذا يمتحن الله عباده وهو أقرب إليهم من حبل الوريد؟

فإذا كان بهذا القرب منهم فالمفروض انه لا يمتحنهم لأنه يعلم ايمانهم؟

والجواب: إن الله تعالى عندما يمتحن عباده ليس من أجل أن يتبين ايمانهم او يعلمه هو، وانما لكي يكشف حقيقة ايمانهم للآخرين من خلال إظهار ما يبطنونه ويكتمونه في داخلهم.

وهذا ما وقع به بنو اسرائيل عندما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه وعبدوا العجل، فأصل عبادتهم للعجل كانت نتيجة اتباعهم للسامري، لكن الله تعالى امتحنهم بأن جعل للعجل خواراً (صوتاً)، حيث ان العجل كان مصنوعاً من الذهب ولا روح فيه فكان المفروض أن لا يخرج منه صوت، ولكن الله اخرج لهم صوت العجل لكي يزيد الامتحان عليهم.

ثم اوحى الله إلى موسى عليه السلام: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (طه: ٨٥) وعبدوا العجل وله خوار. فقال موسى عليه السلام: يا رب العجل من السامري، فالخوار ممن؟ فقال: (مني –

يا موسى – إني لمّا رايتهم قد ولّوا عني إلى العجل احببت ان ازيدهم فتنة) [1].

اقول:

نفس هذا الامتحان ستمر به امة النبي محمد ﷺ عندما يظهر الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ويخرج الرجلين من قبريهما ويصلبهما على شجرة يابسة فتورق فيرتد المبطلون من اهل الولاية.

٣- يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

بيّنا سابقا بأن هذه الآية من الآيات التي احتج بها القرآن الكريم على المنكرين للمعاد، وبين بأن الخلق لم يخلقوا عبثا وانما خُلقوا لغاية وهي الرجوع إلى الله تعالى في يوم القيامة ليحاسبهم على اعمالهم في الدنيا.

ولكن الرجوع إلى الله تعالى بأي بمعنى يكون؟ هل هو رجوع بالذهاب والعودة؟

فإذا كان كذلك فهو امر غير معقول، لان الله تعالى لا يخلو منه زمان ولا مكان فهو من أيّن ألاين وهو ومن اوجد الزمان.

ومن هنا فقد اختلفت اراء المفسرين في هذا الامر.

فمنهم من قال: الرجوع إلى الله تعالى يعني رجوع لنيل الجزاء فيدخل اهل الجنة الجنة، ويدخل اهل النار النار.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٥، ص١٨٢، ح١.

والبعض الاخر فسر الرجوع بالتسليم لأمر الله تعالى، وشبّه ذلك بمراحل خلق الانسان، فالإنسان وهو في بطن امه كان مسلّماً امره كله لله تعالى، بحيث لا حول له ولا قوة له إلا بالله العلي العظيم، ولكنه عندما يخرج إلى الدنيا يصبح اعتماده على ابويه، وعندما يكبر قليلا يصير اعتماده على نفسه، وهو بذلك ابتعد عن الله.

ولكن عندما يموت يعود مرة اخرى بلا حول له ولا قوة، فإنه يعود مرة اخرى ويسلّم امره لله تعالى كما كان اولا في بطن امه، ولذلك فالمشترك بين رحم الام وبين رحم الارض هو تسليم امر الانسان لله تعالى

وعندما بحثنا عن الرجوع في ثقافة القرآن الكريم وجدنا:

الرجوع في ثقافة القرآن الكريم:

الرجوع: يعرف على انه الارتداد والانصراف.

محاور الرجوع في القرآن الكريم:

المحور الاول: محور الخلقة.

١- يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٣-٤).

الآية تتحدث عن ارجاع البصر إلى السماء ولكن ارجاع البصر هنا جاء بمرات متعددة وليس مرة واحدة، وهذا يدل على ان الله تعالى يدعو الانسان إلى النظر بتأمل وتدبر في السماء وعظمتها، ومن خلال ذلك يعرف عظمة خالقها.

٢- يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ (الطارق: ١١).

رب العزة في هذه الآية الكريمة يقسم بأن السماء ذات رجع، ولكن ما معنى بأن تكون السماء ذات رجع؟

الجواب: الآية الكريمة توضح حقيقة علمية مهمة وهي: كيفية نزول المطر، فبخار الماء الحار المتصاعد من البحار يصطدم بالسحب الباردة في السماء فتتكون الامطار وتنزل على الارض وبذلك تكون السماء تأخذ الماء من البحار وترجعه إلى الارض مرة اخرى.

المحور الثاني: محور القصة.

يقول تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ...﴾ (طه: ٤٠).

وقصة رجوع النبي موسى عليه السلام إلى أمه مشهورة.

المحور الثالث: محور السيرة النبوية.

يقول تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (ال عمران: ٧٢).

توضح الآية المخطط الخطير الذي كان يقوم به اهل الكتاب (كاليهود) في المدينة في زمن النبي صلى الله عليه وآله حيث كانوا يتآمرون على الاسلام من خلال تحريض بعضهم البعض بالدخول في الاسلام اول النهار (الصباح) والخروج منه اخره (الليل) والهدف من ذلك زعزعة المسلمين وتشكيكهم في دينهم[1].

---

(١) اقول:⇐

المحور الرابع: محور التشريع.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ...﴾ (الممتحنة: ١٠).

المحور الخامس: المعاد (الرجوع إلى الله تعالى).

ولهذا المحور تفرعات عديدة، منها:

١- رجوع العباد، يقول تعالى: ﴿...ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة:٢٨). يقول تعالى: ﴿...إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ (البقرة: ١٥٦).

٢- رجوع الامر، يقول تعالى: ﴿...وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ...﴾ (هود:١٢٣).

وهناك العديد من الروايات التي أوضحت كيف يرجع الامر إلى الله تعالى، نذكر منها:

أ- ﴿عن ابي المغرا، قال: حدثني يعقوب الاحمر، قال: دخلنا على ابي عبد الله عليه السلام نعزيه بإسماعيل فترحم عليه، ثم قال: ان الله عز وجل نعى إلى نبيه نفسه، فقال: (إنك ميت وانهم ميتون) (الزمر: ٣٠) وقال: (كل نفس ذائقة الموت) (ال عمران: ١٨٥) ثم أنشأ يحدث فقال: انه يموت اهل الارض، حتى لا يبقى أحد ثم يموت اهل السماء حتى لا يبقى احد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، قال:

⇐هذه كانت مخططاتهم في ذلك الزمان مع عدم وجود هذا التطور التكنولوجي الذي وصلنا اليه في وقتنا الحاضر وافتقارهم لأجهزة المخابرات، فكيف يصنعون الان وما هي مخططاتهم لضرب الاسلام؟ ولذلك فعلى المسلمين ان يكونوا في حالة يقظة وحذر شديدين.

فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله ﷻ فيقول له: من بقي؟ - وهو اعلم - فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، فيقال له: قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا، فتقول الملائكة عند ذلك: يا رب رسوليك وامينيك! فيقول: اين قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت، ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله ﷻ فيقال له: من بقي؟ - وهو اعلم - فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش فيقول: قل لحملة العرش: فليموتوا، قال: ثم يجيء مكتئبا حزينا لا يرفع رأسه، فيقول من بقي؟ فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت، ثم يأخذ الارض بيمينه (أي بقدرته اطلاق اليمين على الله مجاز في الموضعين)[1] والسماوات بيمينه ويقول: اين الذين كانوا يدعون معي شريكا؟ اين الذين كانوا يجعلون معي الها اخر؟﴾[2].

ب- ﴿عن أبي بصير، قال: لا اعلمه إلا عن ابي جعفر عليه السلام قال: إذا دخل اهل الجنة، الجنة واهل النار، النار جيء بالموت في صورة كبش، حتى يوقف بين الجنة والنار ثم ينادي مناد: يا اهلا الجنة يا اهل النار، فإذا سمعوا الصوت اقبلوا، قال: فيقال لهم: أتدرون ما هذا؟ هذا هو الموت الذي كنتم تخافون منه في الدنيا، قال: فيقول اهل الجنة: اللهم لا تدخل الموت علينا، قال: ويقول اهل النار: اللهم ادخل الموت علينا، قال: ثم يذبح كما تذبح الشاة، قال: ثم ينادي مناد: لا موت ابدا ايقنوا بالخلود، قال: فيفرح اهل الجنة فرحا لو كان احد

(١) نفس المصدر المذكور حاشية الكتاب.

(٢) الفصول المهمة في اصول الائمة: ج١، ص٢٦٩.

يومئذ يموت من فرح، لماتوا قال ثم قرأ هذه الآية (أفما نحن بميتين، إلا موتتنا الاولى ومت نحن بمعذبين، ان هذا لهو الفوز العظيم، لمثل هذا فليعمل العاملون) (الصافات: ٥٨-٦١). قال: ويشهق اهل النار شهقة لو كان احد يموت من شهيق، لماتوا وهو قوله تعالى: (وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر) (مريم: ٣٩)﴾[1].

أقول:

ولعل زمن الرواية الثانية يكون بعد الرواية الاولى، أي إن الرواية الاولى تكون قبل الحساب (حيث يسلب الله تعالى الحياة من كل المخلوقات ثم يرجع إليهم بعد ذلك الحياة ليحاسبهم) والثانية بعد الحساب (حيث يذبح الموت وتستمر الحياة بالخلود)، وذلك اليوم (الذي يذبح فيه الموت) يكون من أسعد الأيام على المؤمنين واكثرها حزنا وألماً على الكافرين.

٣- رجوع الكافرين، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٦٨).

الآية توضح أن الكافرين يرجعون إلى النار، ولكن هل معنى هذا أن الكافرين كانوا في النار ثم يرجعون اليها مرة اخرى؟

الجواب: نعم؛ انهم في الدنيا يعيشون في النار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠)، ولكنهم في الدنيا لا يشعرون بهذه

(١) الفصول المهمة في اصول الائمة: ج١، ص٣٤٦-٣٤٧.

النار، لأنهم يعيشون في غفلة وبعد موتهم ينتقلون من نار الدنيا إلى نار الاخرة.

٤- رجوع القول بين الكافرين

يقول تعالى: ﴿...وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ...﴾ (سبأ: ٣١).

٥- الرجوع قسراً:

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ...﴾ (الحديد: ١٣).

القسم الثاني: ظنّ حسي.

يقول تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ (النمل:٤٤).

إن الآية تتحدث عن بلقيس ملكة سبأ، عندما دخلت إلى قصر سليمان عليه السلام، حيث يبين القرآن الكريم أنها حسبت (ظنت) انه ماء، ولذلك يقول تعالى: (وكشفت عن ساقيها) لشدة شفافيته وصفائه، ولكنه ليس كما ظنت، بل هو: (صرح ممرد من قوارير)، وهو المورد الوحيد في القرآن الكريم لبيان هذا النوع من الحسبان (الظنّ).

المحور الثاني: الكفاية.

يقول تعالى: ﴿...وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الاحزاب: ٣٩).

المحور الثالث: الصاعقة (العذاب).

يقول تعالى: ﴿...وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ (الكهف: ٤٠).

المحور الرابع: الحساب (المحاسبة).

والحساب بمعنى المحاسبة استخدم في القرآن الكريم مرة في الدنيا وهو قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا...﴾ (الطلاق: ٨)، اما في الاخرة فهو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٧-٨).(١)

الموطن الرابع: سرعة الحساب في يوم القيامة.

نحن نعلم ان الحساب يشمل جميع مخلوقات الله تعالى، وليس لفئة معينة من الناس دون غيرهم. وبذلك يكون الحساب جماعياً وفردياً، فهو جماعي حيث تجتمع جميع المخلوقات على صعيد واحد وفي آن واحد للمحاسبة، وهو فردي حيث يحاسب كل فرد على اعماله.

ولعل البعض يقول: كيف يمكن أن يحدث ذلك؟

فنجيبه: نعم، نحن البشر بتصورنا وفهمنا المحدودين لا يمكننا فهم ذلك او تصوره، ولكن نحن نتكلم عن الله القادر على كل شيء، فذو القدرة المطلقة قادر على جمع كل تلك المليارات من البشر، وحتى بقية المخلوقات الاخرى ليحاسبها في وقت واحد وفي مكان واحد.

---

(١)التفاتة: ما هو الفرق بين القرية والمدينة في القرآن الكريم؟ حيث نجد القرآن الكريم مرة يصفها قرية ومرة اخرى يصفها مدينة؟

انقسمت اراء المفسرين في التفريق بين التسميتين:

الرأي الاول: بعض المفسرين ارجع السبب في التسمية إلى ايمان المنطقة وكفرها فقال: ان المنطقة إذا كانت مؤمنة بالله تعالى فهي مدينة حتى وان كانت قرية صغيرة، وإذا لم تؤمن بالله فهي قرية حتى وان كانت تلك المنطقة بحجم قارة.

الرأي الثاني: البعض الاخر من المفسرين قال: بأن تسمية المدينة يطلق على كل منطقة كبيرة والقرية اسم يطلق على كل منطقة صغيرة ولا علاقة له بإيمان المنطقة او كفرها.

ولذلك عبر القرآن الكريم عن الله تعالى بأنه ﴿...سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (ابراهيم: ٥١) بل قال ﴿...أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الانعام:٦٢).

وقد يقول البعض: إن سرعة الحساب ناظرة لحساب المؤمن، فالمؤمن أعماله السيئة قد حُوسب عليها قبل الموت وفي القبر والبرزخ؟

فيُجاب: لا؛ لأننا عندما استقرأنا آيات القرآن الكريم وجدنا القرآن الكريم يعبر بسريع الحساب مع المؤمن وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (ال عمران:١٩٩)،

ومع الكافر ايضا حيث يقول تعالى: ﴿...وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (ال عمران: ١٩)

وبذلك نستنتج ان سرعة الحساب غير ناظرة إلى حساب المؤمن او إلى حساب الكافر وانما الحساب بصورة عامة سيكون سريعا بشكل عام ويشمل جميع الخلائق، وقد يُقال: إن سرعته تأتي من حيث انه جماعي.

ويبقى الكلام في يسر الحساب وشدته، وهنا سيكون الاختلاف بين المؤمن والكافر، فالحساب سيكون سهلا يسيرا على المؤمن ويكون عسيرا شديدا على الكافر.

وقد طرح على ائمتنا عليهم السلام السؤال عن أنه كيف يمكن لله ان يحاسب كل الخلائق على كثرتها، فقالوا التالي:

﴿عن امير المؤمنين عليه السلام انه سئل كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم، قيل فكيف يحاسبهم ولا يرونه؟ قال: كما يرزقهم ولا يرونه﴾[1].

أقول:

وقد ورد في الاثر أنه لا يعرف ما هناك إلا بما هنا، فمن خلال الرواية الشريفة اعلاه وضح الامام عليه السلام كيفية الحساب في الاخرة بكيفية الرزق في الدنيا، وكذلك الحال مع بقية نعم الجنة عندما اراد ائمتنا عليهم السلام تبيانها، فإنهم بينوها بعدة طرق ومنها هذه الطريقة.

﴿سأل الزنديق ابا عبد الله عليه السلام فقال: من اين قالوا: ان اهل الجنة يأتي الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها فإذا اكلها عادت كهيئتها، قال: نعم، ذلك على مقياس السراج يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينقص من ضوئه شيء وقد امتلأت الدنيا سرجا﴾[2].[3]

---

(١) الفصول المهمة في اصول الائمة: ج١، ص٣٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٨، ص١٣٦، ح٤٨.

(٣)التفاتة: ذكرت الرواية اعلاه ان السراج كلما اخذ من نوره لا ينقص، ومن هنا يمكننا ان نلتفت إلى نكتة قرآنية مهمة وهي ان القرآن الكريم وصف النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله بأنه سراج وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الاحزاب: ٤٥-٤٦) وفي ذات الوقت وصف القرآن الشمس بأنها سراج ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (النبأ: ١٣)، وكذلك ورد في دعاء الندبة المروي في حق الامام المهدي (عجل الله فرجه) قوله (السلام عليك يا بن السرج المضيئة)[3]، تتضح لنا هذه النكتة القرآنية المهمة من خلال معرفة النقاط:

١- نور الشمس لا نستطيع ان نُجزّأه ونأخذ منه ونستفيد منه، بينما نور السراج يؤخذ منه ويجزّأ.

٢- السراج عندما يؤخذ من نوره لا ينقص، وكذلك الحال مع نور النبي المصطفى صلى الله عليه وآله.

٣- نور السراج عندما يضيء يعطي ضوءه لكل الجهات، كذلك نوره صلى الله عليه وآله.⇦

السرعة في ثقافة القرآن الكريم:

السرعة: تعرّف على انها خلاف البطؤ.

الاستعمال القرآني لمفردة السرعة:

استعمل القرآن الكريم مفردة السرعة في الدنيا وكذلك استعملها في الاخرة:

أولاً: السرعة الدنيوية: ولها حيثيتان.

الاولى (ايجابية): وهي المسارعة في الايمان.

يقول تعالى: ﴿...يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ...﴾ (ال عمران: ١٤٤).

وقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ (ال عمران:١٣٣).

الثانية (سلبية): وهي المسارعة في الكفر.

يقول تعالى: ﴿...يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ (المائدة: ٦٢).

وقو له تعالى: ﴿...يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ...﴾ (المائدة: ٤١).

⇨٤- السراج يوقد ليلا، ومن هنا نفهم معنى قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى...) (الاسراء: ١).

نعم، ورد في بعض الروايات الشريفة تأويل الشمس بالنبي الأكرم ﷺ، فقد روي عن سهل ، عن محمد ، عن أبيه ﴿ عن أبي محمد ﴾ ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : " والشمس وضحيها " قال : الشمس رسول الله ﷺ به أوضح الله عز وجل للناس دينهم ، قال : قلت : " القمر إذا تليها " ؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام تلا رسول الله ﷺ ونفثه بالعلم نفثا ، قال: قلت: " والليل إذا يغشيها " ؟ قال : ذاك أئمة الجور الذين استبدوا بالأمر دون آل الرسول ﷺ وجلسوا مجلسا كان آل الرسول أولى به منهم فغشوا دين الله بالظلم والجور فحكى الله فعلهم فقال : " والليل إذا يغشيها " : قال : قلت : " والنهار إذا جليها " ؟ قال : ذلك الامام من ذرية فاطمة عليها السلام يسأل عن دين رسول الله ﷺ فيجليه لمن سأله فحكى الله عز وجل قوله فقال : " والنهار إذا جليها " . ﴿الكافي - الشيخ الكليني - ج ٨ - ص ٥٠﴾

التفاتتان:

الالتفاتة (١):

ما الفرق بين قوله تعالى: (يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) وقوله تعالى: (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)؟

الجواب: في قوله تعالى: (يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) أي ان هؤلاء المقصودين في الآية هم من اهل الخيرات أي في بيت الخيرات – ان صح القول – ولكنهم يتسارعون لنيل اعلى الدرجات، اما قوله تعالى: (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) هم ليسوا من اهل المغفرة ولكنهم يتسارعون لنيل المغفرة، كما هو الفرق بين انسان على ابواب الشفاء ولكنه يستمر في اخذ العلاج ويتحرز من بعض الامور لنيل اعلى درجات الشفاء، وبين انسان ما يزال في مرضه ولكنه مستمر في اخذ العلاج ليصل إلى مرحلة الشفاء، وهذا في الجانب الايجابي، وكذلك الحال نفسه في الجانبي السلبي، فالذين يسارعون في الكفر هم من اهل الكفر، ولكنهم يسارعون للوصول إلى اخر دركات الكفر والعياذ بالله.

والقرآن الكريم لا يشير إلى الكافرين فقط وانما يشير إلى المنافقين ايضا حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ...، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ...﴾ (المائدة: ٥١-٥٢)، الآية في بدايتها تتحدث عن تحذير المؤمنين من تولي اليهود والنصارى ومن يتولهم من المؤمنين فانه سيكون منهم بعد ذلك تنتقل الآية وتتحدث عن المنافقين وعبرت عنهم بـ (في قلوبهم مرض) وتبين

ان هؤلاء المنافقين في اصل حقيقتهم انهم من اليهود والنصارى حيث قالت الآية (يسارعون فيهم) وهم يتسارعون للوصول إلى اخر مراحل اليهودية والنصرانية، ولو قالت الآية يسارعون اليهم لقلنا انهم خارج الجسم اليهودي والنصراني ولكنهم يتسارعون للوصول لليهود والنصارى، ومن هنا تتضح لنا أهمية الحذر من المنافقين وشدة عدائهم للإسلام. وهذه من الالتفاتات القرآنية المهمة التي ينبغي الالتفات اليها.

الالتفاتة (٢):

يمكن ان نقسم المسارعة إلى مادية ومعنوية.

المسارعة المادية:

هي كمسارعة المنافقين في اليهود والنصارى حيث تأتي من مخالطتهم ومجالستهم وهو بيان قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ (البقرة: ١٤).

المسارعة المعنوية:

وهي كالمسارعة في غفران الذنوب.

ثانياً: السرعة الاخروية:

وتشمل التالي:

١- المسارعة في غفران الذنوب.

يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾.

٢- مسارعة الحساب.

يقول تعالى: ﴿...وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الانعام: ٦٢).

الفرق بين المحكمة الدنيوية والمحكمة الأخروية.

من خلال معرفة الفوارق بين المحكمتين سنعرف لماذا يكون الحساب سريعا.

ويمكن أن نجد عدة فروق في ذلك، نذكر منها التالي:

الفرق الاول:

في المحكمة الدنيوية نجد هناك بعض القضايا تأخذ وقتا طويلا كي يتم الحسم فيها فبعضها يستمر لأشهر وبعضها يستمر لسنين طويلة، ونجد ان البعض منها يكون لإفراد ولكن بالرغم من ذلك تحتاج وقتا طويلا حتى يتم حسم امرها وهذا انما ينم عن القدرة المحدودة والعلم المحدود للمحاكم الدنيوية.

اما المحكمة الاخروية فلا نجد فيها مثل هذه الامور حيث تجتمع مليارات البشر في يوم واحد وعلى صعيد واحد والكل يخضع للحساب ويحسم امرهم جميعا.

الفرق الثاني:

احضار الملفات في المحكمة الدنيوية يحتاج إلى وقت طويل، بينما في المحكمة الاخروية الملفات تكون جاهزة وحاضرة ولا تأخذ وقتا طويلا وسنبين ذلك لاحقا.

الفرق الثالث:

في المحكمة الدنيوية المتهم لا يعترف بذنبه بسهولة حتى وان ثبتت عليه التهمة بالأدلة فإنه يبقى يحاول الانكار، بينما في المحكمة الاخروية الانسان يعترف بذنبه بسهولة لقوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ...﴾ (الملك: ١١) ولعله سرعة اعتراف الانسان على نفسه تأتي من خلال

قوة الشهود الشاهدة عليه كنفسه وجلده وغيرها ممن سنأتي على بيانها لاحقا ان شاء الله تعالى.

الفرق الرابع:

في المحكمة الدنيوية القضاة لا يعلمون بتفاصيل القضية ولا يعرفون صدق المدعي من المدعى عليه فيحتاجون للأدلة والبراهين التي من خلالها يتوصلون إلى الحقيقة وعليه يطلقون الاحكام، اما في المحكمة الاخروية القاضي هو قاضي القضاة وهو احكم الحاكمين وهو الله تعالى فالأمور كلها منكشفة له ولا تخفى عليه خافية صغيرة كانت او كبيرة.

الفرق الخامس:

العذاب في محكمة الدنيا يكون خارجياً عن طريق تعذيب المجرمين بأدوات التعذيب الخارجية، اما محكمة الاخرة فيكون عذابها داخليا وخارجياً.

وقد تفنّن القرآن الكريم في تبيان كيف ان الله تعالى لا تخفى عليه خافية في السماوات او في الارض صغيرة كانت او كبيرة ومن المواد التي استخدمها القرآن الكريم لتبيان ذلك الامر هي مادة ذرر.

الذر في ثقافة القرآن الكريم:

الذر: يعرّف على انه كل ما تبدد وتفرق (كقولنا ذرّ زيد الرمل بأصبعه - أي فرقه -).

الاستعمال القرآني لمفردة الذر:

استعمل القرآن الكريم هذه المفردة في محورين:

الاول: الذرية.

ونذكر بعض النماذج لذلك:

١- ذرية آدم عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى...﴾ (الاعراف: ٧٢).

انقسمت اراء المفسرين حول كيفية اخذ العهد بالإقرار له بالربوبية من بني آدم، فهناك رأيان يوضحان هذا الامر:

الرأي الاول:

ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من ظهره في عالم الذر على شكل ذرات صغيرة ونثرها في الهواء ثم خاطبها (ألست بربكم) فأجابت بقول (بلى) ثم ارجعها إلى ظهره مرة اخرى، ويستندون في رأيهم هذا على بعض الروايات الواردة عن اهل البيت عليهم السلام.

أ- ﴿عن ابي جعفر عليه السلام قال: ان الله عز وجل خلق الخلق إلى ان قال: ثم بعثهم في الظلال فقلت: واي شيء الظلال؟ فقال: ألم تر إلى ظلم في الشمس شيئا وليس بشيء، ثم بعث منهم النبيين فدعوهم إلى الاقرار بالله عز وجل وهو قوله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾ (الزخرف: ٨٧). ثم دعوهم إلى الاقرار بالنبيين، فأقر بعضهم وانكر بعض، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من احب وانكرها من ابغض وهو قوله: ﴿...فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ...﴾ (يونس: ٧٤)، ثم قال ابو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثمّ﴾[1].

(١) الفصول المهمة في اصول الائمة: ج١، ص٣٩٦.

وقد قلنا سابقا انه ورد في الاثر لا يعرف ما هناك إلا بمعرفة ما هنا، ومن خلال الرواية الشريفة رأينا كيف شبه الامام عالم الظلال بظل الانسان في الشمس، للتوضيح أكثر نرى هذا التشبيه الاخر والرائع للإمام عليه السلام.

﴿عن حفص بن غياث قال: شهدت المسجد الحرام وابن ابي العوجاء يسأل ابا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿...كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ...﴾ (النساء: ٥٦) ما ذنب الغير؟ قال: ويحك هي، هي وهي غيرها فقال: مثّل لي ذلك شيئا من امر الدنيا، قال: نعم، أرأيت لو ان رجلا اخذ لبنة (جرة) فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي، هي وهي غيرها﴾(١).

ولعل البعض يسأل كيف نطقت تلك الذرات الصغيرة وكيف اجابت؟ وقد طرح مثل هذا السؤال على ائمتنا عليهم السلام فأجابوا بما روي:

﴿عن ابي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف اجابوه وهم ذر؟ قال: (جعل فيهم ما إذا سألهم اجابوه (يعني في الميثاق))﴾(٢).

اقول:

نحن نتكلم عن الله القادر على كل شيء فالذي يجعل الجلد ينطق والذي خلق هذه الذرات الصغيرة التي لا تكاد ترى إلا من خلال المكبرات وجعل لآدم عليه السلام القابلية لحملها، قادر على ان يخلق لها ما يجعلها تفهم وتجيب من خلاله.

---

(١) بحار الأنوار: ج٧، ص٣٨، ح ٦.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج٣، ص٢٤٢، ح٢١.

وهذا الرأي لا نتبناه نحن فقط وانما حتى في تفاسير غيرنا فهو موجود:

﴿اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم واللالكائي في السنة عن ابن عباس في قول (واذ اخذ ربك)، قال: ان الله خلق آدم ثم اخرج ذريته من صلبه مثل الذر، فقال لهم: من ربكم؟ فقالوا: الله ربنا. ثم اعادهم في صلبه حتى يولد كل من اخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى ان تقوم الساعة﴾[1].

الرأي الثاني:

إن الآية تتحدث عن الفطرة التي جعلها الله تعالى في كل انسان وهذه الفطرة السليمة هي التي تدل الانسان على ان له خالقاً وهو الله تعالى، أي ان الآية تتحدث عن عالم الدنيا ولا ربط لها بعالم الذر.

اقول:

من المفسرين الذين تبنوا هذا الرأي هو الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره[2] حيث يقول الشيخ بعد ان يبين الرأيين في تفسير هذه الآية:

﴿غير اننا إذا اخذنا التفسير الثاني، فلا يرد عليه أي اشكال مما سبق (يبين الشيخ هذه الاشكالات بالتفصيل – راجع المصدر –) لأن السؤال والجواب او العهد المذكور – عهد فطري – وما يزال كل منا يحس بآثاره في اعماق روحه، وكما يعبر عنه علماء النفس بـ(الشعور الديني) الذي هو من الاحساسات الاصيلة في العقل الباطني للإنسان.

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور - السيوطي.

(٢) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٥، ص٢٩٠.

وهذا الاحساس يقود الانسان على امتداد التاريخ البشري إلى (طريق معرفة الله) ومع وجود هذا الاحساس او الفطرة لا يمكن التذرع بأن اباءنا كانوا عبدة الاصنام ونحن على اثارهم مقتدون)﴾.

٢- ذرية ابراهيم عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤).

يقول تعال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي...﴾ (ابراهيم: ٤٠).

٣- ذرية الشيطان:

يقول تعالى: ﴿...أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء..﴾. (الكهف: ٥٠).

الثاني: الذر.

وله ثلاثة اقسام:

القسم الاول: الذر والاصنام.

في هذا القسم يبين الله تعالى ان الاصنام لا تستطيع ان تدفع ضرراً او تعطي الخير لأتباعها وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾ (سبأ: ٢٢).

ولعل البعض يسأل: هل باقي المخلوقات كعالم المادة او النباتات او الحيوانات او حتى الاصنام تحشر كما يحشر الانسان؟

والجواب: نعم؛ وهو ما ذكره القرآن الكريم في آيات عديدة، والآيات هي:

١- عالم المادة. يقول تعالى: ﴿...الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى: ٥٣).

٢- الاصنام. يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النحل: ٢٠-٢١).

٣- الخلق. يقول تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ...﴾ (النمل:٦٤).

٤- الجنّ. يقول تعالى: ﴿...وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (الصافات:١٥٨).

٥- الحيوانات. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير:٥).

ويقول تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الانعام: ٣٨).

التفاتة:

لو دققنا النظر جيدا في نهايات الآيات الشريفة التي تتحدث عن المعاد لوجدنا ان القرآن الكريم يطلق تسميات مختلفة على ذلك اليوم، وهذا من باب بيان اهمية ذلك اليوم من جهة، ولنعرف ان لكل اسم من هذه التسميات حيثية ومعنى مختصين بها من جهة اخرى، فمثلا احد التسميات التي يسمي بها القرآن الكريم المعاد هي تسمية البروز لقوله تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (ابراهيم: ٤٨).

والبروز في اللغة العربية يعرّف على انه ظهور بعد خفاء.
وهنا سؤال: لماذا سمى القرآن يوم القيامة بالبروز؟
هل ان الخلق اختفوا لحظة عن الله تعالى حتى يظهرون؟
وهنا ثلاثة آراء فسرت هذه الآية سنعرف من خلالها معنى البروز:

الرأي الاول:

بعض المفسرين ارجع السبب إلى ان الناس في الدنيا عندما يرتكبون المعاصي لا يرتكبونها علنا وانما يرتكبونها في الخفاء ظنا منهم ان الله تعالى غير مطلع عليهم، وعندما يموتون ويرجعون إلى الله يعرفون ان الله تعالى كان مطلعاً على أعمالهم ويراها جميعها، وبعبارة اخرى: برزت لهم اعمالهم بعدما كانوا يحاولون اخفاءها.

الرأي الثاني:

البعض الاخر من المفسرين قال: هو بروز الموتى من قبورهم، فالقبر يخفي الموتى أي يشكل حاجزاً دونهم، فإذا نودي بهم للحساب برزوا من قبورهم.

الرأي الثالث:

علماء هذا الرأي قالوا: إن الامر لا يرتبط بالموتى او بالذنوب وانما هو مرتبط بالروح وخروجها من الجسم، فالجسم يشكل حاجزاً على الروح، فإذا مات الانسان خرجت روحه من جسده أي برزت.

اقول:

اذا كان المقصود من هذا الرأي هو ان الذي يحشر هي روح الانسان دون جسمه، فهذا الرأي غير مقبول لان الحشر يشمل الروح والبدن (الجسم).

اما إذا كان المقصود منه هو خروج الروح من الجسم بعد الموت، فيكون الرأي مقبولاً ولا مانع من قبوله.

وهناك نظريتان تفسران موت الانسان:

النظرية الاولى:

إن الروح هي التي تفارق الجسم، فكلنا يعلم ان جسم الانسان في حالة نمو مستمر ولكن عندما يصل إلى مرحلة من النمو والكبر لا يستطيع ان يتجاوزها تفارق الروح الجسم بالموت.

النظرية الثانية:

هذه النظرية ترى ان الجسم هو الذي يترك الروح لان الروح هي التي تكبر وليس الجسم، فإذا وصلت إلى مرحلة معينة من الكبر لا يستطيع الجسم ان يتحملها، حينئذ يفارق الجسم الروح بالموت.

بعد أن عرفنا ان كل شيء سيحشر يأتي السؤال هنا: ماذا يكون بعد الحشر؟ هل ستحاسب باقي المخلوقات؟ وهل سيكون حسابها كحساب الانسان؟

الجواب:

اما بالنسبة لحسابها فبالتأكيد ستحاسب وإلا لِمَ كان حشرها، أي إذا حشرت ولم تحاسب فسيكون حشرها عندئذ عبثا والله تعالى منزه عن العبثية.

واما بالنسبة لكيفية حسابها؟ فإنه سيحاسبها الله تعالى بما يلائمها.

وهذا ليس على مستوى باقي المخلوقات فقط، وانما حتى على مستوى الانسان، فالله تعالى يحاسب الناس على قدر عقولهم أي كل انسان يحاسبه الله تعالى بما يلائمه، وهذا ما اكدته الروايات الشريفة

﴿عن ابي الجارود، عن ابي جعفر عليه السلام، قال: انما يداقّ الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما اتاهم من العقول في الدنيا﴾[1].

وإذا كان الله تعالى يفرق بين حساب البشر كل حسب عقله، فبالتأكيد يحاسب باقي المخلوقات بما يلائمها.

القسم الثاني: الذر والاعمال.

يقول تعال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧-٨).

فهذه الآية تشير إلى أن الأعمال لو كانت بمقدار الذر، فإن الإنسان سيراها وسيرى نتائجها وسيحاسب عليها، وهذه إشارة واضحة إلى أن الله تعالى سوف لن يغادر صغيرة ولا كبيرة من أعمال الإنسان إلا وسيريها للعامل بها.

القسم الثالث: الذر وعلم الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿...لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٣).

وهذا ما أردنا توضيحه من ان الله تعالى لا تخفى عليه خافية ولو كانت صغيرة بمقدار ذرة، ولهذا سيعترف الانسان بذنبه بسرعة وسيكون الحساب سريعا.

---

(١) الكافي: ج١، ص١١، ح٧.

أوجه التشابه بين محكمة الوجدان والضمير (الدنيوية) وبين المحكمة الأخروية:

بعد ان بيّنا الفرق بين المحكمة الدنيوية وبين المحكمة الأخروية، وجدنا هناك محكمة دنيوية اخرى تحكم الانسان، ولكن هذه المحكمة الدنيوية تختلف عن بقية المحاكم الدنيوية الرسمية التي يذهب اليها الانسان في الدنيا، لان هذه المحكمة تحكم الانسان من الداخل وليس من الخارج، وهذه المحكمة هي محكمة الوجدان والضمير، والتي عبر عنها القرآن الكريم بالنفس اللوامة ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢)،

وهذه المحكمة تشابه المحكمة الاخروية في العديد من الامور سنورد وجهين منها:

الوجه الاول:

في المحكمة الاخروية الشاهد والقاضي والمجزي (المعذّب) واحد، وهو الله تبارك وتعالى، كذلك الحال مع محكمة الضمير والوجدان فهي تكون الشاهد والقاضي والمعذب على الانسان، ولذلك سماها القرآن الكريم بالنفس اللوامة.

الوجه الثاني:

المحكمة الاخروية عذابها يبدأ من الداخل (كما بيّنا سابقا) ومحكمة الوجدان والضمير ايضا عذابها يبدأ من داخل الانسان.

الموطن الخامس: طرق الحساب في يوم القيامة.

تنقسم طرق الحساب في يوم القيامة إلى بابين:

الباب الاول: الذين يحاسبون يوم القيامة، وهم على قسمين.

القسم الاول: اصحاب الحساب اليسير.

يقول تعال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق: ٧-٩).

عن ابي بصير، عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: (قوله تعالى: (فأما من أوتي كتابه بيمينه، فسوف يحاسب حسابا يسيرا، وينقلب إلى اهله مسرورا) هو علي وشيعته يؤتون كتبهم بأيمانهم)﴾[١].

عن القاسم بن محمد، عن علي، قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام، يقول: (ان الله تبارك وتعالى إذا اراد ان يحاسب المؤمن اعطاه كتابه بيمينه، وحاسبه فيما بينه وبينه، فيقول: عبدي فعلت كذا وكذا، وعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم يا رب، قد فعلت ذلك. فيقول: قد غفرتها لك وابدلتها حسنات. فيقول الناس: سبحان الله اما كان لهذا لعبد ولا سيئة واحدة! وهو قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾. قلت: أي اهل؟ قال: (اهله في الدنيا هم اهله في الجنة، إذا كانوا مؤمنين)، وإذا الله بعبد شرا حاسبه على رؤوس الناس وبكّته، واعطاه كتابه بشماله، وهو قوله عز وجل: ﴿وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ،

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٨، ص٢٤٦ ح٥.

وَيَصْلَى سَعِيرًا ، إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق: ١٠-١٣)، قلت: أي اهل؟ قال: (اهله في الدنيا)﴾[1].

التفاتة:

نلاحظ ان القرآن الكريم قد ذكر الأهل مرتين: مرة مع اصحاب اليمين ومرة مع اصحاب الشمال، ولكن الفرق في الذكرين ان اهل اصحاب اليمين ذكروا في الاخرة، اما اهل اصحاب الشمال فذُكروا في الدنيا، أي ان اصحاب اليمين يذهبون إلى اهلهم مسرورين في الاخرة، اما اصحاب الشمال فإنهم كانوا مسرورين في الدنيا مع اهلهم، وهذا يعني انهم كانوا في الدنيا مسرورين ولكن سرورهم لم يكن في المجال الصحيح حيث انهم كانوا يفرحون لحزن المؤمنين ويحزنون لفرحهم كما يعبر تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا...﴾ (البقرة: ١٢٠).

اما اصحاب اليمين فأنهم كانوا في الدنيا مشفقين من خوف الله كما يعبر الله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ ، قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (الطور: ٢٥-٢٦).

بالإضافة إلى انهم كانوا في الدنيا يفرحون في مجال الفرح الصحيح ويحزنون في مجال الحزن الصحيح

﴿قال الامام الصادق عليه السلام: رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا﴾[2].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٨، ص٢٤٦ ح٦.

(٢) شجرة طوبى: ج١، ص٣.

ولذلك فان اصحاب اليمين يكونون في الاخرة فرحين مع اهلهم، اما اصحاب الشمال فيكونون في حالة حزن في الاخرة لفرحهم بالمعاصي في الدنيا مع اهلهم.

فنستنتج من الآية الكريمة والرواية الشريفة ان المؤمن يكون مسروراً فرحاً في الاخرة، وللسرور ثقافة خاصة في القرآن الكريم.

السرور في ثقافة القرآن الكريم:

السرور: اصله في اللغة العربية من السر[1]، والسر هو بطن الوَادي.

الاستعمال القرآني لمفردة السر في القرآن الكريم:

استعمل القرآن الكريم هذه المفردة في اربعة استعمالات، وهي:

الاستعمال الاول: القصة.

ونورد لذلك مثالين من خلال الآيات الكريمة.

١- قصة نوح عليه السلام:

يقول تعالى: (...وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح: ٩).

وهي من الطرق التي استخدمها نبي الله نوح عليه السلام ليدعو قومه لعبادة الله الواحد الاحد.

٢- قصة يوسف عليه السلام:

يقول تعالى: ﴿...وَأَسَرُّوهُ (٢)بِضَاعَةً﴾ (يوسف: ١٩).

الاستعمال الثاني: التشريع.

---

(١) مادة سرر.

(٢) أسروه: بمعنى اخفوه.

ونذكر لذلك نموذجين من الآيات أيضاً:

١- الانفاق:

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً...﴾ (البقرة:٢٧٤).

الآية الكريمة توضح طريقتي الانفاق:

أ- الانفاق العلني:

وهذا النوع من الانفاق يكون ممدوحاً ويثاب عليه صاحبه إذا كانت نيته خالصة لله تعالى وكان ينوي من وراء ذلك القربة إلى الله تعالى وتشجيع الاخرين على الانفاق، وليس الرياء او مدح الناس، لأنه إذا انفق لأجل مدح الناس فان الله سيجازيه في الدنيا بمدح الناس له، ولا ثواب له في الاخرة.

ب- الانفاق سرا:

وهذا افضل من الانفاق العلني، كما جاء في الروايات الشريفة ﴿عن ابي عبد الله، عن ابيه (عليهما السلام) قال: قال رسول الله ﷺ: صدقة السر تطفئ غضب الرب﴾[1].

٢- المرأة المتوفى زوجها:

حيث جاء الأمر بعدم جواز مواعدتها سراً، يقول تعالى: ﴿...وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا....﴾ (البقرة: ٢٣٥).

الاستعمال الثالث: المعاد.

وقد استعمل القرآن مادة (سرر) في المعاد في عدة موارد منها:

---

(١) الكافي: ج٤، ص٧، ح١، باب فضل صدقة السر.

١- الإسرار:

يقول تعالى: ﴿...وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ...﴾ (يونس:٥٤).

أي اخفوا ندمهم ولم يظهروه.

٢- السرور:

يقول تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ (الانشقاق: ٩).

٣- السرير:

وقد ذكر القرآن الكريم أنواعاً للسرر في الجنة، نذكر منها:

أ- مصفوفة: وهي المصطفة والمتقابلة.

يقول تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ...﴾ (الطور: ٢٠).

ب- موضونة: وهي المنسوجة من الذهب.

يقول تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ (الواقعة: ١٥).

ج- مرفوعة: وهي المعلاة في الهواء.

يقول تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ (الغاشية: ١٣).

د- متقابلة: وهي سرر الاولياء.

يقول تعالى: ﴿...إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧).

الاستعمال الرابع: التوحيد.

يقول تعالى: ﴿...يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ...﴾ (البقرة: ٧٧).

وهذا ما بيناه سابقا في ثقافة الذر (الذر وعلم الله) وأن الله تعالى يعلم حتى ما يخفيه الانسان في داخله.

التفاتة:

ما هو الفرق بين السر والنجوى؟ وايهما اخفى: السر ام النجوى؟

النجوى (المناجاة): وهي تكون بالمشاورة بين اثنين.

والسر: هو ما يضمره الانسان في داخله ولا يعلم به أحد ممن حوله.

وكلاهما يعلم به الله تعالى، سواء ما كان بين اثنين كالمناجاة او ما يضمره الانسان في داخله كالسر، بل في مورد اخر يوضح القرآن الكريم ان الله تعالى يعلم ما هو اخفى من السر، وهي الخواطر التي تمر ببال الانسان وينساها بمرور الزمن وهو ما وضحته الروايات الشريفة ﴿روي عن السيدين الباقر والصادق (عليهما السلام): (السر ما اخفيته في نفسك، واخفى ما خطر ببالك ثم نسيته﴾[1].

وبعد أن بيّنا ما هو السرور وكيف يكون حساب اصحاب اليمين سهلا ويسيراً[2]، وكيف يكونون مسرورين وان الله تعالى يكرمهم بحسابهم فلا يحاسبهم على رؤوس الاشهاد وانما حسابهم يكون بينهم

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٥، ص١٦٤، ح٢.

(٢) عن القاسم بن محمد، عن علي، قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام، يقول: (ان الله تبارك وتعالى إذا اراد ان يحاسب المؤمن اعطاه كتابه بيمينه، وحاسبه فيما بينه وبينه، فيقول: عبدي فعلت كذا وكذا، وعملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم يا رب، قد فعلت ذلك. فيقول: قد غفرتها لك وابدلتها حسنات. فيقول الناس: سبحان الله اما كان لهذا لعبد ولا سيئة واحدة! وهو قوله ﷻ: (فأما من أوتي كتابه بيمينه، فسوف يحاسب حسابا يسيرا، وينقلب إلى اهله مسرورا). قلت: أي اهل؟ قال: (اهله في الدنيا هم اهله في الجنة، إذا كانوا مؤمنين)، وإذا الله بعبد شرا حاسبه على رؤوس الناس وبكّته، واعطاه كتابه بشماله، وهو قوله ﷻ: (وأما من أوتي وراء ظهره، فسوف يدعوا ثبورا، ويصلى سعيرا، انه كان في اهله مسرورا) (الانشقاق: ١٠-١٣)، قلت: أي اهل؟ قال: (اهله في الدنيا) ﴿البرهان ج٨ ح٦﴾.

وبينه جل وعلا، نأتي الان على بيان حساب اصحاب الشمال ونرى كيف حسابهم.

القسم الثاني: اصحاب الحساب العسير.

يقول تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ...﴾ (الرعد: ١٨).

الله سبحانه عندما ارسل الرسل والانبياء لدعوة الناس إلى الخير والصلاح، هناك من استجاب لنداء السماء واتبع الانبياء والرسل واحل حلالهم وحرم حرامهم فهؤلاء يجزيهم الله تعالى احسن الجزاء وهو ما عبر عنه تعالى (الحسنى)، ولكن نجد في الطرف المقابل من لم يلبِّ نداء السماء واستخف به واستهان به ولم يتبع الرسل والانبياء، فهؤلاء تخبر الآية الكريمة انهم يوم القيامة لو كانت بيدهم ملكية الارض بما فيها ولو اعطوا ملكية ارض اخرى ايضا بما فيها لتنازلوا عنها جميعا في سبيل ان يتخلصوا من المصير الذي سيواجههم يوم القيامة والذي عبرت عنه الآية بأنه (سوء الحساب).

ولكن ما معنى سوء الحساب؟

ولماذا عبرت عنه الآية ب(سوء الحساب)؟

هذا ما سنعرفه من خلال الروايات الشريفة:

﴿عن الامام الصادق عليه السلام، قال: (يحسب عليهم السيئات ويحسب لهم الحسنات وهو الاستقصاء)

وعنه عليه السلام، لرجل شكاه بعض اخوانه: ما لأخيك فلان يشكوك؟ فقال: أيشكوني ان استقصيت حقي؟! قال: فجلس مغضبا ثم قال:

كأنك إذا استقصيت لم تسئ؟! أرأيت ما حكى الله تبارك وتعالى: (ويخافون سوء الحساب)، أخافوا الله ان يجور عليهم؟! لا والله! ما خافوا إلا الاستقصاء، فسماه الله سوء الحساب، فمن استقصى فقد اساء﴾[1].

فمن خلال الرواية الشريفة نعرف أنه لماذا أطلق الله تعالى على حساب من لم يستجب لدعوة السماء بسوء الحساب (الاستقصاء) او الحساب الدقيق الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وحاسبهم عليها، وهو ليس الجور، لان الله تعالى منزه عن الظلم والجور فهو لا يظلم عباده وانما هم ظلموا أنفسهم بأنفسهم ولم يجعلوا لرحمة الله لهم طريقاً لتشملهم.

وكذلك من خلال الرواية الشريفة نتعلم درسا عظيما وهو: عدم المداقّة بين الناس في الحساب، وان يجعلوا بين بعضهم البعض طريقا للمعروف والمساعدة والاكرام.

ومن خلال ذلك نستطيع أن نفهم ان أحد اهم اسباب تحريم الربا هو قطعه لسبيل المعروف بين الناس، فإذا ساد الربا انقطع المعروف والايثار وأصبح المجتمع قائماً على اساس المصلحة والفائدة فقط.

في حين ان القرآن الكريم يوضح غايات سامية لخلق الانسان كالتعاون، كما في قوله تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ (المائدة: ٢).

---

(١) ميزان الحكمة: ج١، ص٦٢٣.

وقوله تعالى: ﴿...نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا...﴾ (الزخرف:٣٢).

ما يهون الحساب يوم القيامة:

هناك بعض الامور التي تهوّن الحساب يوم القيامة، ومن هذه الامور هي التالي:

١- صلة الرحم:

يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١).

إن صلة الرحم من الامور التي تهوّن الحساب يوم القيامة، وصلة الرحم هنا تشمل كلا طرفيها: الاعلى والادنى، فالأعلى تشمل مودة اهل البيت عليهم السلام والادنى فهي تشمل الاقارب.

﴿عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (عن الرحم معلقة بالعرش، تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني، وهي رحم آل محمد، وهو قول الله عز وجل: (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) ورحم كل ذي رحم)﴾[١].

﴿عن الامام الصادق عليه السلام: ان صلة الرحم تهوّن الحساب يوم القيامة، ثم قرأ (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ)﴾[٢].

---

(١) الكافي: ج٢، ص١٥١، ح٧.

(٢) ميزان الحكمة: ج١، ص٦٢٢.

٢- قلة الاموال:

جعل الله تعالى علاقة بين الاموال والحساب هي أنه كلما قلّت الاموال كلما هان حساب الانسان وقل وقوفه بين يدي الله تعالى.

﴿عن رسول الله ﷺ: شيئان يكرههما ابن ادم: يكره الموت والموت راحة للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال اقل للحساب﴾[1].

﴿عن الامام الصادق عليه السلام: ان استطعت ان لا تنال من الدنيا شيئا تسأل عنه غدا فافعل﴾[2].

٣- الاخلاق الحسنة:

﴿عن رسول الله ﷺ: حسّن خلقك يخفّف الله حسابك﴾[3].

الباب الثاني: الذين لا يحاسبون يوم القيامة.

وهم على ثلاثة اقسام:

القسم الاول: الذين هم فوق الحساب.

هذا القسم يشمل الانبياء وعلى رأسهم النبي الخاتم المصطفى ﷺ واهل بيته الكرام عليهم السلام، فهؤلاء هم أفضل من خلق الله تعالى وهم الذين يوكل الله تعالى لهم حساب الناس يوم القيامة، فكما نقرأ في زيارة الجامعة الكبيرة (الواردة عن الامام الهادي عليه السلام) قوله: (إياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم)

وهذا الامر اكدته الروايات الشريفة الواردة عن اهل البيت عليهم السلام ﴿عن عبد الله بن سنان، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم

(١)ميزان الحكمة: ج١، ص٦٢٢.
(٢) نفس المصدر السابق.
(٣) نفس المصدر السابق.

القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا فما كان لله سألنا الله ان يهبه لنا. فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم، ثم قرأ ابو عبد الله عليه السلام: (إن الينا ايابهم، ثم ان علينا حسابهم) (الغاشية: ٢٥-٢٦)﴾[١].

ولعل البعض يشكل اشكالا على الرواية فيقول:

كيف يمكن ان يوكل الله تعالى امر حساب الناس يوم القيامة بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والائمة عليهم السلام ؟

فنقول: ان الله تعالى قد اوكل إليهم امر الخلائق في الدنيا وهو قوله تعالى: ﴿...فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (الانعام:٨٩). ومن الطبيعي ان الذي يوكل إليهم امر الخلائق في الدنيا يوكل إليهم امرهم في الاخرة ولا عجب في الامر.

التفاتة:

نقرأ في زيارة الجامعة الكبيرة قول الامام عليه السلام: (إياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم).

بينما نقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

فالآية الكريمة توضح ان رجوع الخلق يوم القيامة يكون لله تعالى، بينما الزيارة تقول ان رجوع الخلق يكون لأهل البيت عليهم السلام ، فهل هناك تناقض بين الزيارة والآية؟

الجواب على هذا التساؤل سيكون على شقين:

(١) بحار الأنوار: ج٧، ص٢٦٤، ح١٩.

الشق الاول:

في بعض الاحيان يعبر القرآن الكريم عن الرجوع إلى الله تعالى بصيغة المفرد وليس الجمع كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ (البقرة: ١٥٦)، وهنا من خلال الآية الكريمة الامر واضح بأن الخلق يرجعون إلى الله تعالى وحده لا شريك له، لان الضمير في الآية يدل على الإفراد (اليه).

ولكن في مورد اخر يعبر القرآن الكريم عن الرجوع إلى الله تعالى بصيغة الجمع وليس الافراد كما في الآية الاولى وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ حيث ضمير المتكلم الوارد في الآية يدل على الجمع (الينا، علينا) فإذن، هنا لمن سيكون الرجوع الخلق؟

في السابق كان المفسرون يفسرون الضمائر الدالة على الجمع على انها تدل على التعظيم والتفخيم للذات المقدسة لله تعالى، ولكن في الوقت الحاضر اورد المفسرون قراءة اخرى للآيات، فقالوا: ان التعظيم والتفخيم هو ثابت لله تعالى سواء ذكرت هذه الضمائر ام لم تذكر، وانما هذا الجمع يدل على ان الرجوع يكون لله تعالى ولمن جعلهم الله ملجأ للرجوع يوم القيامة بأذنه وبأمره، ولهذا صارت الضمائر تدل على الجمع.

وهذا أمرٌ تؤيده بعض الروايات الشريفة، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : إذا كان يوم القيامة وكلنا الله بحساب شيعتنا ، فما كان لله الله أن يهبه لنا فهو لهم ، وما كان لنا فهو لهم ، ثم قرأ أبو عبد الله عليه السلام ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

وهذا يعني أن يكون الرجوع لله ولمن وكلهم الله تعالى بأن يكون رجوع الخلائق إليهم، ولكن أصل الرجوع في النهاية هو لله تعالى وبإذنه سيكون إليهم.

وهو ذات الكلام الذي يورده المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) فإذا دققنا النظر في الآية سنجد الضمائر الواردة في الآية هي ضمائر جمع (إنا، نحن، نزلنا، لحافظون)

والحقيقة ان القرآن الكريم نزل من عند الله وحده فما معنى الجمع في الآية؟

يقول المفسرون: ان رب العالمين حينما نزل القرآن نزله من خلال وسائط، وهؤلاء الوسائط توضحهم سورة عبس المباركة بقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (عبس: ١٥-١٦)، فالآية عبرت بسفرة، والسفرة دلالة على الجمع وليس سفيراً واحداً (الأفراد)، فإذن، نستنتج ان أصل نزول الذكر يعود لله تعالى، ولكن هؤلاء السفرة امرهم الله تعالى بحفظه، ومن خلال كل ما قلناه سابقا يتضح لنا عدم وجود تناقض بين الزيارة وبين الآية.

الشق الثاني:

من خلال هذا الشق نستطيع ايضا اثبات ان الرجوع يكون إلى الله تعالى بالأصل وللنبي ﷺ واهل بيته عليهم السلام بالإذن والكسب من خلال مقام الثبوت ومن خلال مقام الاثبات.

١- من خلال مقام الثبوت.

نجد ان هناك الكثير من الامور ينسبها الله تعالى لذاته المقدسة، بل ويحصرها به جل وعلا كقوله تعالى: ﴿...إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا...﴾ (يونس: ٦٥)، ففي هذه الآية حصر رب العالمين العزة به وحده دون غيره، ولكن في مورد اخر من القرآن الكريم لا تنحصر العزة بالله تعالى، بل تتعدى لغيره كقوله تعالى: ﴿...وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ (المنافقون: ٨)، ففي الآية تعدت العزة للنبي ﷺ وللمؤمنين الذين هم اهل البيت عليهم السلام. فإذا لمن ستكون العزة؟

نقول: العزة لله تعالى بالأصل ولكن رب العالمين يهبها لبعض عباده بإذنه وأمره، وعلى رأس هؤلاء العباد هم النبي ﷺ واهل بيته الكرام عليهم السلام. كما يوضح ذلك الامام الحسين عليه السلام في دعائه (اولياؤه بعزه يعتزون).

بل ونجد في مورد ثالث يجعل الله تعالى شخصاً يكون مظهراً لعزة الله وتجلٍ لها كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ...﴾ (يس: ١٤)، أي ان الله تعالى جعل النبي الثالث الذي ارسله مظهراً لعزة الله وتجلٍ لها.

فإذن، نجد مرة العزة تكون لله وحده وهو الاصل، ومرة يهبها الله تعالى لعباده بالإذن والكسب، ومرة يجعل اولياءه مظهر عزته وتجلٍ لها.

وليس فقط على مستوى العزة، بل كذلك الحال مع الولاية، فلله تعالى على عباده أربع ولايات وهي:

١- ولاية الايجاد: وبها اخرج الله عباده من كتم العدم إلى حيز الوجود.

٢- ولاية الإبقاء والاستمرار.

٣- ولاية الإنماء: وبها يربي الله عباده، أي ينميهم من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة.

٤- ولاية الجزاء: وبها يجازيهم حين يرجعون اليه في يوم القيامة.

وهذه الولايات هي لله تعالى بالأصل، ولكنها بالكسب والاذن تكون للنبي ﷺ ولأهل البيت عليهم السلام، فهم لهم ولاية الايجاد فبهم كان الوجود كما ورد في الحديث القدسي: (يا احمد لولاك لما خلقت الافلاك، ولولا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما)[1]، وكذلك لهم ولاية الابقاء كما نقلت الروايات الواردة عنهم عليهم السلام ﴿عن محمد بن الفضيل، عن ابي حمزة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: اتبقى الارض بغير امام؟ قال: لو بقيت الارض بغير امام لساخت﴾[2]، ﴿عن ابي جعفر عليه السلام قال: لو ان الامام رفع من الارض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله﴾[3].

وكذلك لهم ولاية الانماء ﴿عن مروان بن صباح قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: ان الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده، بالرأفة والرحمة ووجهه الذي يؤتى منه وبابه الذي يدل عليه وخزانه في سمائه وارضه بنا

(١) مجمع النورين - الشيخ أبو الحسن المرندي - ص ١٤.

(٢) الكافي: ج١، ص١٧٩، ح١٠.

(٣) نفس المصدر السابق، ح١٢.

أثمرت الاشجار وأينعت الثمار، وجرت الانهار وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الارض وبعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله﴾[1].

اما ولاية الجزاء فهي لهم وهو ما يبينه قوله عليه السلام (اياب الخلق اليكم وحسابهم عليكم).

فنستنتج من كل ما ذكرناه سابقا ان العزة او الولاية هي بالأصل لله تعالى وبالإذن والكسب يهبها الله لغيره، وكذلك الحال مع رجوع الخلق يوم القيامة، فالرجوع بالأصل يكون لله تعالى وبالإذن والكسب منه لغيره.

٢- من خلال مقام الاثبات:

فيكون من الواضح بل والواضح جدا ان رجوع الخلق يوم القيامة للنبي صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً﴾ (النساء: ٤١)، والشهيد هو الشاهد على أعمال الخلائق وبما انه شاهد عليهم فهو يحاسبهم، وبذلك نكون قد أثبتنا ان الرجوع يكون لله بالأصل ولغيره بالكسب والاذن من خلال شقين.

والآن بعد ان عرفنا ان الرجوع يكون بالأصل لله تعالى وبالكسب والوهب يكون للنبي صلى الله عليه وآله وآله الاطهار عليهم السلام ولا يوجد أي تعارض بين الزيارة والآية الشريفة. يبقى السؤال:

هل ان شفاعة اهل البيت عليهم السلام تنال الجميع، ولمن ستكون شفاعتهم؟

---

(١)الكافي: ج١، ص١٤٤، ح٥، باب النوادر.

وهذا لا نعرفه إلا إذا عرفنا ما هي الذنوب التي يعاقب عليها الانسان يوم القيامة، وهذا ما سنعرفه من خلال القرآن الكريم والروايات الشريفة الواردة عن الائمة الطاهرين عليهم السلام.

الذنب في ثقافة القرآن الكريم:

الاصل في مفردة الذنْب هو من الذنَب والذنَب، هو الذيل، اما الذنْب فقد عبرت عنه العرب بأنه المعصية والجرم.

الاستعمال القرآني لمفردة الذنْب:

استعمل القرآن الكريم مفردة الذنب في محورين:

المحور الاول:

ذنب مغفور، وقد جعل القرآن الكريم بعض الامور التي تساعد على غفران الذنوب منها:

١- اتباع النبي صلى الله عليه وآله:

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (ال عمران: ٣١).

٢- التأخير إلى أجل مسمى:

يقول تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ (نوح: ٤).[١]

---

(١) التفاتة: مصاديق الاجل في القرآن الكريم:
للأجل مصاديق عديدة في القرآن الكريم، منها:
المصداق الاول: اجل الموت.
يقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ...﴾ (الاعراف: ٣٤).
المصداق الثاني: اجل القيامة.⇦

⇦يقول تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ (المرسلات: ١٢).
المصداق الثالث: اجل الولادة.
يقول تعالى: ﴿...وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى...﴾ (الحج: ٥).
المصداق الرابع: الاجل والأجل المسمى.
يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ...﴾ (الانعام:٢).
الآية الكريمة توضح نوعين من الاجل:
الاجل المسمى: وهو الاجل المحتوم الذي لا تعتريه الزيادة او النقصان.
والاجل: وهو الاجل الموقوف، وهذا الاجل فيه زيادة او نقصان وتحدد من خلال اعمال الانسان، فإذا كانت اعماله صالحة، أخّر الله تعالى في اجله (مدّ في عمره)، وإذا كانت اعماله طالحة عجل الله تعالى في اجله.
اقول: يوضح العلامة السيد الطباطبائي في كتابه (ماذا بعد الموت –ص ٨) الاجلين، فيقول: ﴿يتبين بذلك ان الاجل اجلان: الاجل على ابهامه، والاجل المسمى عنده تعالى، وهذا الذي لا يقع فيه تغيّر لمكان تقييده بقوله (عنده) وقد قال تعالى: (وما عند الله باق) / النحل٩٦.
وكذلك يقول العلامة: الاجل المسمى هو الذي وضع في ام الكتاب، وغير المسمى من الاجل هو المكتوب فيما نسميه بلوح المحو والاثبات﴾
ثم يوضح العلامة الفرق الاثنين ويطرح العديد من اراء المفسرين حول الاجلين، فمن اراد المزيد فليراجع المصدر المذكور.
المصداق الخامس: الاجل المعدود.
يقول تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ[1]﴾ (هود: ١٠٤).
المصداق السادس: الاجل القريب.
يقول تعالى: ﴿...رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ...﴾ (النساء: ٧٧).
المصداق السابع: اجل الكتب السماوية.
يقول تعالى: ﴿...وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (الرعد:٣٨).
أرجع بعض المفسرين الاجل الموجود في الآية الكريمة إلى الكتب السماوية، فقالوا: إن لكل كتاب سماوي اجلاً محدوداً، فالتوراة لها اجل والانجيل له اجل، بل وحتى القرآن الكريم ايضا له اجل، فنحن لا نعلم بعد قيام الساعة بأي دستور يحكمنا الله تعالى.
المصداق الثامن: أجل الشمس والقمر
يقول تعالى: ﴿...وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ (الزمر: ٥).
المصداق التاسع: الاجل المقرر في العقد.
يقول تعالى: ﴿...أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ...﴾ (القصص: ٢٨).⇦

٣- اصلاح الاعمال:

يقول تعالى: ﴿يُصلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...﴾ (الاحزاب:٧١).

٤- ادخال الجنات:

يقول تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ويُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ومَسَاكِنَ طَيِّبَةً...﴾ (الصف: ١٢).

٥- الرحمة الالهية:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٣).

٦- تكفير السيئات:

يقول تعالى: ﴿...فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ (ال عمران: ١٩٣).

التفاتة:

من هم الابرار الذين نطلب من الله تعالى ان يتوفانا معهم؟

الجواب: لو تتبعنا الآيات في سورة الانسان سنعرف من هم الابرار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) (الانسان: ٥-٦)، فإذاً

⇐المصداق العاشر: اجل الدّين.

يقول تعالى: ﴿...إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...﴾ (البقرة: ٢٨٢).

المصداق الحادي عشر: اجل الاضاحي.

يقول تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ (الحج: ٣٣).

المصداق الثاني عشر: اجل الطلاق.

يقول تعالى: ﴿وإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ...﴾ (البقرة: ٢٣١).

الابرار هم ذاتهم عباد الله حسبما اشارت الآيات الكريمة السابقة وهم ذاتهم الذين تحدثت عنهم سورة النساء وامرنا الله تعالى بإتباعهم ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩)، كما نصت على ذلك الروايات الشريفة ﴿عن قيس بن أبي حازم، عن ام سلمه، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله سبحانه: ﴿...فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. قال: (أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ) أنا، (وَالصِّدِّيقِينَ) علي ابن ابي طالب، (وَالشُّهَدَاء) الحسن والحسين، (وَالصَّالِحِينَ) حمزة، (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) الائمة الاثنا عشر بعدي﴾[1]. فيتضح من خلال ذلك انهم عليهم السلام الصديقون وهم الشهداء وهم الصالحون وهم الابرار، ولذلك نحن نطلب من الله تعالى ان يتوفانا معهم، وهذا في الاخرة.

اما في الدنيا فقد امرنا الله تعالى بإتباعهم ايضا فقال ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)، وهم عليهم السلام الصادقون كما جاء في الروايات الشريفة ﴿عن بُريد بن معاوية العجلي، قال: سألت ابا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، قال: (إيانا عنى)﴾[2]. ولذلك نحن نطلب من الله تعالى ان نكون معهم في الدنيا والاخرة فنقرأ في زيارة عاشوراء (اللهم اجعلني عندك وجيها بالحسين عليه السلام في الدنيا والاخرة).

---

(١) البرهان في تفسير القرآن: ج٢، ص٢٧٤-٢٧٥، ح٣.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ج٣، ص٥١٥، ح١.

إشكال:

لعل البعض يشكل قائلا:

إذا كان اهل البيت عليهم السلام هم الابرار ونطلب من الله تعالى ان يجعلنا معهم في الدنيا ويتوفانا معهم في الاخرة، فكيف يقول تعالى في سورة المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ، كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ١٨-٢٠)، فالآيات توضح إن المقربين يشهدون على كتاب الابرار، فإذاً حسب هذه الآيات ستكون درجة المقربين أعلى من درجة الابرار؟

الجواب:

ان الابرار هي مرتبة او درجة من درجات اهل البيت عليهم السلام، اما المقربون فهي اخر المراتب التي وصلوا اليها عليهم السلام.

القرآن الكريم عندما يذكر المرتبة الادنى لا يعني ذلك نفيه للمرتبة الاعلى، كما نقول: ان زيداً مهندس ولديه شهادة الدكتوراه، فعندما نلقبه بالمهندس لا يعني اننا ننفي عنه شهادة الدكتوراه، كذلك الحال مع ذكر القرآن الكريم للمرتبتين.

هذا بالإضافة إلى ان درجة الابرار لا تتوقف عند حدود اهل البيت عليهم السلام فالأنبياء ابرار واوصياء الانبياء ايضا ابرار، ولعل القرآن الكريم عندما ذكر ان كتاب الابرار يشهد عليه المقربون، فالمقصود بالأبرار هنا هم الانبياء واوصياؤهم واهل البيت يشهدون على كتبهم.

المحور الثاني: ذنب غير مغفور.

وقد أشير إلى بعض مصاديق ذلك في العديد من الآيات الشريفة، نذكر منها التالي:

١- موسى مع آل فرعون:
يقول تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ...﴾ (الشعراء: ١٤).
٢- الموءودة:
يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨-٩).
فقتل الموءودة ذنب لا يغفره الله تعالى، لأنه قتل لها من دون ذنب.
٣- قوم صالح عليه السلام:
يقول تعالى: ﴿...فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ (الشمس:١٤).
فالله تعالى دمدم على قوم صالح بسبب ذنبهم الذي لم يغفره لهم.

تقسيم الذنوب في الروايات الشريفة.
عرفنا ان القرآن الكريم قسم الذنوب إلى محورين، يبقى ان نعرف تقسيم الروايات الشريفة لذلك.
وقد روي ﴿ان امير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس ان الذنوب ثلاثة ثم امسك، فقال له حبّة العُرني: يا امير المؤمنين فسرها لي، فقال: ما ذكرتها إلا وانا اريد ان افسرها ولكنه عرض لي بُهر حال بيني وبين الكلام، نعم ان الذنوب ثلاثة فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو ونخاف عليه، قيل يا امير المؤمنين فبينها لنا، قال: نعم، ما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا فالله احكم واكرم ان يعاقب عبده مرتين، واما الذي لا يغفر فظلم العباد لبعضهم البعض ان الله تبارك وتعالى إذا

برز، لخلقه اقسم قسما على نفسه، فقال: وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كف بكف ولو مسحة بكف ونطحه ما بين الشاة القرناء إلى الشاة الجماء فيقتص الله للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد عند احد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب، واما الذنب الثالث فذنب ستره الله على عبده ورزقه التوبة فأصبح خاشعا من ذنبه راجيا لربه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب﴾[1].

ونحن نعلم جيدا ان اهل البيت عليهم السلام هم عِدل القرآن وانهم لن يفترقوا عنه ابدا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إني قد تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي واحدهما اكبر من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض وعترتي اهل بيتي ألا وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض﴾[2]. وبما انهم عِدل القرآن وانهم لن يفترقوا عنه ابدا فتقسيم القرآن الصامت للذنوب مطابق لتقسيم القرآن الناطق لها.

فإذاً من خلال القرآن الكريم او من خلال الروايات الشريفة يتضح ان الذنوب تنقسم إلى ثلاثة اقسام، وهي:

١- الذنب المغفور:

ورد في الاثر ان كل ما يصيب الانسان من اذى (كالحمى وغيرها) كلها لها ارتباط بذنوب الانسان، فنحن لا ننكر الاسباب الطبيعية لحدوثها، ولكن الله تعالى جعل هناك ارتباطاً بينها وبين اثار الذنوب

---

(١) بحار الأنوار: ج٧، ص٢٦٤-٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٣، ص١٠٦، ح٧، ينقلها العلامة عن مسند أحمد ج٣، ص٢٦.

والمعاصي لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء...﴾ (الاعراف:٩٦).

فأحد بركات السماء هو المطر، وبالرغم من ان المطر خاضع لقاعدة علمية، ولكن القرآن الكريم ربطه بالإنسان من خلال ايمانه وتقواه، ولذلك نجد احيانا كثيرة رغم توفر الاسباب العلمية والطبيعية إلا ان المطر لا ينزل بسبب اثار ذنوب الانسان ومعاصيه.

وهذا ما يطلق عليه قانون (الداخل يؤثر على صناعة الخارج) لان الله تعالى ربط بين داخل الانسان وبين ما يحيط به في الخارج، فإن صلح داخله صلح ما يحيط به في الخارج والعكس صحيح[1].

وهذا ما يشير إليه أيضاً قوله تعالى: ﴿...إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾ (الرعد: ١١).

ولما كان الداخل يؤثر على الخارج، فعلى الانسان ان يدرك جيدا مدى تأثير ذنوبه ومعاصيه على ما يحيط به، وعليه ان يرجع إلى الله تعالى ويعترف بحقيقة اضطراره اليه ﷻ.

وهذا يذكرنا بكلمة جميلة جدا للشيخ الوحيد الخراساني (حفظه الله واطال في عمره) حيث يقول الشيخ:

(لابد للإنسان ان يتذوق الاضطرار إلى الله تعالى)،

والانسان في الواقع لا يتذوق ذلك الاضطرار إلا إذا كان محتاجا إلى الله ولا يصل الانسان إلى هذه المرحلة إلا إذا كان ضعيفا نتيجة

(١) وهذا ما بيناه بالتفصيل في بحثنا ضرورة الدين وشبهات الملحدين.

خطر محدق به او مرض يصيبه، وهو اشبه ما يكون عند صعود الانسان الطائرة.

ففي الحالة الطبيعية للطائرة نرى الانسان يقرأ بعض ادعية السفر وبعض الآيات القرآنية وهو مرتاح وقلبه مطمئن، ولكن إذا حدث لا سامح الله عطل في احد محركات الطائرة واصبحت على وشك السقوط فهنا قراءته للدعاء ستختلف تماما عما كانت عليه اولاً، حيث يكون هنا الانسان في اقرب حالاته إلى الله تعالى، وهنا يتذوق الانسان طعم الاضطرار الحقيقي إلى الله تعالى، اما في الحالات الطبيعية فهو قد يشعر بأنه مضطر إلى الله ولكن ليس كما ذكرنا - عند سقوط الطائرة - لانشغاله بأمور الدنيا، فمن رحمة الله تعالى على عباده أن يجعلهم يمرون بحالات الضعف والخوف والخطر او المرض او الفقر لكي يرجعوا اليه، وهو ما يعبر عنه الشيخ (بالاضطرار الاجباري)

وهنا يتضح الفرق بين الانسان العادي والمعصوم عليه السلام، فاضطرار المعصوم اضطرار اختياري، لان المعصوم يشعر بكل حالاته باضطراره إلى الله تعالى.

٢- الذنب الذي لا يغفر

سنوضح كيف تتم عملية محاسبته فيما بعد إن شاء الله تعالى.

٣- الذنب المرجئ او المتروك امره إلى الله تعالى:

يمكن ان يتبادر للبعض سؤال:

هل ان كل هؤلاء الخلائق (سبعة مليارات نسمة اليوم) قد وصل إليهم الحق ورفضوه (تعمدوا رفضه وعدم قبوله) ام انه لم يصل إليهم ولا يعرفونه (مستضعفين)[1]؟

- فإن كان الجواب: نعم؛ وصل إليهم وتعمدوا رفضه، فسيكون مصير كل هؤلاء الخلائق إلى النار ما عدا الذين امنوا، وان كان الجواب: لا؛ لم يصل إليهم ولو وصل إليهم لاعتنقوه، فما مصيريهم عندئذ؟

نجد الجواب عن هذا الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:١٠٦).

فالآية واضحة وصريحة بأن هؤلاء متروك امرهم إلى الله تعالى.

والآن بعدما عرفنا ما هي الذنوب التي يحاسب عليها الانسان يوم القيامة من خلال القرآن الكريم ومن خلال روايات اهل البيت عليهم السلام. فلو تأملنا جيدا في الرواية المتقدمة، فسنلاحظ ان العباد يقتص بعضهم من بعض قبل الحساب، ولم تذكر الرواية ان اهل البيت عليهم السلام يشفعون لأحد في ذلك الوقت.

ولكن عند البحث في الروايات وجدنا ان هناك رواية يرويها الشيخ محمد الحر العاملي تبين شفاعة اهل البيت عليهم السلام، وهي ﴿عن سماعة، قال: كنت قاعدا مع ابي الحسن الاول عليه السلام والناس في الطواف في جوف الليل فقال لي: يا سماعة الينا إياب الخلق وعلينا حسابهم. فما

(١) وللمستضعف ثقافة خاصة في القرآن الكريم قد بيناها سابقا.

كان لهم من ذنب فيما بينهم وبين الله، حتمنا على الله في تركه فأجابنا إلى ذلك وما كان بينهم وبين الناس، استوهبناه منهم فأجابونا إلى ذلك وعوضهم الله ﷻ﴾[1].

فإنه من خلال الرواية يتضح ان اهل البيت عليهم السلام يشفعون.

ولكن يبقى السؤال: متى تكون شفاعة اهل البيت؟

ولكن قبل الاجابة على هذا السؤال نريد ان نوضح امرا مهما جدا وهو:

كيف يتعامل الله تعالى مع ذنوب العباد يوم القيامة:

يظهر والله العالم من خلال الروايات الواردة ان الله تعالى يتعامل مع ذنوب عباده يوم القيامة بطريقتين:

الطريقة الاولى: الذنوب التي يتعامل معها الله تعالى بلطفه لا بعدله.

وهذه الذنوب التي تكون بين العبد وربه، فيعاملها الله تعالى بلطفه ورحمته وكرمه ويغفرها لعبده المؤمن التائب بل وأحياناً يبدلها إلى حسنات (كما بينا سابقا)، ولكن ينال العبد عقابها في الدنيا، وهذه الطريقة تشمل ذنوب القسم الاول (الذنب المغفور).

الطريقة الثانية: الذنوب التي يعاملها الله تعالى بعدله.

وهذه الطريقة تشمل ذنوب القسم الثاني (الذنب الذي لا يغفر) وهي ظلم العباد لبعضهم البعض.

---

(١) الفصول المهمة في اصول الائمة: ج١، ص٤٢٢، باب (ان حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى الائمة).

فهذه الذنوب يعاملها الله تعالى بعدله، والعدل الالهي يقتضي ان يعود لكل ذي حق حقه، فيكون لها جزاءان: الجزاء الاول: قبل الحساب وهو اقتصاص المظلوم من الظالم، اما الجزاء الثاني فيكون بعد الحساب وهو النار.

وهنا سنجيب على السؤال الذي طرحناه سابقا (متى تظهر شفاعة اهل البيت)

هنا تظهر شفاعتهم عليهم السلام أي ينال المؤمن شفاعة اهل البيت عليهم السلام بعد الحساب الاول.

وهنا قد يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم سؤال وهو:

إذا كان العباد قد اقتص بعضهم من بعض قبل الحساب فما هو الداعي لتدخل الائمة عليهم السلام؟

فنقول: قلنا ان الذنوب التي بين العباد لها جزاءان: الاول قبل الحساب ويكون بالاقتصاص، والثاني بعد الحساب هو النار، فالأئمة عليهم السلام تظهر شفاعتهم بعد الحساب وهو ما ذكرته الرواية ﴿وما كان بينهم وبين الناس، استوهبناه منهم فأجابونا إلى ذلك وعوضهم الله عز وجل﴾، أي يقوم الائمة عليهم السلام بإجراء حالة مصالحة- ان جاز التعبير بهذا - بين المؤمنين فيتنازل صاحب الحق عن حقه كرامة لهم وبالمقابل يعوضهم الله تعالى عن تنازلهم هذا.

اقول:

وكل ما قلناه سابقا لا يشجع الانسان على المعصية، فالشفاعة والاعتقاد بالتوبة وطلب رحمة الله تعالى وغفرانه للذنوب ينبغي ان لا تشجع الانسان على المعصية، لأننا كما ذكرنا ان الانسان المؤمن تصفى

اعماله السيئة في عدة مراحل منها الموت والبرزخ ومنها في الحساب الاول قبل النار.

خلاصة ما قلناه سابقا:

١- الذنوب تنقسم على ثلاثة اقسام (ذنب مغفور – وذنب غير مغفور – وذنب متروك امره إلى الله تعالى).

٢- طرق تعامل الله تعالى مع الذنوب تكون بطريقتين (ذنوب يعاملها الله تعالى بلطفه – وذنوب يعاملها الله تعالى بعدله).

٣- عدم وجود تناقض بين رواية العلامة المجلسي في البحار وبين رواية الشيخ العاملي في الفصول.

٤- رواية الشيخ العاملي تكون بعد الحساب ورواية العلامة المجلسي تكون قبل الحساب.

٥- ينال المؤمن شفاعة اهل البيت عليهم السلام بعد الحساب الثاني الذي جزاؤه النار.

وكذلك من الروايات التي تثبت ان حساب الخلائق يكون لأهل البيت عليهم السلام ﴿عن جابر، عن ابي جعفر عليه السلام قال: يا جابر إذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين لفصل الخطاب ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا أمير المؤمنين عليه السلام إلى ان قال: ثم يصعدان ثم يدعى بنا فيدفع الينا حساب الناس فنحن والله ندخل اهل الجنة، الجنة واهل النار، النار ثم يدعى بالنبيين فيقامون صفين عند عرش الله عز وجل حتى نفرغ من حساب الناس فإذا، دخل اهل الجنة، الجنة واهل النار، النار، بعث الله رب العزة عليا عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنة وزوجهم، فعلي والله الذي يزوج اهل اجنة في الجنة وما ذاك إلى احد

غيره وكرامة من الله عز ذكره وفضلا فضله الله به ومنّ به عليه وهو والله يخل اهل النار، النار، وهو الذي يغلق على اهل الجنة إذا دخلوا ابوابها لان ابواب الجنة اليه وابواب النار اليه﴾[1].

﴿قال النبي ﷺ: ما خلق الله ﷻ خلقا إلا وقد امر عليه اخر يغلبه فيه وذلك ان الله تبارك وتعالى لما خلق البحار السفلى فخرت وزخرت وقالت: أي شيء يغلبني فخلق الارض فسطحها على ظهرها فذلت، ثم قال: ان الارض فخرت وقالت: أي شيء يغلبني؟ فخلق الجبال فأثبتها على ظهرها أوتادا من ان تميد بما عليها فذلت الارض واستقرت، ثم ان الجبال فخرت على الارض فشمخت واستطالت وقالت: أي شيء يغلبني؟ فخلق الحديد فقطعها فقرت الجبال وذلت، ثم ان الحديد فخرت على الجبال وقال: أي شيء يغلبني؟ فخلق النار فأذابت الحديد فذل الحديد، ثم ان النار زفرت وشهقت وفخرت وقالت: أي شيء يغلبني؟ فخلق الماء فأطفأها فذلت، ثم ان الماء فخر وزخر وقال: أي شيء يغلبني؟ فخلق الريح فحركت امواجه وأثارت ما في قعره وحبسته عن مجاريه فذل الماء، ثم ان الريح فخرت وعصفت وأرخت اذيالها وقالت: أي شيء يغلبني؟ فخلق الانسان فبنى واحتال واتخذ ما يستتر به من الريح، ثم ان الانسان طغى وقال: من اشد مني قوة؟

فخلق الله له الموت فقهره فذل الانسان، ثم ان الموت فخر في نفسه فقال الله ﷻ لا تفخر فإني ذابحك بين الفريقين: اهل الجنة واهل النار

---

(١) الفصول المهمة في اصول الائمة: ج١، ص٤٢٢، باب (ان حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى الائمة).

ثم لا أحييك ابدا فترجى او تخاف، وقال: ايضا والحلم بغلي الغضب والرحمة تغلب السخط والصدقة تغلب الخطيئة، ثم قال ابو عبد الله عليه السلام: ما اشبه هذا مما قد يغلب غيره»[1].

والآن بعد ان عرفنا كيف يتعامل الله تعالى مع الذنبين الاول والثاني يوم القيامة يبقى الذنب الثالث، وهذا الذنب يبقى صاحبه بين الخوف والرجاء، الخوف من عقاب الله والرجاء برحمة الله.

والفرق بين هذا الذنب والذنب الاول: أن الذنب الاول قد حُسم في الدنيا حيث نال المذنب جزاءه وعقابه في الدنيا ولا شيء عليه في الاخرة، اما الذنب الثالث فلم يحسم في الدنيا بالرغم من توبة المذنب وخشوعه لله تعالى من ذنبه ولكنه لم يعاقب عليه أي لم ينل جزاءه، ولذلك عبرت عنه الرواية ب(نرجو ونخاف عليه)، ومن هنا يتضح خطورة هذا الذنب، رزقنا الله تعالى التوبة في الدنيا ونرجو منه تعالى أي يتقبلها منا بمحمد وآله الطاهرين.

وللرجاء والخوف ثقافتان خاصتان في القرآن الكريم.

الرجاء في ثقافة القرآن الكريم:

لمفردة الرجاء اصلان في اللغة العربية وهما: الرجاء والرجا:

١- الرجاء: يعرّف على انه نقيض اليأس.

٢- الرجا: وهو أطراف البئر.

الاستعمال القرآني لمفردتي الرجاء والرجا:

الرجا استعمله القرآن الكريم في مورد واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا...﴾ (الحاقة: ١٧).

---

(١) الكافي: ج٨، ص١٤٨-١٤٩، ح١٢٩.

والمقصود من الآية: عندما تنشق السماء يوم القيامة او قبل يوم القيامة (في اشراط الساعة، كما بينا) فإن الملائكة تقف على أطراف السماء.

اما الرجاء فله استعمالات عديدة نذكر منها:

الاستعمال الاول: رجاء رحمة الله.

يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ...﴾ (الزمر: ٩).

يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ...﴾ (النساء: ١٠٤).

الآية الكريمة الثانية تتحدث عن امرين مهمين، وتحذر المسلمين من خلالهما عن التقاعس في طلب اعدائهم وقتالهم، وهذان الامران هما:

١- الالم: تدعو الآية الكريمة إلى عدم اتخاذ الالم الذي يلحق بهم جرّاء اصابتهم في الحروب وسيلة وذريعة لكي لا يطلبوا اعداءهم ويقاتلوهم، وتبين الآية ايضا ان اعداءهم يعانون من نفس تلك الآلام، ولكنهم بالرغم من ذلك لم يتقاعسوا عن طلب المسلمين ومقاتلتهم، وبذلك يكون المسلمون اولى بطلب اعدائهم من غيرهم.

٢- رجاء رحمة الله تعالى: وهو الامر الثاني الذي تبينه الآية، وهو ان المسلمين عندما يقتلون اعداءهم فإنهم يبتغون من وراء ذلك احدى الحسنيين: (النصر او الشهادة)، وفي الحالتين هم يرجون رحمة الله تعالى، فإن انتصروا فبرحمة من الله وفضله، وإن نالوا الشهادة فإنهم يرجون بذلك رحمة الله تعالى في غفران ذنوبهم، وهذا سبب

كافٍ لجعل المسلمين يطلبون اعداءهم ولا يضعفون عن ذلك، لان اعدائهم لا يرجون رحمة الله تعالى.

الاستعمال الثاني: وردت في آية لها حكم شرعي.

يقول تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٠).

الاستعمال الثالث: القصص.

يقول تعالى: ﴿قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا...﴾ (هود:٦٢).

الآية الكريمة تبين ان الله تعالى عندما يختار رسله وانبياءه لمهمات خاصة وصعبة واساسية، فإنه يختارهم ﷻ على اسس معينة، وهي انهم يكونون في اقوامهم الاكثر ورعا وحكمة واخلاقا وغيرها من الصفات الحميدة، وهذا يتضح من خلال شهادة اعدائهم من ابناء قراهم كما توضح الآية الكريمة مع قوم نبي الله صالح عليه السلام، فإنه بشهادة ابناء قريته انه كان من اهل الورع والتقوى العقل وغيرها.

الاستعمال الرابع: رجاء لقاء الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿...فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠).

كل انسان مؤمن في هذه الدنيا يود لقاء الله تعالى حيث اللقاء بالرحمة الرحيمية الرحمانية المطلقة، حيث اللقاء بالعدل المطلق واللقاء باللطف المطلق.

ولكن هذا اللقاء لا يتحقق إلا من خلال شرطين اساسين وضحتهما الآية الكريمة، وهما:

١- الايمان بالله وحده لا شريك له (عدم الاشراك بالله).

٢- العمل الصالح.

وعدم الاشراك بالله يفهم من منظارين:

المنظار الاول: الشرك الاكبر (العقدي)

وهذا النوع من الشرك يتحقق بأن يجعل الانسان شريكاً لله (والعياذ بالله)، في حين ان الله تعالى فرد صمد لا شريك له ولا وزير ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ (الاسراء: ١١١)، وهذا الشرك يؤدي إلى خروج الانسان من الدين.

المنظار الثاني: الشرك الاصغر (العملي).

يقول تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦).

اما هذا النوع من الشرك يتحقق بإطاعة ابليس، فعلى الرغم من أن الانسان مؤمن بأن بالله خالقه ورازقه وربه ولكنه يطيع ابليس وامر نفسه وهواه في المعصية، وهذا النوع لا يخرج الانسان من الدين ولكنه تترتب عليه اثار في الدنيا، فإذا تحقق هذان الشرطان، سوف يؤهل الانسان للقاء الله تعالى والوفود عليه.

التفاتتان حول لقاء الله تعالى:

١- ما هو الفرق بين طلب رحمة الله تعالى او لقاء الله تعالى، وطلب الله تعالى؟

٢- كيف يتخلص الانسان من المعصية كي لا يشرك بالله الشرك الاصغر (العملي)؟

وهاتان الالتفاتتان سنوضحهما من خلال (الحب لله تعالى)، في عدة نقاط:

النقطة الاولى: اقسام الحب.

الحب يكون على قسمين:

القسم الاول: الحب التكويني.

يتحقق هذا الحب من خلال حب الممكنات للواجب، فالممكنات بفطرتها وطبيعتها تحب الواجب الذي هو الله جل جلاله.

وبعبارة اخرى:

يمكن القول على ان هناك انجذاباً لا ارادياً مرتبطاً بالفطرة والتكوين، هو أن الحادث يحب القديم، او قل: إن المخلوق يحب الخالق تكويناً وفطرةً وطبيعةً.

ويمكن توضيح ذلك بالمثال الاتي:

جميع المخلوقات (بجميع اصنافها واشكالها) تحب الحياة وتكره الموت، وهي تحب الحياة لأجل البقاء، والبقاء قرين الوجود، وتكره الموت لأنه فناء (ونقصد بالفناء هنا هو فناء الجسم وليس الروح، لأن أصل الموت هو انتقال من عالم إلى عالم اخر ومن مرحلة إلى مرحلة اخرى) والفناء قرين العدم، فالبقاء والعدم متناظران او متقابلان، ويبقى السؤال: لماذا كانت المخلوقات تحب الحياة؟

الجواب: هي (المخلوقات) تحب الحياة لأن المعلول يحب صفات علته وينجذب اليها تكوينياً، وهذا يعني ان المخلوقات لما أحبت

خالقها أحبته بكل صفاته، ومن صفات الخالق الذي هو الله تعالى أنه باق وحيّ، وحياته دائمة (ازلية من حيث البداية وابديّة من حيث النهاية)، وهو الاول الذي ليس لأوليته اول، والاخر وليس لآخريته اخر، وإذا كانت علة الموجودات حيّة وباقية والمخلوقات تنجذب إلى علتها وصفات علتها، فهي بذلك تحب البقاء لبقاء علتها الذي هو الله جل جلاله.

أي ان المخلوقات تنجذب إلى خالقها بالفطرة، إلا إذا تلوثت هذه الفطرة، وخصوصا عند الانسان فنراه يشرك مرة ويلحد مرة اخرى.

القسم الثاني: الحب التشريعي.

وهذا الحب يتحقق من خلال معرفة المخلوقات بخالقها، فكل مخلوق يحب خالقه بمقدار معرفته به، ولذلك نرى أنه عندما تتفاوت درجات المعرفة، تتفاوت معها درجات الحب، وتتفاوت بذلك درجة طلب الخالق او اللقاء بالخالق.

ومن هنا، فإنه وعلى اساس المعرفة يمكننا تقسيم درجات حب الله تعالى إلى التالي:

الدرجة الاولى: الدانية (العامة).

يقول تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ، الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: ٣-٤).

فالعبادة هنا مقتصرة على المأكل والمشرب، أي يعبدون الله لأنه يطعمهم ويسقيهم، أي يحبون الله تبارك وتعالى لعطاياه.

وهذه الحالة تأتي نتيجة المعرفة القليلة بالله تعالى ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ

عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) (الفجر: ١٥-١٦)، وهذه الدرجة تشمل عموم الناس.

الدرجة الثانية: الخاصة.

يقول تعالى: ﴿...وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى...﴾ (الشورى: ٣٦).

وهذه الدرجة من الحب تأتي نتيجة معرفة متوسطة بالله تعالى، كحب الله لصفاته واسمائه وحب عطاياه من خلال صفاته واسمائه، وهي درجة اعلى من الاولى وتشمل الخواص من الناس.

الدرجة الثالثة: الاخص.

يقول تعالى: ﴿...وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه: ٧٣).

وهذه الدرجة تشمل العرفاء بالله معرفة تامة وهم الانبياء والائمة عليهم السلام، كما يقول الامام علي عليه السلام: (ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك، انما وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك).

النقطة الثانية: كيف نتخلص من الذنوب؟

الانسان بطبيعته يحتاج إلى الهداية، والهداية لا تكون إلا من خلال المعرفة، ولكن هل المعرفة لوحدها كافية لأن يتعرف الانسان على طريق الحق ويهتدي اليه؟

فإن قلنا: نعم وحدها الهداية تكفي، فسنجد القرآن الكريم ينقض علينا هذا القول بقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ (النمل: ١٤)، فالآية توضح أنه وبالرغم من معرفة طريق الحق لكن هناك من لم يتبعه بل وجحد به، فنستنتج ان الهداية لوحدها غير كافية لإتباع طريق الحق والهداية اليه، ولذلك نحن بحاجة إلى شيء

اخر بجانب الهداية لكي نصل إلى طريق الحق ونهتدي اليه ونتبعه، وهذا الشيء هو الحب.

فالحب يستثير العقل العملي عند الانسان، اما البرهان والدليل والحجة فتستثير العقل النظري عنده، وإذا تنشط العقل العملي من خلال اثارته بالحب هنا سيتبع العقل العملي العقل النظري.

فإذاً نحن نحتاج إلى المعرفة والتي من خلالها يشخص العقل النظري الحق، ونحتاج إلى الحب ومن خلاله نتبع ذلك الحق بالعمل.

وبعبارة اخرى:

المعرفة يمكن تعريفها على انها غذاء العقل النظري كي يشخص الحق، اما الحب فيعرّف على انه غذاء للعقل العملي كي نتبع ذلك الحق ونترك ما سواه، ولذلك عبر الامام الصادق عليه السلام عن الدين بأنه الحب فقال: (وهل الدين إلا الحب)، لذلك ربط القرآن الكريم بين الاتباع والحب كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ...﴾ (ال عمران: ٣١).

والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة جدا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ...﴾ (البقرة:٢٥).

فالإيمان جاء نتيجة المعرفة (العقل النظري)، والعمل الصالح جاء نتيجة الاتباع (العقل العملي).

٢- يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى {١٤/٨٧} وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الاعلى: ١٣-١٤).

الآية الكريمة توضح ثلاث مراحل مهمة على الانسان ان يقوم بها لكي يصل إلى المعرفة التامة:

المرحلة الاولى: تزكية النفس.

وتأتي من خلال ترك المعاصي والذنوب والنفس والهوى والغرائز غير المشروعة، فإذا تركها الانسان صار متزكيا (طاهراً روحيا).

المرحلة الثانية: التحلي.

إذا طهرت روح الانسان، شخّصت الحق بالعقل النظري وصار قريبا من الله تعالى فتحلى بالإيمان، فيبدأ بذكر الله تعالى.

المرحلة الثالثة: العمل.

إذا تحلى الانسان بالإيمان، انكشف له طريق الحق فاتبعه من خلال العقل العملي، فبدأ يقوم بالأعمال الصالحة كالصلاة وغيرها.

ولذلك على الانسان أن يطهر روحه اولا بالتزكية، فإذا تزكى تقرب من الله تعالى وبدأ يذكره وهذا يحفزه نحو العمل، وإذا أكمل الانسان هذه المراحل الثلاث بنجاح صار من المفلحين الفائزين وغرق بحب الله تعالى وعبادته، وهذا ما يؤكده الحديث القدسي: (من أحب حبيبا صدّق قوله، ومن أنس بحبيب صدّق قوله ورضي فعله، ومن وثق بحبيب اعتمد عليه، ومن اشتاق إلى حبيب جدّ في السير اليه).

فالحب اكسير أعظم، ولذلك فالإنسان ليس فقط بحاجة إلى المعرفة، فهو بحاجة إلى معرفة كجنبة نظرية وهو ايضا بحاجة إلى حب كي ينشّط الجنبة العملية لديه، وإذا سارت هاتان الجنبتان بشكل صحيح مع بعضهما البعض، اصبح الانسان فائزا ناجحا غارقا بحب الله تعالى، وحينها سيقلع الانسان عن المعاصي.

التفاتة: الفرق بين العلم والمعرفة.

قلنا سابقاً: إن الانسان يحتاج إلى المعرفة ليهتدي، ولكن المعرفة لوحدها لا تؤدي الغرض المنشود، ولذلك فهو يحتاج إلى الحب إلى جانب المعرفة، لكي يصل إلى الطريق الحق المستقيم، ولكن ما هي المعرفة؟ وهل المعرفة تعني العلم؟ أي إذا صار الإنسان عارفا هل يصبح عالما؟ وهل العكس صحيح؟ ام انهما شيئان منفصلان؟

في ثقافة الاسلام تأتي المعرفة بعد العلم، أي هي درجة أخص من العلم، فكل عارف عالم ولكن ليس بالضرورة أن يكون كل عالم عارفاً، فهناك الكثير من العلماء في مجالات العلوم المختلفة كالطب والهندسة والكيمياء والجيولوجيا ولكنهم جميعهم في ثقافة الاسلام ليسوا عرفاء، نعم هم علماء ولكن ليسوا عرفاء، لأن المعرفة في ثقافة الاسلام تختص بالمجالات الدينية المرتبط بالله تعالى، ولذلك قلنا هي درجة تأتي من بعد العلم واخص منه.

والآن، بعد ان عرفنا الفرق بين العلم والمعرفة بقي ان نعرف: هل العلم على قسم واحد ام اقسام؟ وهل كل اقسامه توصل الانسان إلى درجة العصمة؟

نقول: العلم ليس قسماً واحداً، بل هو على اقسام متعددة، وليس كل علم يولّد لدى صاحبه حالة العصمة، فليس كل عالم معصوماً، فهناك من العلم ما يولّد تأثيراً سلبياً، وهناك منه ما يولّد تأثيراً ايجابياً، فيوصل صاحبه إلى درجة العصمة، أي يمكن القول: إن منه ما هو نافع ومنه ما هو غير نافع.

اقسام العلم:

اولا: العلم غير النافع والذي يولّد تأثيرا سلبيا.

ومما يشير إلى ذلك آيات عديدة، نذكر منها التالي:

١- يقول تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً...﴾ (الجاثية: ٢٣).

الآية الكريمة خير دليل على ان العلم في بعض الاحيان لا ينفع صاحبه إذا لم يطبقه في المجال الصحيح، فهي تتحدث عن ما سيجري بعد الرسول الكريم ﷺ في امير المؤمنين واهل بيته عليهم السلام، إذ هي نزلت في قريش، فإنهم بالرغم من معرفتهم بمنزلة امير المؤمنين عليه السلام ومنزلة اهل البيت عليهم السلام لكنهم جحدوا حقهم، وفعلوا ما فعلوه بهم، ولهذا فإن علمهم لم ينفعهم ولم يعصمهم، بل صار وبالاً عليهم، واضلهم الله بل وختم على قلوبهم وجعل على ابصارهم غشاوة كي لا يهتدوا إلى طريق الصواب ويبقوا تائهين في الضلال والعمى.

٢- يقول تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ،...، قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي...﴾ (القصص: ٧٦-٧٨).

الآية تتحدث عن قارون، وتبين انه كان من قوم موسى، هذا اولا.

وثانياً: ان الله تعالى منّ عليه بعلم الاقتصاد (كما روي)

ولكن بالرغم من هذين الامرين اهلكه الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ...﴾ (القصص: ٨١)، أي ان علمه هذا لم ينفعه لأنه

كان عن جهل واقعاً، والدليل على ذلك أنه نسب العلم لنفسه فقال ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾

وفي الواقع ان القرآن الكريم قد ذم من ينسب العلم لنفسه، حيث يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ (غافر: ٨٣)، فعندما جاء الرسل بعلوم السماء والبراهين فرح اقوامهم بما عندهم من العلم واكتفوا به ولم يتبعوا رسلهم واستهزأوا به، فكانت نتيجة ذلك الضلال والخسران، وكذلك فإن العلم في حقيقته هو لله تعالى وهذا ما بينه القرآن الكريم في مواضع عديدة من الآيات القرآنية، والتي منها قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (الرحمن: ١-٢)، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا...﴾ (البقرة: ٣١).

فنستنتج من ذلك: ان العلم إذا لم يطبق بمجاله الصحيح، فليس فقط هو لا ينفع صاحبه بل قد يؤدي به إلى الضلال والخسران وتكون عاقبته النار والعياذ بالله.

ثانيا: العلم النافع الذي يولّد تأثيرا ايجابيا.

فهناك العديد من الامور التي يولدها العلم إذا طبق بمجاله الصحيح منها:

١- العلم يولّد الخشية:

يقول تعالى: ﴿...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ...﴾ (فاطر: ٢٨).

فمن خلال علم العلماء تولدت هذه الحالة من خشية لله تعالى.

٢- العلم يولّد العصمة:

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ...﴾ (يوسف:٢٤).

البرهان المقصود به الآية الكريمة هو العلم، فالنبي يوسف عليه السلام لولا العلم لهمّ بها ليضربها في القصة المعروفة، ولكن علمه هو الذي عصمه عن فعل ذلك.

وهناك تفسير آخر، وهو أن النبي يوسف عليه السلام لم يهمّ بها أصلاً، فإن (لولا) حرف امتناع لوجود، والتقدير: ولقد همّت به، ولولا أنْ رأى برهان ربه لهمّ بها، ولكنه حيث رأى برهان ربه فلم يهم بها أصلا.

٣- العلم يولّد القوة:

يقول تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾ (النمل: ٤٠).

فبالعلم اكتسب آصف ابن برخيا القوة على ان يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى قصر سليمان في اقل من رمشة عين.

٤- العلم يحول الغيب إلى شهود:

يقول تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥).

العلم اللدني هو نوع من انواع العلم، إذا اكتسبه الانسان اصبحت ما وراء الاشياء منكشفة لديه، كعلم الخضر عليه السلام فالكنز الذي كان تحت الجدار كان شاهداً بالنسبة للخضر عليه السلام ولكنه كان غائبا عن موسى عليه السلام، وكذلك الحال مع الغلام الذي قتله الخضر او السفينة

التي خرقها كلها كانت أموراً منكشفة للخضر وغائبة عن موسى، وهذا ما يعبر عنه الغيب النسبي.

حيث ان الغيب فيه ما هو مطلق، وهو العلم الذي عند الله تبارك وتعالى فهو غيب عن الجميع دون استثناء، ومنه ما هو نسبي وهو ما وضحناه اعلاه.

فيتضح: أن العلم إذا طبقه الانسان في مجالاته الصحيحة واستمر بتطبيقه في المجال الصحيح ووصل إلى مراحل متقدمة من العلم، قد يولّد عند الانسان حالة من العصمة.

اما المعرفة، فهي ايضا لا تكون على درجة واحدة، وانما تكون على درجات، فمنها ما تكون نتائجه سلبية ومنها ما تكون نتائجه ايجابية، وهذا يأتي حسب درجة المعرفة واستفادة الانسان منها. فيضرب القرآن الكريم مثلا رائعا للمعرفة التي تكون نتائجها سلبية (كبلعم بن باعورا)، فنتائج معرفته كانت سلبية لأنها لم توصله إلى الطريق الصحيح نتيجة عدم اتباعه للآيات على الرغم من معرفته بتلك الآيات فيقول الحق تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ...﴾ (الاعراف: ١٧٥-١٧٦).

فنجد القرآن الكريم يعبر ب(انسلخ) والانسلاخ يأتي بعد التلبس وهو الانفصال التام، أي بعد ان عرف بلعم الآيات وتلبس بها انفصل عنها، ولو كان قد استمر بذلك الاتباع لرفعته تلك الآيات ولكنه بما انه

انفصل عنها قادته إلى الضلال والانحراف حتى صار كالكلب كما يعبر القرآن الكريم (فمثله كمثل الكلب)[1].

درجات المعرفة الخاصة التي تولّد العصمة:

هناك درجات خاصة من المعرفة تولّد العصمة عند الانسان، ومنها ما روي

﴿عن ابي الحسن موسى عليه السلام، قال: من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر﴾[2].

ولكن كيف تتحقق معرفة الحسين عليه السلام حتى تصل بصاحبها إلى درجة العصمة؟

قلنا: ان هناك درجات من المعرفة توصل صاحبها إلى العصمة، فكلما كانت المعرفة عن عمق ارتفعت بصاحبها حتى توصله إلى تلك

---

(١) التفاتة:

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً...﴾ (المؤمنون: ٥٠)، فعيسى عليه السلام كما هو واضح في الآية انه اية وكذلك مريم عليها السلام هي اية كما تذكر الآية الكريمة، ونحن نعلم ان الآيات منها ما هو صامت ومنها ما هو ناطق كالأنبياء والائمة والحجج الالهيين ومريم عليها السلام من الحجج وإذا كانت مريم اية فكيف بسيدة مريم بل وسيدة الحجج فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي اية كبرى كما يعبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى (إنها لإحدى الكبر)، فقد روي عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله (انها لإحدى الكبر نذيرا للبشر) قال يعني فاطمة عليها السلام، ﴿تفسير القمي - علي بن إبراهيم القمي - ج ٢ - ص ٣٩٦﴾

وفاطمة الزهراء عليها السلام ليست سيدة الحجج وانما هي حجة الله على الائمة كما يصفها الامام الحسن العسكري عليه السلام (نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا)، ولذلك من يتبع الزهراء عليها السلام سيرتفع ومن يتخلف عنها سينخفض حتى يصل إلى درجة الكلب والعياذ بالله) انتهى

فإذاً يتضح من الآية اعلاه ان اتباع الآيات يؤدي بالإنسان إلى الرفعة وعدم اتباعها يولّد الضلال والانحطاط.

(٢) الأمالي (الشيخ الصدوق): ص٢٠٦، ح١٠.

الدرجة، وهذه المعرفة تكون على عدة صور سنبينها ان شاء الله تعالى.

١- المعرفة الصورية:

هذه المعرفة تتحقق من خلال معرفة ان الإمام الحسين عليه السلام امام ابن امام واخوه امام وأُمّه الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وجده الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وأولاده الائمة عليهم السلام وهذه المعرفة يعبر عنها بالمعرفة الصورية لأنها لا توصل صاحبها إلى درجة العصمة رغم أنها نافعة.

٢- المعرفة التحقيقية:

وتتحقق هذه المعرفة من خلال معرفة ان الحسين عليه السلام امام مجعول من قبل الله تعالى وانه مفروض الطاعة وهو يمثل الامتداد الطبيعي للنبي صلى الله عليه وآله من بعده، وهذه المعرفة تأتي من خلال البحث والتحقيق.

٣- المعرفة التحققية:

اما هذه المعرفة فتأتي من خلال المعرفة التامة بالحسين عليه السلام، وهي معرفة داخلية تمتلك داخل الانسان وهذه المعرفة هي التي تولّد العصمة عند الانسان.

الفرق بين المعرفة التحقيقية والمعرفة التحققية:

هو ان المعرفة التحقيقية قائمة على اساس البحث والتحقيق (الفكر فقط) اما المعرفة التحققية فهي قائمة على اساس الايجاد والتطبيق، كأن نقول: زيد يقرأ القرآن بتمعن وتدبر فهذه معرفة تحقيقية، ومرة اخرى نقول: زيد قد اختلط القرآن بلحمه ودمه فهذه هي المعرفة التحققية.

النقطة الثالثة: ماذا ينتج عن الحب؟

قلنا سابقا: ان الحب يولّد اتباعاً، فمن خلال اتباع اولياء الله تعالى واحبائه يكون الانسان محط نظر الله تعالى وحبه وهذا ما يوضحه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ...﴾(ال عمران: ٦٨)، فالذين اتبعوا ابراهيم عليه السلام اتبعوه نتيجة حبهم له، وبما انه بين التابع والمتبوع علاقة وصلة فاتباعهم لإبراهيم عرضهم لحب الله تعالى. إذا المعرفة تولّد الحب، والحب ينتج عنه اتباع، والاتباع يجعل الانسان محط عناية الله تعالى وحبه، ومن هنا نفهم معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: (حسين مني وانا من حسين) وايضا قوله صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني).

هذا بالإضافة إلى ان الانسان إذا احب احباء الله تعالى وهم النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته الاطهار عليهم السلام لقوله صلى الله عليه وآله ﴿لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله﴾[(١)]، ووصل في حبهم عليهم السلام إلى اعلى درجات الحب، فان ذلك سيجعل كل شيء في الوجود يحبه لأن حبهم عليهم السلام حب لله تعالى، وإذا احب الله شيئا احبه كل شيء لأن الكائنات تنجذب مع حب خالقها.

ومن هنا نفهم ايضا قول الامام السجاد عليه السلام في دعائه في زيارة جده امير المؤمنين يقول: (اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك، ...، محبة لصفوة اوليائك، محبوبة في ارضك وسمائك)[(٢)].

وعليه فيكون الانسان محبوبا في الارض والسماء بحبه لأولياء الله تعالى.

---

(١) صحيح البخاري: ج٤، ص٢٠ (قاله صلى الله عليه وآله يوم خيبر).

(٢) مفاتيح الجنان: زيارة امين الله.

التفاتة:

ايهما افضل: الحب من طرف واحد ام الحب من طرفين؟

مما لا شك فيه ان الحب من الطرفين هو الافضل لأنه يولّد التشجيع والانجذاب لقوله تعالى: ﴿...فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ (المائدة: ٥٤) فرب العزة تبادلَ الحب مع صفوة من خلقه وقدم حبه لهم على حبهم له للتشجيع والانجذاب، بالإضافة إلى أن القرآن الكريم قد ذمّ الحب من طرف واحد في موارد عديدة منها قوله تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ...﴾ (ال عمران: ١١٩).

فستنتج مما قلناه: أن الانسان إذا أحب الله تعالى او أحب اولياءه فسوف يترك المعصية وبذلك يبتعد عن الشرك الاصغر (العملي) الذي يقع فيه الانسان نتيجة المعاصي واتباع الشيطان، وإذا ابتعد عن الشرك الاصغر وهو مؤمن وعمل الصالحات فسيكون عند ذلك مهيئاً للقاء الله تعالى.

الاستعمال الخامس: عدم رجاء لقاء الله تعالى.

يوضح القرآن الكريم فئة من الناس لا يرجون لقاء الله تعالى، ويبين انهم قد وصلوا إلى هذه المرحلة و(العياذ بالله) نتيجة امور عديدة، منها:

١- الغفلة عن آيات الله تعالى:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (يونس: ٧).

فالغفلة عن آيات الله تعالى تؤدي بالإنسان إلى الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان اليها وهذا يولّد عدم رجاء لقاء الله تعالى.

٢- اللجاج (العناد):

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَات قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ...﴾ (يونس: ١٥).

٣- الاستكبار:

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيراً﴾ (الفرقان:٢١).

الاستعمال السادس: رجاء الله تعالى.

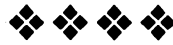
وهذا يتضح من خلال طرق عديدة:

١- انسان يأتي بالواجبات ويترك المعاصي وهو يرجو ثواب الله تعالى، فرجاؤه هنا يكون صحيحا.

٢- انسان يأتي بالواجبات ويترك المعاصي ولكن عنده بعض الهفوات أي خلط عملا صالحاً واخر سيئاً، وهو يرجو غفران الله، وهذا ايضا رجاؤه صحيح.

٣- انسان يأتي بالمعاصي ويترك الواجبات وهو يرجو رحمة الله، وهذا في الواقع لا يسمى رجاء، وانما يطلق عليه اسم التمني، والتمني في حقيقة الامر لا يغني من الحق شيئاً، فعلى الانسان ان يعمل جاهدا لينال رحمة الله تعالى، نعم هو يعمل ويتمنى فلا مانع من الامر ولكن أن يكون التمني من دون عمل فهذا عمل المفلس والخاسر، كما يقول الشاعر:

إذا تمنيت بتّ الليل مغتبطاً　　إن المُنى رأس أموال المفاليس



الخوف في ثقافة القرآن الكريم:

الخوف: يعرّف على انه الفزع.

الاستعمال القرآني لمفردة الخوف في القرآن الكريم:

استعمل القرآن الكريم هذه المفردة في محورين:

المحور الاول: الخوف من الله تعالى.

يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤٠-٤١).

والخوف من الله تعالى له درجات:

١- درجة العوام: وتتمثل بالخوف من عذاب الله وعقابه.

٢- درجة الخواص: وتتمثل بالخوف من بعد الله تعالى.

٣- درجة الاخص: وتتمثل بالخوف من الله تعالى.

المحور الثاني: الخوف من غير الله تعالى.

١- كخوف ام موسى على ولدها من فرعون:

يقول تعالى: ﴿...فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ...﴾ (القصص:٧).

٢- وكالخوف من الحساب (الاستقصاء وهو ما بيناه سابقا).

يقول تعالى: ﴿...وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ﴾ (الرعد: ٢١).

القسم الثاني: الذين خلت صحائفهم من السيئات.(1)

كالصابرين:

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

﴿عن الامام علي عليه السلام: من عمل لله تعالى اعطاه اجره في الدنيا وكفاه المهم فيها، وقد قال لله تعالى: (يا عباد الذي امنوا لتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة إنما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) فما عطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الاخرة﴾(٢).

والصبر له درجات واقسام، منها:

١- الصبر على طاعة الله تعالى والصبر عن معصية الله تعالى.

﴿عن الامام زين العابدين عليه السلام: إذا جمع الله الاولين والاخرين ينادي مناد: اين الصابرون ليدخلوا الجنة جميعا بغير حساب -الى ان قال - قالت لهم الملائكة: من انتم؟ قالوا: الصابرون، قالوا: وما كان صبركم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن معصية الله﴾(٣).

٢- الصبر على الفقر.

﴿عن الامام الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنة فيضربوا باب الجنة، فيقال لهم: من أنتم؟

---

(١) وقد كان القسم الأول هو: القسم الاول: الذين هم فوق الحساب

(٢) ميزان الحمة: ج١، ص٦٢٤.

(٣) نفس المصدر السابق.

فيقولون: نحن الفقراء، فيقال لهم: اقبل الحساب؟! فيقولون ما اعطيتمونا شيئا في الدنيا تحاسبونا عليه، فيقول الله ﷻ: صدقوا، ادخلوا الجنة﴾[1].

وكذلك:

﴿عن رسول الله ﷺ: ثلاثة من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: تعطي من حرمك، وتصل ممن قطعك، وتعفو عن من ظلمك﴾[2].

القسم الثالث: الذين خلت صحائفهم من الحسنات.

وهم على اصناف:

١- الذين حبطت اعمالهم.

يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ... الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٥).

٢- من اراد الدنيا فقط.

يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (هود:١٥-١٦).

---

(١) الكافي: ج٢، ص٢٦٤، ح١٩.

(٢) نور الثقلين: ج٥، ص٥٣٧، ح١٢.

٣- المشركون بالله تعالى.

﴿عن رسول الله ﷺ: ان الله يحاسب كل خلق إلا من اشرك بالله، فإنه لا يحاسب يوم القيامة ويؤمر به إلى النار﴾[1].

﴿عن الامام الصادق عليه السلام: ثلاثة يدخلهم الله النار بغير حساب: امام جائر، وتاجر كذوب، وشيخ زان﴾[2].

﴿عن رسول الله ﷺ: ستة يدخلون النار بغير حساب: الامراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والتجار بالكذب، والعلماء بالحسد، والاغنياء بالبخل﴾[3].

الموطن السادس: احضار الاعمال.

هناك العديد من الطرق التي تحضر بها اعمال العباد يوم القيامة، منها:

الطريقة الاولى:

الاحاطة، بما ان الله جل جلاله محيط بكل شيء بعلمه، فهو يرى اعمال العباد ومحيط عليها

الاحاطة في ثقافة القرآن الكريم:

الاحاطة: تعرّف على انها الاحداق.

الاستعمال القرآني لمفردة الاحاطة في القرآن الكريم:

استعمل القرآن الكريم هذه المفردة في محاور عديدة في القرآن الكريم، منها:

---

(١) ميزان الحكمة: ج١، ص٦٢٥.

(٢) الخصال: ص٨٠، ح١.

(٣) ميزان الحكمة: ج١، ص٦٢٥.

المحور الاول: عدم احاطة الناس.

يقول تعالى: ﴿...أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا...﴾ (النمل: ٨٤).

المحور الثاني: احاطة الخطيئة.

يقول تعالى: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ...﴾ (البقرة: ٨١).

يقول تعالى: ﴿...وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (يونس:٢٢).

المحور الثالث: احاطة العذاب الدنيوي.

يقول تعالى: ﴿...وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ...﴾ (يونس:٢٢).

المحور الرابع: احاطة العذاب الاخروي.

يقول تعالى: ﴿...وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة: ٤٩).

المحور الخامس: احاطة الله تعالى.

كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾.

الطريقة الثانية: شهادة الله تعالى على الاعمال.

يقول تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا...﴾ (يونس: ٦١).

الطريقة الثالثة: تسجيل الاعمال.

يقول تعالى:﴿... وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ...﴾ (النساء: ٨١).

يقول تعالى: ﴿...وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف: ٨٠).

الطريقة الرابعة: حضور الاعمال ذاتها.

يقول تعالى: ﴿...وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا...﴾ (الكهف: ٤٩).

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا...﴾

(ال عمران:٣٠).

الطريقة الخامسة: نشر الصحف.

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير: ١٠).

هذا آخر ما أردنا أن نذكره فيما يتعلق بمبحث المعاد، والمباحث التي تدخل ضمنه، وقد تبين مما تقدم أنها مباحث مهمة، وهي عملية أكثر مما هي معرفية، بمعنى أنها معارف يُراد منها العمل، لا مجرد حشو الذهن بالمعلومات، فإن المعرفة لوحدها غير كافية في قانون الإسلام، إلا إذا انضم إليها العمل، بل إن الإيمان كله عمل كما ورد في بعض الروايات الشريفة، والقول والمعرفة هما بعض ذلك العمل.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يعرفون الحق ويتبعونه، وممن يعرفون الباطل فيجتنبونه، بجاه أشرف الخلق وسيدهم، محمد المصطفى، وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- نهج البلاغة.
٣- مفاتيح الجنان.
٤- البرهان في تفسير القران.
٥- غاية المرام وحجة الخصام.
٦- صحيح مسلم.
٧- فضائل الخمسة.
٨- صحيح البخاري
٩- الأمالي (المفيد).
١٠- الأمالي (الشيخ الصدوق).
١١- تفسير القمي.
١٢- عيون أخبار الرضا.
١٣- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل.
١٤- بحار الأنوار - العلامة المجلسي.
١٥- الكافي للشيخ الكليني.
١٦- الخصال للشيخ الصدوق.
١٧- مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب.
١٨- وسائل الشيعة للحر العاملي.
١٩- من لا يحضره الفقيه.
٢٠- موسوعة الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية.
٢١- طب الأئمة.
٢٢- فقه الرضا.
٢٣- بشارة المصطفى.
٢٤- تاريخ الطبري.
٢٥- عمدة الطالب.
٢٦- الاعتقادات في دين الامامية للصدوق.

٢٧- بصائر الدرجات - محمد بن الحسن الصفار.
٢٨- التوحيد - الشيخ الصدوق.
٢٩- ميزان الحكمة.
٣٠- خصائص الأئمة - الشريف الرضي.
٣١- ينابيع المودة لذوي القربى – القندوزي.
٣٢- اللهوف في قتلى الطفوف.
٣٣- علل الشرائع.
٣٤- معاني الأخبار.
٣٥- اللمعة البيضاء.
٣٦- تفسير الصافي.
٣٧- مفاهيم القرآن.
٣٨- أجوبة الشبهات الكلامية.
٣٩- الدر المنثور في تفسير المأثور – السيوطي.
٤٠- حاشية الصاوي.
٤١- المزار.
٤٢- روضة الواعظين للفتّال النيسابوري.
٤٣- نفحات القرآن.
٤٤- تفسير القرطبي.
٤٥- معاني الاخبار.
٤٦- تفسير مجمع البيان- الشيخ الطبرسي.
٤٧- لئالي الاخبار.
٤٨- تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي
٤٩- تفسير فرات الكوفي.
٥٠- الميزان في تفسير القرآن.
٥١- الفصول المهمة في اصول الائمة.
٥٢- شجرة طوبى.
٥٣- مجمع النورين - الشيخ أبو الحسن المرندي.

فهرس المحتويات